

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

قسم: العلوم الإنسانية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني
ودوره في الفكر الإباضي
(500-570هـ/1100-1170م)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في التاريخ تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ
د. علال بن عمر

إعداد الطالبين
أنور بن عماره
احمد فايزي

لجنة المناقشة

المؤسسة الأصلية	الصفة	الرتبة	الاستاذ
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	رئيساً	أستاذ مساعد " أ	أ. عبد الحميد العابد
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	مشرفاً ومقرراً	أستاذ محاضر " أ	د. علال بن عمر
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	مناقشاً	أستاذ محاضر. أ	د. عمار غرائسة

السنة الجامعية: 2018/2019م



شكر وعرفان

قال تعالى { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... }

(سورة إبراهيم الآية 07)

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات... وبفضله تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على نبي الرحمات محمد عليه أفضل الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم
الشكر أولاً لله الذي وفقنا لإتمام هذه المذكرة... ثم الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ
المشرف صاحب الصدر الرحب (زاده الله علما)

الدكتور الفاضل: علاء بن عمر

الذي غمرنا بتوجيهاته ونصائحه وتشجيعاته الدائمة التي لا تنقطع ومتابعته لنا
القريبة مذكلاً لنا كل الصعاب، رغم متطلبات العمل والحياة فاللهم جازيه عنا خير
الجزاء

الشكر موصول للجنة المناقشة الموقرة كل باسمه ورسمه على قبولهم المساهمة في
إبداء ملاحظاتهم وتصويباتهم خدمة للموضوع وخروجه في أحسن حلة.

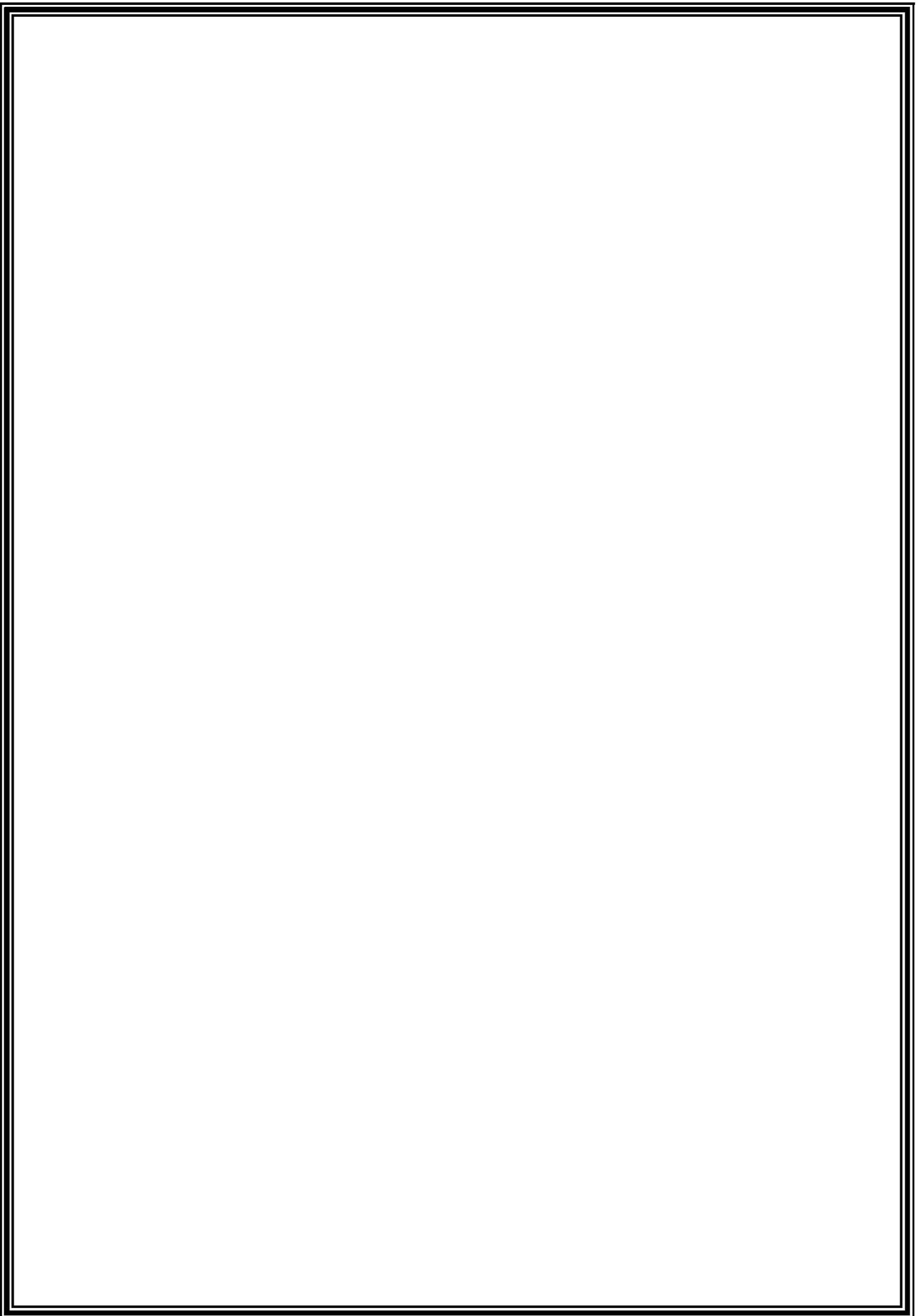
الدكتور عمار غرائسة و الأستاذ عبد الحميد العابد

كل الشكر والعرفان لمن أعطانا الجرعة المعنوية والمساعدة والتشجيع بعبود
المصادر من داخل وخارج الوطن فكان نعم السند ونعم الأنييس ونعم الرفيق

الأستاذ إبراهيم شرايطة (وفقه الله في مشواره العلمي)

أيضاً نتقدم بالشكر لكافة طاقم قسم التاريخ وخاصة أساتذة التاريخ الوسيط أمدهم الله
بالعون والرعاية.

انور و احمد حبا وتقديرا وتبجيلا



اهداء

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وزد على المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

اهدي ثمرة جهدي الى من سهرت الليالي مربية . . . رافعة أكف الضراعة . . . معينة لي بدعواتها فترة السحرا على ما في الوجود

"والدتي العزيزة" امدها الله بطول العمر

الى الذي طالما حثني على التماس طريق العلم والمعرفة . . . وكابد صعاب الحياة حلوها ومرها . . . طيب الله ثراه وجعل الجنة

"والدي العزيز" رحمه الله

الى يقوتة العمر وسراجة الذي لا ينطفئ . . . الى التي تحملت معي عبء الحياة . . . الى رفيقة دربي شكرا و عرفانا

"زوجتي الكريمة" حفظها الله

الى انس الحياة وقرّة عيني ابنائي وبناتي وفقهم الله "اميرة وبشير ومريم ومعمار ومؤيد ونضال ورحيم"

الى من شملتني بهم رائحة الابوة والاخوة "اخي واخواتي"

الى من تحملوا معي ايام الدراسة وشجعوني "بدرالدين وعبد القادر"

الى رفقاء الطفولة "مجموعة المحبة والوفاء" شكرا وتقديرا

الى من كان لي مشجعا . . . الى من جمعنا به الاقدار . . . في مدرجات العلم والجامعة . . . الى من لايحلو مجلس الدراسة الا بحضوره

زميلي واخي "احمد فايزي" حفظه الله وامده بموفور الصحة

الى كل زملاء الدفعة واساتذتها بقسم التاريخ جامعة حمّة لخضر بالوادي

اهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أما بعد :

اهدي ثمرة جهدي هذا الى من ربتي وأنارت دربي وأعاتني بالصلوات والدعوات الى أعلى إنسان في الوجود

"أمي الحبيبة" حفظها الله

الى من حصد الأشواك ليمهد لي طريق العلم . . . الى من لم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه . . . الى من يرتعش قلبي

لذكره "أبي الغالي" رحمه الله

الى من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب . . . الى شريكة حياتي ورفيقتي في أحزاني . . . ومسراتي

. . . الى قرّة عيني وانسي في حياتي

"زوجتي وأبنائي وبناتي"

الى من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون . . . الى من تمنوا لي النجاح في جميع الأصعدة "إخوتي

وأخواتي الأعزاء"

الى من كان معينا ومحفزا لي طيلة مرحلة الماجستير . . . الى من تحملي وتحمل معي أعباء هذا البحث "زميلي

انور" أمدّه الله بالصحة والعافية

الى كل الزملاء والأساتذة بقسم التاريخ جامعة الشهيد حمزة لخضر بالوادي

احمد فايزي

احمد

مقدمة



مقدمة:

استطاعت سياسة الأئمة الرستمييين في بلاد المغرب الإسلامي , والمغرب الأوسط تحديداً من أن تبني قاعدة حضارية متينة, شملت العديد من المجالات الثقافية والسياسية والتجارية , تضاهي باقي الحضارات كالقيروان وقرطبة وفاس, المعتمدة أساساً على القدرة والكفاءة العلمية بالعاصمة تيهرت, هذه الحضارة ألفت بظلالها على تلك الحواضر المجاورة, وخاصة الممتدة في صحراء المغرب الأوسط فكانت منها وارجلان التي كانت محورا علميا وتجاريا ودينيا الى بقية الأمصار, منها بلاد السودان كمعبرا تجاريا هاما وبلاد الحجاز ركبا للحجاج هذا عقب سقوط العاصمة تيهرت سنة 296هـ/909 م. عرفت وارجلان في هذه الفترة حركة علمية كبيرة أفرزت العديد من المشايخ والعلماء, الذين تركوا آثارهم في شتى المجالات والميادين العلمية والعقدية والكلامية والتاريخية, وهو ما يعد العصر الذهبي للفكر الإباضي.

من بين أهم الرواد والعلماء الذين تبوؤوا المكانة العلمية الكبيرة, في منطقة وارجلان ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت 570هـ/1170م), الذي يعد من أهم المصادر وموردا شرعيا للمذهب الإباضي نظير ما تركه من علوم كلامية وفكرية وتاريخية وأصولية, كذلك في علم الحديث والتفسير وفي ظل ذلك الزخم العلمي الذي عرفت به المنطقة برز بين معاصريه وأقرانه الأمر الذي جعل منه موسوعة معرفية كبيرة.

ولمعرفة الدور الذي قام به ابو يعقوب الوارجلاني, كان موضوع دراستنا من خلال بحثنا المعنون بـ :

(أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ودوره في الفكر الإباضي)

(500-570 هـ / 1100-1170 م)

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة في تلك القيمة العلمية والفكرية التي يتصدرها ابو يعقوب الوارجلاني, باعتباره مصدرا ومرجعا أساسيا للمذهب الإباضي بفضل آثاره الفقهية والأصولية والكلامية العقدية, التي أصّلت للعديد من القواعد الشرعية التي اعتمدها المذهب الإباضي, على هذا الأساس كان اختيارنا للموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية

1/ الأسباب الذاتية:

- بناء على اقتراح الأستاذ المشرف ورغبتنا في معرفة رجالات الفكر الإباضي والدور الذي لعبه ابو يعقوب الوارجلاني كأحد أقطاب الفكر الإباضي , ايضا الميول وحب التطلع على المواضيع الفكرية .
- اهتمامنا بالبحث في خبايا الفكر الإباضي من خلال دراسة حياة احد شيوخه فكان ابو يعقوب الوارجلاني .
- الرغبة في تقصي ذلك الدور الذي أوكل لعلماء الإباضية في سبيل المحافظة على أسس الدولة الإباضية وكيانها .
- الرغبة في إثراء رصيدنا المعرفي والعلمي بالتعرف أكثر على الفكر والمذهب الإباضي من خلال رواده .

2/ الأسباب الموضوعية:

- قلة الدراسات المعمقة حول شخصية أبي يعقوب الوارجلاني , حيث لم يحض بالدراسة الكافية التي تنصفه وتنصف مصنفاته وآرائه العلمية
- معرفة الدور الذي لعبته حاضرة وارجلان , كقطب علمي هام شمل العديد من الأطياف الفكرية حتى أصبحت مقصد العارفين .
- محاولة متنا بهذا البحث , وضع لبنة جديدة في رفوف المكتبة الجامعية , من خلال دراستنا الأكاديمية المتواضعة لهذا الموضوع .

إشكالية الموضوع:

تكمن إشكالية الموضوع في إيجاد تلك العلاقة بين البيئة العلمية وارجلان , التي استطاعت تهيئة المناخ المناسب للإبداع الفكري والعلمي , والدور الذي قام به علماء الحاضرة ومنهم أبي يعقوب الوارجلاني , في ظل تلك التجاذبات الفكرية والفلسفية والعقدية, من خلال عملية التأثير والتأثر.

وبناء على ذلك كانت صياغة إشكالية الموضوع على النحو التالي:

ماهو الدور الذي قام به ابو يعقوب يوسف الوارجلاني في النهوض بالفكر الإباضي؟ وما هي أهم آثاره وآراؤه الكلامية و العقدية؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية إشكاليات فرعية وجب الإجابة عليها وهي:

- 1/ ماهو الدور الذي قام به النظام الرستمي السائد في المحافظة على الموروث الحضاري والعلمي؟
- 2/ ماهو الدور الذي استطاعت حاضرة وارجلان أن تقوم به في سبيل المحافظة على المذهب الإباضي؟
- 3/ كيف استطاع المذهب الإباضي الفرار بفكره لوارجلان وإعادة هيكلة نفسه؟
- 4/ ابرز أعلام ورواد الفكر الإباضي في تلك الحواضر ودورهم في النهوض بالحركة الفكرية

منهج الدراسة:

من اجل الإجابة على تلك الإشكالية وما تفرع عنها من أسئلة فرعية,لابد من الاستعانة بالمنهج التالية:

المنهج التاريخي: الذي قمنا باستخدامه في جمع تلك المعلومات , المرتبطة بشخصية أبي يعقوب الوارجلاني والتي تتماشى وسير الأحداث التاريخية, ترتيبا كرونولوجيا .

المنهج الوصفي: اعتمدنا هذا المنهج في وصف الأحداث والأماكن, خاصة إثناء دراسة رحلته الى الأندلس وبلاد السودان والحجاز وتتبع الحواضر وما تحويه.

المنهج الاستقرائي: استخدمنا هذا المنهج في استخراج آراء أبي يعقوب الكلامية والعقدية والأصولية من خلال كتابه الدليل والبرهان وكتابه العدل والإنصاف.

المنهج المقارن: الذي اعتمده في مقارنة آراء المصادر في بعض التسميات والتواريخ، والترجيح في بعض الآراء الكلامية ومواطن الاختلاف والاتفاق، بين أبي يعقوب وغيره خاصة في قضية خلق القرآن.

الدراسات السابقة :

يتبين من خلال دراستنا لهذا الموضوع والبحث في التاريخ الإباضي في شتى مجالاته، خاصة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، إن الدراسات السابقة كان التركيز فيها كلية عن الإرهاصات الأولى للوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى المدارس الكلامية والفرق التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي، فكانت أطروحة دكتوراه الباحث علال بن عمر التي كان بعنوان إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب وانتقاله من القرن 3 هـ/9م إلى 9 هـ/15م كانت دراسة عميقة للوجود و للفكر الإباضي، أيضا رسالة ماجستير للباحث عمار غرائسة التي خصها بعنوان المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان أمموجا، فكانت دراسة مكتملة الجوانب تخص حضرة وارجلان، ثم الحديث عن الدولة الرستمية دولة ومجتمعا فكانت دراسة إبراهيم بكير بحاز في كتابه الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، تطرق فيه إلى عناصر المجتمع وأهم طوائفه ونظمه، أيضا أهم الدراسات عن الحواضر دراسة عمر سليمان بوعصبانة معالم الحضارة بوارجلان 296-626 هـ/909-1229م رسالة ماجستير تطرق فيها إلى منطقة وارجلان، التسمية والسكان دراسة اثنية جغرافية كذلك الدراسة عن الحضرة، أما الدراسة المخصصة في شخصية أبي يعقوب الوارجلاني، فكانت قليلة مقارنة بعلمه فأهما دراسة مصطفى بن صالح باجو خصها بعنوان، أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا دراسة لعصره وفكره الأصولي مقارنا بأبي حامد الغزالي فهي تعتبر أول دراسة متخصصة درست شخصية إباضية، لها رصيدها الفكري مقارنة بأبي حامد الغزالي صاحب المستصفي، أيضا دراسة بكير سعيد اعوشت أبو يعقوب الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية، نتكلم عن أبي يعقوب وعلمه ورحلاته وأرائه الكلامية، أيضا رسالة ماجستير للباحثة دليلة خبزي في أصول الدين جامعة الجزائر بعنوان الآراء الكلامية لأبي يعقوب الوارجلاني أفادتنا في إبراز أهم المعالم والآراء للوارجلاني من خلال الدليل والبرهان إضافة إلى تلك الكتب الخاصة بالترجمة للإعلام، أهمها معجم أعلام الإباضية لإبراهيم بحاز وآخرون فقد شمل العديد من الأعلام الإباضية مشرقا ومغربا. أيضا خص عبد الرحمان الجليلاني أبو يعقوب الوارجلاني مقالا في مجلة الأصالة العدد 41 دراسة تكاد تكون مختصرة مكتفيا بأهم مؤلفاته وهو الدليل والبرهان.

كما كانت أيضا في الآونة الأخيرة بعض الدراسات على غرار الملتقيات العلمية خاصة في أعلام الفكر الإباضي فكانت دراسة الباحث محمد ناجي, جامعة قابس تونس, كمداخلة بعنوان من وارجلان الى قرطبة قراءة في تأثير المجال في فكر أبي يعقوب يوسف الوارجلاني, الملقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين 4/3 الهجريين, جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي 12/11/2019. فيفري

مضامين الموضوع :

ومن أجل دراسة هذا الموضوع اعتمدنا الخطة التالية, التي تضمنت مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

المقدمة: والتي اشتملت على فقرة تمهيدية وعنوان الموضوع, ثم الأسباب الذاتية والموضوعية في اختيار الموضوع, وطرح الإشكالية والمنهج المتبع وخطة البحث والصعوبات التي واجهتنا.

الفصل التمهيدي الذي حمل عنوان **الوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي** كان الحديث فيه عن دخول المذهب الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي, وتلك الظروف التي كانت سائدة والتي يعيشها سكان البربر من وراء السياسة الأموية ومحاولة البربر الخروج من ذلك الوضع, ودور سلمة بن سعيد في إرساء قواعد المذهب الإباضي باختياره لحملة العلم, من اجل نشر الدعوة ثم التطرق للدولة الرستمية من تيهرت الى جبل نفوسة عبر وارجلان, ودورها السياسي والحضاري والعلمي على باقي الحواضر.

أما الفصل الأول كان بعنوان **البيئة العلمية لأبي يعقوب الوارجلاني** حيث كان الحديث فيه عن حاضرة وارجلان, موقعها وتأسيس تسميتها من خلال المصادر ثم الانتقال الى دخول المذهب الإباضي الى حاضرة وارجلان, بعد سقوط العاصمة تيهرت وأسباب السقوط وفرار الأئمة الرستميين إليها وكان منهم, يعقوب بن افلح ثم الحديث عن ابرز رواد الفكر الإباضي بوارجلان.

وكان الفصل الثاني عنوانه **ابو يعقوب الوارجلاني حياته وتعلمه** منذ بدايات عمره الى أن توفاه الأجل (570-500هـ), تحدثنا فيه عن مولده ونشأته وبدايات تعلمه بوارجلان, ثم التطرق الى ابرز شيوخه وأبرزهم الذي رثاه بقصيدته البائية وهو أيوب بن إسماعيل المزاتي, ومعاصروه وتلاميذه ثم الحديث على

رحلة الوارجلاني الى بلاد الأندلس وبلاد السودان التي اكتشف فيها خط الاستواء ثم رحلته الحجازية التي نسج فيها قصيدته الحجازية.

اما الفصل الثالث حمل عنوان ابو يعقوب الوارجلاني ودوره في الفكر الإباضي وهو بوصلة الموضوع والجانب العملي منه حيث تحدثنا عن دوره آراؤه الكلامية والعقدية وفلسفته حيث كان له كتابا في الفلسفة بعنوان (مروج الذهب) كما علم بعلم التنجيم، أيضا خلد العديد من الآراء الكلامية والعقدية من خلال كتابه (الدليل والبرهان) الذي يعتبر عمدة الكتب والمصادر الإباضية أيضا له آثاره في الفقه وعلم الأصول حيث كانت له الأجوبة على تلك الرسائل، وكتابه (العدل والإنصاف) الذي يعتبر مصدرا مهما للقواعد الأصولية، أيضا من آثاره في علم التاريخ كتابه فتوح المغرب، أيضا اشتغل ابو يعقوب بعلم الحديث من خلال ترتيبه سند الربيع بن حبيب، ثم تطرقنا الى أبي يعقوب مفسرا حيث كان له سفرا عجبيا فسر فيه عديد الآيات منها الفاتحة والبقرة، إضافة الى تضلعه في الشعر والأدب من خلال قصائده الحجازية التي تكلم فيها عن رحلته وآدائه مناسك الحج، وقصيدته البائية التي رثى فيها شيخه أيوب بن إسماعيل.

في ختام بحثنا استخلصنا جملة من النتائج، التي توصلنا إليها من خلال الإجابة على تلك التساؤلات، التي طرحناها، مدعمين موضوع بحثنا ببعض الملاحق التي تعطي للموضوع قيمة علمية إضافية.

عرض المصادر والمراجع وتحليلها:

وقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع التي يمكن عرضها كالآتي:

كتاب سير الأئمة وإخبارهم لأبي زكرياء ابن بي بكر السدراتي الوارجلاني (ت 471هـ/1078م) تحقيق إسماعيل العربي، وقد أفادنا في تاريخ الإباضيين في بلاد المغرب، خاصة دخولهم إليها وتاريخ الدولة الرستمية تأسيس العاصمة تيهرت وسقوطها والمقاومة الإباضية الشيعية الفاطمية، والحديث عن أهم الثورات إضافة عن سير بعض أعلام المذهب الإباضي، ويعد أهم مصدر للدرجيني و الشماخي

كتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني (ت 570هـ/1170م) الذي يعتبر مصدر رئيسي للمذهب والفكر الإباضي لما يحويه على عديد الآراء الكلامية والعقدية التي تركها أبي يعقوب وقد استفدنا منه في تخريج تلك الآراء وكان أساس بحثنا خاصة في الفصل الثالث مبحث الآراء الكلامية

كتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني (ت 570هـ/1170م) ويعد من المؤلفات المهمة في علم الأصول للمذهب الإباضي ومصدر تلك القواعد الشرعية التي كان لأبي يعقوب فيها رأيه وهو من المصادر المهمة في التشريع الإباضي ومهما جدا خاصة في حلقة العزابة، وقد ساعدنا في ذكر آراء أبي يعقوب الأصولية التي مصدرها الكتاب والسنة.

سير أبي عمار عبد الكافي (ت ق 6هـ/12م) تحقيق مسعود مزهودي من منطقة تناوت قرب وارجلان كان قد تتلمذ على أبي يعقوب الوارجلاني، اشتهر بعلم الكلام واللسانيات وقد أفادنا كتابه بالحديث عن حلقة العزابة والترجمة لعديد العلماء الإباضية وكان منهم أبي يعقوب الوارجلاني.

كتاب طبقات المشايخ في المغرب لأبي العباس احمد بن سعيد الدرجين (ت 670هـ/1272م) تحقيق إبراهيم طلاي، وقد شمل مجموعة من سير علماء إباضيين مقسمة الى اثنتا عشرة طبقة كل طبقة خمسين سنة، اعتمدنا عليه في تكلمه عن ابو يعقوب الوارجلاني ويعد مصدرا أساسيا في البحث ومن جملة المصادر المعتمدة في المذهب الإباضي. إضافة الى أن معظم المصادر قد أخذت عنه ترجمة ابو يعقوب الوارجلاني.

كتاب البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م) تحقيق بشار عواد ومحمود عواد حيث يعد كتاب اختصاص لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الى غاية تأسيس الدول وقد اعتمدناها في الحديث عن الدولة الرستمية وتأسيسها وأئمتها .

كتاب سير المشايخ للإمام أبي العباس بن سعيد الشماخي (ت 928هـ/1522م) تحقيق احمد بن سعود السيابي، وهو من المصنفات التي أدرجت أهم أعلام الإباضية البارزين علاوة على روايات الدخول الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي، وقد استفدنا منه في ترجمته لأبي يعقوب وتحديد تاريخ وفاته.

غصن البان في تاريخ وارجلان لإبراهيم بن صالح بابا حمو اعزام (ت 1384م) تح إبراهيم بكير
بجاز وبن محمد بو معقل وهو كتاب مختص في تاريخ وأعلام منطقة وارجلان أفادنا كثيرا في التعريف
بوارجلان واصل التسمية واصل سكانها واهم علمائها وخاصة أبي يعقوب الوارجلاني إضافة الى حملة
العلم.

كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت 367هـ/977م) يعد كتاب جغرافي وضع وصفا لمدينة تيهرت .
كتاب الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ت 548هـ/1134م) والذي اعتمده
في التأصيل لتسمية وارجلان

كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م). اعتمدهنا عليه في التأصيل لبعض
المناطق خاصة تيهرت ووارجلان

ومن بين المراجع:

مصطفى بن صالح باجو ابو يعقوب الوارجلاني أصوليا دراسة لعصره وفكره مقارنا بابي حامد
الغزالي

فقد كان بوصلة البحث والدليل لأهم عناصر البحث فقد أرشدنا في عديد الأفكار وعديد الترجمات
لرواد الفكر الإباضي بوارجلان

مسعود مزهودي الإباضية في المغرب الأوسط فهو يعد من المراجع التي تكلمت عن الدور الذي
لعبته وارجلان إضافة الى إدراجه اهم المسالك التجارية والجغرافية بين مناطق الدولة الرستمية والصحراء
وبلاد السودان .

محمد علي دبوذ تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة تكلم كثيرا عن قيام أول جمهورية إسلامي و
ببلاد المغرب الأوسط أفادنا في عديد النقاط التي تخص الدولة الرستمية من التأسيس الى السقوط واهم
الأسباب

جودت عبد الكريم يوسف العلاقات الخارجية للدولة الرستمية . كانت دراسته قيمة في ما يخص تلك العلاقات بين الدولة الرستمية وباقي البلاد وقد ساعدنا في أهم العلاقات وبرز الثورات خاصة موقعة مانو أيضا أهم معالم طريق بلاد السودان

عبد المجيد بن حمدة المدارس الكلامية بافريقية الى ظهور الأشعرية . كتاب قيم خاصة في إبرازه اعم الفرق ودورها فقد اعتمدنا عليه في إبراز أهم الفرق الكلامية أيضا كما ساعدنا بالتعريف دور المذهب الإباضي وتطوره واهم رواده ومؤسسيه

إبراهيم بكير بحازو آخرون معجم أعلام الإباضية كانت الاستفادة منه في الترجمة لعدد رجال الفكر الإباضي .

عمر خليفة النامي دراسات عن الاباضية ترجمة ماهر جرار ومخائيل خوري ساعدنا خاصة في الحديث عن حملة العلم .

تاديوس ليفتسكي المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية. ترجمة ماهر جرار وربما جرار اعتمدنا عليه في الترجمة لبعض معالم المذهب الإباضي

أهم الصعوبات:

من بين الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا , إن أغلبية المصادر والمراجع التي خصت ابو يعقوب الوارجلاني بالدراسة هي من المصادر الإباضية , أما باقي المصادر والمراجع فكان التركيز فيها على الإرهاصات الأولى للدخول الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي , والتأسيس للدولة الرستمية واهم أئمتها مع الترجمة الغير معمقة لرواد الفكر, مع ندرة بعض المصادر التي تعذر الوصول إليها, لكونها مازالت مخطوطا واعتمدنا على ما نقله إلينا من وصلت إليه بعد تحقيقها أو الإشارة إليها. لكن رغم هذا فقد ذلت تلك الصعاب بتوجيهات الأستاذ المشرف الذي له منا جزيل الشكر والعرفان, الذي رافقنا مدة البحث وأمدنا بالعناية رغم ارتباطاته إلا انه كان لنا الداعم المعنوي والعلمي والتوجيهي الكبير, فله كل الشكر مجددا.

أخيرا وليس بعده آخر إن بحثنا هذا المتواضع, ماهو الا دراسة بسيطة لهامة علمية من هامات الفكر الإباضي التي كان لها الدور الكبير في إحياء والحفاظ على الموروث الحضاري للمذهب الإباضي, سائلين المولى تعالى التوفيق والسداد.

مقدمة:

استطاعت سياسة الأئمة الرستميين في بلاد المغرب الإسلامي , والمغرب الأوسط تحديداً من أن تبني قاعدة حضارية متينة, شملت العديد من المجالات الثقافية والسياسية والتجارية , تضاهي باقي الحضارات كالقيروان وقرطبة وفاس, المعتمدة أساساً على القدرة والكفاءة العلمية بالعاصمة تيهرت, هذه الحضارة ألفت بظلالها على تلك الحواضر المجاورة, وخاصة الممتدة في صحراء المغرب الأوسط فكانت منها وارجلان التي كانت محورا علميا وتجاريا ودينيا الى بقية الأمصار, منها بلاد السودان كمعبرا تجاريا هاما وبلاد الحجاز ركبا للحجاج هذا عقب سقوط العاصمة تيهرت سنة 296هـ/909 م. عرفت وارجلان في هذه الفترة حركة علمية كبيرة أفرزت العديد من المشايخ والعلماء, الذين تركوا آثارهم في شتى المجالات والميادين العلمية والعقدية والكلامية والتاريخية, وهو ما يعد العصر الذهبي للفكر الإباضي.

من بين أهم الرواد والعلماء الذين تبوؤوا المكانة العلمية الكبيرة, في منطقة وارجلان ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت 570هـ/1170م), الذي يعد من أهم المصادر وموردا شرعيا للمذهب الإباضي نظير ما تركه من علوم كلامية وفكرية وتاريخية وأصولية, كذلك في علم الحديث والتفسير وفي ظل ذلك الزخم العلمي الذي عرفت به المنطقة برز بين معاصريه وأقرانه الأمر الذي جعل منه موسوعة معرفية كبيرة.

ولمعرفة الدور الذي قام به ابو يعقوب الوارجلاني, كان موضوع دراستنا من خلال بحثنا المعنون بـ :

(أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ودوره في الفكر الإباضي)

(500-570 هـ/1100-1170 م)

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة في تلك القيمة العلمية والفكرية التي يتصدرها ابو يعقوب الوارجلاني, باعتباره مصدرا ومرجعا أساسيا للمذهب الإباضي بفضل آثاره الفقهية والأصولية والكلامية العقدية, التي أصّلت للعديد من القواعد الشرعية التي اعتمدها المذهب الإباضي, على هذا الأساس كان اختيارنا للموضوع.



أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية

1/ الأسباب الذاتية:

- بناء على اقتراح الأستاذ المشرف ورغبتنا في معرفة رجالات الفكر الإباضي والدور الذي لعبه ابو يعقوب الوارجلاني كأحد أقطاب الفكر الإباضي, ايضا الميول وحب التطلع على المواضيع الفكرية .
- اهتمامنا بالبحث في خبايا الفكر الإباضي من خلال دراسة حياة احد شيوخه فكان ابو يعقوب الوارجلاني.
- الرغبة في تقصي ذلك الدور الذي أوكل لعلماء الإباضية في سبيل المحافظة على أسس الدولة الإباضية وكيانها.
- الرغبة في إثراء رصيدنا المعرفي والعلمي بالتعرف أكثر على الفكر والمذهب الإباضي من خلال رواده.

2/ الأسباب الموضوعية:

- قلة الدراسات المعمقة حول شخصية أبي يعقوب الوارجلاني, حيث لم يحض بالدراسة الكافية التي تنصفه وتنصف مصنفاته وآرائه العلمية
- معرفة الدور الذي لعبته حاضرة وارجلان , كقطب علمي هام شمل العديد من الأطياف الفكرية حتى أصبحت مقصد العارفين.
- محاولة متنا بهذا البحث ,وضع لبنة جديدة في رفوف المكتبة الجامعية, من خلال دراستنا الأكاديمية المتواضعة لهذا الموضوع.

إشكالية الموضوع:

تكمن إشكالية الموضوع في إيجاد تلك العلاقة بين البيئة العلمية وارجلان , التي استطاعت تهيئة المناخ المناسب للإبداع الفكري والعلمي , والدور الذي قام به علماء الحاضرة ومنهم أبي يعقوب الوارجلاني , في ظل تلك التجاذبات الفكرية والفلسفية والعقدية, من خلال عملية التأثير والتأثر.

وبناء على ذلك كانت صياغة إشكالية الموضوع على النحو التالي:

ماهو الدور الذي قام به ابو يعقوب يوسف الوارجلاني في النهوض بالفكر الإباضي؟ وما هي أهم آثاره وآراؤه الكلامية و العقدية؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية إشكاليات فرعية وجب الإجابة عليها وهي:

1/ماهو الدور الذي قام به النظام الرستمي السائد في المحافظة على الموروث الحضاري والعلمي؟

2/ماهو الدور الذي استطاعت حاضرة وارجلان أن تقوم به في سبيل المحافظة على المذهب الإباضي؟

3/كيف استطاع المذهب الإباضي الفرار بفكره لوارجلان وإعادة هيكله نفسه؟

4/ابرز أعلام ورواد الفكر الإباضي في تلك الحواضر ودورهم في النهوض بالحركة الفكرية

منهج الدراسة:

من اجل الإجابة على تلك الإشكالية وما تفرع عنها من أسئلة فرعية,لابد من الاستعانة بالمنهج التالية:

المنهج التاريخي: الذي قمنا باستخدامه في جمع تلك المعلومات , المرتبطة بشخصية أبي يعقوب الوارجلاني والتي تتماشى وسير الأحداث التاريخية, ترتيبا كرونولوجيا .

المنهج الوصفي: اعتمدنا هذا المنهج في وصف الأحداث والأماكن, خاصة إثناء دراسة رحلته الى الأندلس وبلاد السودان والحجاز وتبع الحواضر وما تحويه.

المنهج الاستقرائي: استخدمنا هذا المنهج في استخراج آراء أبي يعقوب الكلامية والعقدية والأصولية من خلال كتابه الدليل والبرهان وكتابه العدل والإنصاف.

المنهج المقارن: الذي اعتمده في مقارنة آراء المصادر في بعض التسميات والتواريخ، والترجيح في بعض الآراء الكلامية ومواطن الاختلاف والاتفاق، بين أبي يعقوب وغيره خاصة في قضية خلق القرآن.

الدراسات السابقة :

يتبن من خلال دراستنا لهذا الموضوع والبحث في التاريخ الإباضي في شتى مجالاته، خاصة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، إن الدراسات السابقة كان التركيز فيها كلية عن الإرهاصات الأولى للوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى المدارس الكلامية والفرق التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي، فكانت أطروحة دكتوراه الباحث علال بن عمر التي كان بعنوان إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب وانتقاله من القرن 3 هـ/9 م إلى 9 هـ/15 م كانت دراسة عميقة للوجود و للفكر الإباضي، ثم الحديث عن الدولة الرستمية دولة ومجتمعاً فكانت دراسة إبراهيم بكير بحاز في كتابه الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، تطرق فيه إلى عناصر المجتمع وأهم طوائفه ونظمه، أيضاً أهم الدراسات عن الحواضر دراسة عمر سليمان بوعصبانة معالم الحضارة بوارجلان 296-626 هـ/909-1229 م رسالة ماجستير تطرق فيها إلى منطقة وارجلان، التسمية والسكان دراسة اثنية جغرافية كذلك الدراسة عن الحاضرة، أما الدراسة المخصصة في شخصية أبي يعقوب الوارجلاني، فكانت قليلة مقارنة بعلمه فأهما دراسة مصطفى بن صالح باجو خصها بعنوان، أبو يعقوب الوارجلاني أصولياً دراسة لعصره وفكره الأصولي مقارناً بأبي حامد الغزالي فهي تعتبر أول دراسة متخصصة درست شخصية إباضية، لها رصيدها الفكري مقارنة بابي حامد الغزالي صاحب المستصفى، أيضاً دراسة بكير سعيد اعوشت أبو يعقوب الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية، نتكلم عن أبي يعقوب وعلمه ورحلاته وأرائه الكلامية، أيضاً رسالة ماجستير للباحثة دليلة خيزي في أصول الدين جامعة الجزائر بعنوان الآراء الكلامية لأبي يعقوب الوارجلاني أفادتنا في إبراز أهم المعالم والآراء للوارجلاني من خلال الدليل والبرهان إضافة إلى تلك الكتب الخاصة بالترجمة للإعلام، أهمها معجم أعلام الإباضية لإبراهيم بحاز وآخرون فقد شمل العديد من الأعلام الإباضية مشرقاً ومغرباً. أيضاً خص عبد الرحمان الجيلاني أبو يعقوب الوارجلاني مقالا في مجلة الأصالة العدد 41 دراسة تكاد تكون مقتصرة مكتفياً بأهم مؤلفاته وهو الدليل والبرهان. كما كانت أيضاً في الآونة الأخيرة بعض الدراسات على غرار الملتقيات العلمية خاصة في أعلام الفكر الإباضي فكانت دراسة الباحث محمد ناجي، جامعة قابس تونس، كمدخله بعنوان من وارجلان إلى

قرطبة قراءة في تأثير المجال في فكر أبي يعقوب يوسف الوارجلاني, المتقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين 4/3 الهجريين, جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي 12/11/2019 فيفري.

مضامين الموضوع :

ومن أجل دراسة هذا الموضوع اعتمدنا الخطة التالية, التي تضمنت مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

المقدمة: والتي اشتملت على فقرة تمهيدية وعنوان الموضوع, ثم الأسباب الذاتية والموضوعية في اختيار الموضوع, وطرح الإشكالية والمنهج المتبع وخطة البحث والصعوبات التي واجهتنا.

الفصل التمهيدي لذي حمل عنوان **الوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي** كان الحديث فيه عن دخول المذهب الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي, وتلك الظروف التي كانت سائدة والتي يعيشها سكان البربر من وراء السياسة الأموية ومحاولة البربر الخروج من ذلك الوضع, ودور سلمة بن سعيد في إرساء قواعد المذهب الإباضي باختياره لحملة العلم, من اجل نشر الدعوة ثم التطرق للدولة الرسمية من تيهرت الى جبل نفوسة عبر وارجلان, ودورها السياسي والحضاري والعلمي على باقي الحواضر.

أما الفصل الأول كان بعنوان **البيئة العلمية لأبي يعقوب الوارجلاني** حيث كان الحديث فيه عن حاضرة وارجلان, موقعها وتأصيل تسميتها من خلال المصادر ثم الانتقال الى دخول المذهب الإباضي الى حاضرة وارجلان, بعد سقوط العاصمة تيهرت وأسباب السقوط وفرار الأئمة الرسميين إليها وكان منهم, يعقوب بن افلاح ثم الحديث عن ابرز رواد الفكر الإباضي بوارجلان.

وكان الفصل الثاني عنوانه **ابو يعقوب الوارجلاني حياته وتعلمه منذ بدايات عمره الى أن توفاه الأجل (500-570هـ)**, نتحدثنا فيه عن مولده ونشأته وبدايات تعلمه بوارجلان, ثم التطرق الى ابرز شيوخه وأبرزهم الذي رثاه بقصيدته البائية وهو أيوب بن إسماعيل المزاتي, ومعاصروه وتلاميذه ثم الحديث على رحلة الوارجلاني الى بلاد الأندلس وبلاد السودان التي اكتشف فيها خط الاستواء ثم رحلته الحجازية التي نسج فيها قصيدته الحجازية.



اما الفصل الثالث حمل عنوان ابو يعقوب الوارجلاني ودوره في الفكر الإباضي وهو بوصلة الموضوع والجانب العملي منه حيث تحدثنا عن دوره آراؤه الكلامية والعقدية وفلسفته حيث كان له كتابا في الفلسفة بعنوان (مروج الذهب) كما علم بعلم التنجيم, أيضا خلد العديد من الآراء الكلامية والعقدية من خلال كتابه (الدليل والبرهان) الذي يعتبر عمدة الكتب والمصادر الإباضية أيضا له آثاره في الفقه وعلم الأصول حيث كانت له الأجوبة على تلك الرسائل, وكتابه (العدل والإنصاف) الذي يعتبر مصدرا مهما للقواعد الأصولية, أيضا من آثاره في علم التاريخ كتابه فتوح المغرب), أيضا اشتغل ابو يعقوب بعلم الحديث من خلال ترتيبه سند الربيع بن حبيب, ثم تطرقنا الى أبي يعقوب مفسرا حيث كان له سفرا عجيبا فسر فيه عديد الآيات منها الفاتحة والبقرة, إضافة الى تضلعه في الشعر والأدب من خلال قصائده الحجازية التي تكلم فيها عن رحلته وآدائه مناسك الحج, وقصيدته البائية التي رثى فيها شيخه أيوب بن إسماعيل.

في ختام بحثنا استخلصنا جملة من النتائج, التي توصلنا إليها من خلال الإجابة على تلك التساؤلات, التي طرحناها, مدعمين موضوع بحثنا ببعض الملاحق التي تعطي للموضوع قيمة علمية إضافية.

عرض المصادر والمراجع وتحليلها:

وقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع التي يمكن عرضها كالآتي:

كتاب سير الأئمة وإخبارهم لأبي زكرياء ابن بي بكر السدراتي الوارجلاني (ت 471هـ/1078م) تحقيق إسماعيل العربي, وقد أفادنا في تاريخ الإباضيين في بلاد المغرب, خاصة دخولهم إليها وتاريخ الدولة الرستمية تأسيس العاصمة تيهرت وسقوطها والمقاومة الإباضية الشيعية الفاطمية, والحديث عن أهم الثورات إضافة عن سير بعض أعلام المذهب الإباضي, ويعد أهم مصدر للدرجيني و الشماخي

كتاب طبقات المشايخ في المغرب لأبي العباس احمد بن سعيد الدرجين (ت 670هـ/1272م) تحقيق إبراهيم طلاي, وقد شمل مجموعة من سير علماء إباضيين مقسمة الى اثنتا عشرة طبقة كل طبقة خمسين سنة, اعتمدنا عليه في تكلمه عن ابو يعقوب الوارجلاني ويعد مصدرا أساسيا في البحث ومن

جملة المصادر المعتمدة في المذهب الإباضي. إضافة الى أن معظم المصادر قد أخذت عنه ترجمة ابو يعقوب الوارجلاني.

سير أبي عما عبد الكافي (ت ق 6هـ/12م) تحقيق مسعود مزهودي من منطقة تناوت قرب وارجلان كان قد تتلمذ على أبي يعقوب الوارجلاني ,اشتهر بعلم الكلام واللسانيات وقد أفادنا كتابه بالحديث عن حلقة العزابة والترجمة لعديد العلماء الإباضية وكان منهم أبي يعقوب الوارجلاني .

كتاب سير المشايخ للإمام أبي العباس بن سعيد الشماخي (ت928هـ/1522م) تحقيق احمد بن سعود السيابي, وهو من المصنفات التي أدرجت أهم أعلام الإباضية البارزين علاوة على روايات الدخول الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي,وقد استفدنا منه في ترجمته لأبي يعقوب وتحديد تاريخ وفاته.

كتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني (ت 570هـ/1170م) الذي يعتبر مصدر رئيسي للمذهب والفكر الإباضي لما يحويه على عديد الآراء الكلامية والعقدية التي تركها أبي يعقوب وقد استفدنا منه في تخريج تلك الآراء وكان أساس بحثنا خاصة في الفصل الثالث مبحث الآراء الكلامية

كتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني (ت570هـ/1170م) ويعد من المؤلفات المهمة في علم الأصول للمذهب الإباضي ومصدر تلك القواعد الشرعية التي كان لأبي يعقوب فيها رأيه وهو من المصادر المهمة في التشريع الإباضي ومهما جدا خاصة في حلقة العزابة,وقد ساعدنا في ذكر آراء أبي يعقوب الأصولية التي مصدرها الكتاب والسنة.

كتاب البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م) تحقيق بشار عواد ومحمود عواد حيث يعد كتاب اختصاص لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الى غاية تأسيس الدول وقد اعتمدها في الحديث عن الدولة الرستمية وتأسيسها وأتمتها .

غصن البان في تاريخ وارجلان لإبراهيم بن صالح بابا حمو اعزام (ت 1384م) تح إبراهيم بكير بحاز وبن محمد بو معقل وهو كتاب مختص في تاريخ وأعلام منطقة وارجلان أفادنا كثيرا في التعريف بوارجلان واصل التسمية واصل سكانها واهم علمائها وخاصة أبي يعقوب الوارجلاني إضافة الى حملة العلم.

كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت367هـ/977م) يعد كتاب جغرافي وضع وصفا لمدينة تيهرت .

كتاب الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ت548هـ/1134م).

كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م).

ومن بين المراجع:

مصطفى بن صالح باجو ابو يعقوب الوارجلاني اصوليا دراسة لعصره وفكره مقارنا بابي حامد

الغزالي

مسعود مزهودي الاباضية في المغرب الاوسط

محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة تكلم كثيرا عن قيام اول جمهورية اسلامي و
ببلاد المغرب الأوسط أفادنا في عديد النقاط التي تخص الدولة الرستمية من التأسيس الى السقوط واهم
الأسباب

جودت عبد الكريم يوسف العلاقات الخارجية للدولة الرستمية .

عبد المجيد بن حمدة المدارس الكلامية بافريقية الى ظهور الاشعرية .

ابراهيم بكير بحازو اخرون معجم أعلام الاباضية كانت الاستفادة منه في الترجمة لعديد رجال الفكر
الإباضي .

عمر خليفة النامي دراسات عن الاباضية ترجمة ماهر جرار ومخائيل خوري

تاديوس ليفتسكي المؤرخون الاباضيون في افريقيا الشمالية. ترجمة ماهر جرار وربما جرار

أهم الصعوبات:

من بين الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا , إن أغلبية المصادر والمراجع التي خصت ابو يعقوب
الوارجلاني بالدراسة هي من المصادر الإباضية , أما باقي المصادر والمراجع فكان التركيز فيها على
الإرهاصات الأولى للدخول الإباضي لبلاد المغرب الإسلامي , والتأسيس للدولة الرستمية واهم أئمتها

مع الترجمة الغير معمقة لرواد الفكر, مع ندرة بعض المصادر التي تعذر الوصول إليها, لكونها مازالت مخطوطا واعتمدنا على ما نقله إلينا من وصلت إليه بعد تحقيقها أو الإشارة إليها. لكن رغم هذا فقد ذلت تلك الصعاب بتوجيهات الأستاذ المشرف الذي له منا جزيل الشكر والعرفان, الذي رافقنا مدة البحث وأمدنا بالعناية رغم ارتباطاته إلا انه كان لنا الداعم المعنوي والعلمي والتوجيهي الكبير, فله كل الشكر مجددا.

أخيرا وليس بعده آخر إن بحثنا هذا المتواضع, ماهو الا دراسة بسيطة لهامة علمية من هامات الفكر الإباضي التي كان لها الدور الكبير في إحياء والحفاظ على الموروث الحضاري للمذهب الإباضي, سائلين المولى تعالى التوفيق والسداد.

المختصرات

المختصرات:

بالأجنبية

بالعربية

p:Page

ت: توفي

تح: تحقيق

تر: ترجمة

ج: جزء

دس: دون سنة الطبع

دم: دون مكان مطبعة

ص: صفحة

ط: طبعة

م: ميلادي

مج: مجلد

مر: مرجع

مرا: مراجعة

مخ: مخطوط

هـ: هجري

الفصل التمهيدي

الوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب

المبحث الثاني: حملة العلم ينشرون الإباضية بحواضر صحراء

المغرب الإسلامي

المبحث الثالث: الدولة الرستمية من تيهرت الى جبل نفوسة

عبر وارجلان

تمهيد:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي خلال السنة الثانية للهجرة فترة الحكم الأموي , ومن خلال سياسات بعض الولاة اتجاه البربر مثل يزيد بن مسلم الثقفي وعبيد الله بن الحبحاب السلولي, التي اتسمت بالتمهيش والشدة حتى وصل بهم الأمر الى اعتبارهم فيئا وعملوا على تخميسهم, واتخذوا منهم حرسا وبطانة وطلبوهم بدفع الجزية, وكان في نيتهم وشم كلمة حرس على أيديهم لتمييزهم عن غيرهم, أمرا إياهم بالرجوع الى قراهم وأريافهم الأصلية, علاوة على سياسة أبي الحبحاب في التودد الى الحكام بسبي نساء البربر الجميلات وبعثها لهم مع الأدم العسلية¹, أثارت تلك السياسة رد فعل البربر اتجاه أولئك الولاة. في ظل هذه الظروف وجدت الدعوة الإباضية القادمة من المشرق ضالتها في بلاد المغرب الإسلامي , باستمالة قلوب البربر بمناداتهم بالعدل والمساواة وان لا فرق بين عربي على بربري او أعجمي إلا بالتقوى والكفاءة , قوبلت هذه الدعوة بالإيجاب كرد فعل على ممارسات واستفزازات بعض ولاة بي أمية² , سلك الدعاة الإباضية عديد المسالك من أجل استكمال نشر المذهب الإباضي ومنه التأسيس لكيان سياسي في بلاد المغرب الإسلامي وذلك بطرق مختلفة خاصة نشر الدعوة الإباضية بواسطة حملة العلم, وإرساء دعائم الدولة الرستمية بمبادئ المذهب الإباضي.

فكان الفصل التمهيدي الذي أردناه أرضية للوجود الإباضي , في بلاد المغرب الإسلامي وكيفية انتشاره ودور حملة العلم في ذلك ثم التأسيس للدولة الرستمية حاملة للمذهب الإباضي.

¹ ابن عذارى المراكشي , البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب , ط1 تح ,بشار عواد و محمود بشار عواد, ج1 , دار الغرب الإسلامي, تونس 1434هـ/2013م , ص 81 . موسى لقبال , المغرب الإسلامي , ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر 1981م , ص 156

² محمد علي دبوذ , تاريخ المغرب الكبير , ط1, عالم المعرفة, الجزائر , 2013 م , ج3 ص 225

المبحث الأول : دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب الإسلامي

إن البحث عن ملاذ امن من سلطان الخلافة العباسية بالمشرق والحرص على إيجاد مكان استقرار يحتضن الدعوة الإباضية وفكرها, أوجدته تلك الظروف التي كانت ببلاد المغرب الإسلامي, حيث يقول: المستشرق الفرنسي الفرد بل : " وقد انجذب الخوارج المتحمسون إلى الشمال الإفريقي, منذ عهد مبكر, لأنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة, وكان أهلها يقاومون الولاة العرب بشدة فاستطاعوا أن يجدوا فيها تربة خصبة لبذر أفكارهم"¹ مضيفا ما ذكره المستشرق الهولندي رينهارت دوزي في كتابه (تاريخ المسلمين في اسبانيا) متحدثا عن نجاح الخوارج في الشمال الإفريقي قائلا : " لم يجد علماء الخوارج المخلصون المتحمسون, ما وجدوه هنا من استعداد لقبول دعوتهم... لقد اعتنق سكان شمال إفريقيا كل شيء بحماسة, لا يبلغ مداها التعبير كانوا بسطاء جهلاء فمن العبث البحث عن الفرقة التي تم الانتماء إليها, الحزبية أو الصفرية أو الإباضية, ... لكنهم اعتنقوا أرائهم الثورية التي شاركت آمالهم"², نظير تلك الممارسات التي كانت ضد السكان البربر من قبل ولاة بني أمية, الذين بسطوا نفوذهم في بلاد المغرب الإسلامي, كما ذكر "علاوة عماره" في معرض حديثه عن تصرفات بني أمية قوله " تاركين سكان البربر على هامش الأحداث التي جرت في دار الإسلام إلى غاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري, أين وصلت إليهم الأفكار الثورية الخارجية, وهو مذهب المعارضة ومناداتهم بتطبيق مبدأ الشورى والمساواة والعدالة الاجتماعية بين العرب والبربر, ضد تلك الممارسة الحديدية"³, فكان رد فعلهم عنيف بأن تبنا الأفكار الإباضية وأصبحت بمثابة رد فعل إيديولوجي, ضد تعسف الولاة وضد تلك الممارسات السياسية والاقتصادية, فكان بذلك دعاة المذهب الإباضي خير رسل لإعادة عدالة الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي⁴, منذ بداية القرن الثاني الهجري هذه المبادئ التي دخل بها دعاة الإباضية, ناسبت

¹ الفرد بل, الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي, من الفتح العربي حتى اليوم, ط3 دار الغرب الإسلامي, بيروت لبنان, 1987م ص145

² الفرد بل, المرجع نفسه ص 146

³ علاوة عماره, انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط, قراءة سوسولوجية, مجلة آفاق الثقافة والتراث, تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات, مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث, عدد 56 ذو الحجة 1427هـ/جانفي 2007 م ص 25

⁴ علاء بن عمر, إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب وانتقاله من القرن 3هـ/9م إلى 9هـ/15م رسالة دكتوراه, جامعة غرداية سنة 2018 ص 65

متطلبات تلك القضايا المطروحة من قبل بربر بلاد المغرب الإسلامي, في سبيل التخلص من قهر ولاية بني أمية هذا من جهة ومن جهة ثانية ذلك الغلو الذي مارسه عليهم الصفرية, الذين ابتعدوا عن تعاليم الدين الإسلامي¹ فكانت فرصة سانحة لانتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي. وتذكر المصادر الإباضية على لسان عبد الرحمان بن رستم, أن أول داع إلى المذهب الإباضي هو سلمة بن سعيد الحضرمي الذي قدم من البصرة التي كانت موطننا ومنبعاً للفكر الإباضي برعاية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة, وكان مع سلمة أبو عبد الله عكرمة مولى بن عباس متعقبين على بعير فسلمة يدعو إلى الإباضية وعكرمة يدعو إلى الصفرية,² ويرجح المالكي وصولهما عام 105 هـ وهو عام وفاة عكرمة بالقيروان وعمره ثمانون سنة.³

كما ترى عديد المصادر أن الانتقال الحقيقي, كان بانتقال سلمة بن سعيد الذي نقل مبادئ المذهب الإباضي إلى إفريقية أوائل القرن الثاني الهجري, ناقلاً أفكار معلمه أبي عبيدة عن أبي الشعثاء جابر بن يزيد, وقد أثمر نشاطه بأن جمع مجموعة من الطلبة, من جهات مختلفة وأشرف على سفرها إلى البصرة وسموا بحملة العلم الذين سيأتي ذكرهم لاحقاً.⁴ في حين تنوه بعض المصادر الإباضية بأن أول رحلة كانت إلى البصرة في سبيل العلم كانت لمغربي وهو محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجنائوي النفوسي⁵ الذي

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1 ص 84. موسى لقبال، المرجع السابق ص 163،

² أبو العباس الدرجمي، طبقات المشايخ بالمغرب د ط تح إبراهيم طلاي، مكتبة البعث الجزائر، ج 1، ص 70. أبو زكريا يحيى بن أبي بكر سير الأئمة وأخبارهم، ط 2 تح إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي 1402 هـ/1982 م ص 55

³ أبو بكر بن محمد المالكي، رياض النفوس، ط 2 تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1414 هـ/1994 م ج 1 ص 145

⁴ موسى لقبال، المرجع السابق ص 166

⁵ عبد الحميد بن مغطير الجنائوي النفوسي: حي بعد عام 160 هـ/776 م أول مغربي يرحل إلى المشرق درس على أبي عبيدة قبل سلمة بن سعد وقبل حملة العلم الخمسة إلى المغرب بداية القرن الأول الهجري، عاد إلى جبل نفوسة وصار عالماً مفتياً، ويعد تابعي التابعين إذ ليس بينه وبين الصحابة إلا رجلان، وهما أبو عبيدة وجابر بن زيد، عايش العديد من المحطات كدولة عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140 هـ ودولة أبي حاتم الملوذي سنة 154 هـ والدولة الرستمية سنة 160 هـ حيث اتخذ عبد الرحمن بن رستم مرجعاً للفتوى في جبل نفوسة. إبراهيم بن مجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية ط 2 دار الغرب الإسلامي بيروت 1421 هـ/200 م ص 385، علال بن عمر المرجع السابق ص 66، نقرين بن محمد البغطوري، سير مشايخ نفوسة. د ط تح، عياد الشقروني، مؤسسة توالث الثقافية 2009 م ج 2 ص 124

انتقل إلى مركز الدعوة بالبصرة و لم يكن ليعرف ذلك لولا اتصاله المبكر بدعاة مصريين منهم بن اليسع المصري , وأبي إسحاق المصري , و عيسى بن علقمة المصري وهو ما ذكره الشماخي¹.
 رجع بن مغطير إلى بلده نفوسة أين أصبح فيها مفتيا وكان شيخا فاضلا فقيها وكيف لا وقد اخذ علمه على يد شيخه أبي عبيدة بن أبي كريمة , أيضا ما ذكره الدرجيني ممن رحل إلى البصرة قبل سلمة عندما أراد عبد الرحمن بن رستم الاستزادة من العلم قال: له رجل من أهل الدعوة , إن كنت تريد العلم بما كلفت به , وعلق مطلبه بخاطرك قدوتك ارض البصرة فان فيها رجل عالم يكنى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة , فانك تجد عنده ما تطلب² فلذلك توجه عبد الرحمن بن رستم إلى البصرة. وهو ما يفسر أن الرحلات الأولى إلى البصرة من قبل دعاة الإباضية قبل سلمة بن سعيد , قد أوجدت أرضية بتشكيل تجمعات إباضية يأتي إليها الدعاة باستمرار, من البصرة حاملين توجيهات الأئمة , خاصة ابن أبي كريمة وسلمة بن سعيد ,الذي قام بتكوين تلك البعثة العلمية الجماعية , التي استقرت بطرابلس عند رجوعها من البصرة³ أين توجد قبائل زناتة خاصة في جبل نفوسة , وبفضل اجتهاد أولئك الدعاة في نشر أفكارهم المبنية على المبادئ العامة التي يفقهها عامة الناس⁴, أصبحت طرابلس محورا للإفتاء, حيث بايعوا ابا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري, إماما ورئيسا وعينا بن درار الغدامسي قاضيا على افريقية, وعبد الرحمن بن رستم عاملا على سرت أما جانب التعليم والدعوة فقد اوكت الى عاصم السدراتي وابي داود القبلي وهؤلاء حملة العلم الخمسة⁵.

واختصارا لما سبق يمكن أن تكون أهم عوامل انتشار واستقرار المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي تلك النزعة الاستقلالية لدى بربر بلاد المغرب وتلك الدعاية الإباضية التي قام دعائهم بها ومن خلالها كان تشخيص الداء ونشر أفكارهم التي ارتضاها أهل بلاد المغرب في سبيل الخروج من استبداد بني أمية من ناحية، إضافة إلى استغلال دعاة الإباضية تلك الأخلاق الفاسدة والفضيحة، التي كان عليها

¹ الشماخي, كتاب السيرة طح , احمد بن سعود السيادي, وزارة التراث القومي والثقافة عمان 1407هـ/1987م ج1 ص 128, علال بن عمر المرجع السابق, ص 66

² الدرجيني, المصدر نفسه, ج 1 ص 20. أبو زكريا, المصدر السابق ص 55. الشماخي, المصدر نفسه ص 128

³ عبد الرحمان عثمان حجازي, تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي, من القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر

الهجري, ط1 المكتبة العصرية صيدا بيروت ص 40

⁴ الدرجيني, المصدر السابق ج 1 ص ص 19-23

⁵ الشماخي, المصدر السابق ج 1 ص 128

الصفيرية في القيروان وغيرها مثل ورفجومة , حيث قاموا بسبي نساؤها وأطفالها وربطوا دوابهم بمساجدها , فكان بذلك المذهب الإباضي تلك القوة السياسية الوحيدة التي يمكن لأهل القيروان الاستعانة بها , بعد أن افلتت قوة الفهريين , وكان نجاحهم بتنظيم صفوفهم بواسطة حملة العلم الخمسة¹.

المبحث الثاني : حملة العلم ينشرون المذهب الإباضي بحواضر صحراء المغرب الإسلامي.

بدأ نشاط حملة العلم في نشر العقيدة الإسلامية في شمال افريقية , في العقود الأولى من القرن الثاني الهجري , حيث جرى اختيارهم كما سبق أن ذكرنا ذلك من مناطق مختلفة وخاصة المنطقة الوسطى , وبالتالي تكون كل منطقة ممثلة بزعيمها الديني من السكان الأصليين .

وقد جاء التعريف بحملة العلم في معجم مصطلحات الإباضية " هم الذين تخرجوا من مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة , في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي , أخذوا عنه الأصول والفقهاء الإسلامي , ثم انتقلوا إلى بلدانهم كدعاة وعلماء ليشكلوا النواة الأولى , للفكر الإباضي والعمل السياسي , في مناطقهم بالمغرب , وقد تتلمذوا على أبي كريمة في سردابه " حملة العلم هؤلاء يمثلون بواكير الدعوة الإباضية التي هاجروا من أجلها في سبيل الاستزادة من العلم , وهم : عبد الرحمان بن رستم من القيروان بتونس و أبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس بليبيا , وأبو داود القبلي النفاوي من نفاوة تونس , وعاصم السدراتي من سدراته جنوب وارجلان ممثلا لواحاحات اريغ واسوف وسدراته ووارجلان.² وستعطي ترجمة وافية هؤلاء فيما سيأتي :

1- عاصم السدراتي : (ت 141هـ/758م)

هو من علماء القرن الثاني الهجري ترعرع بين أحضان قبيلته بسدراته , غرب الأوراس وجنوب وارجلان أحب العلم منذ صغره وسعى في حفظ كتاب الله , بحضوره لمجالس العلم والعلماء في هذه الفترة قدم الداعية سلمة بن سعد بدعوته لبلاد المغرب الإسلامي , فكان يدعو الناس إلى التفقه في الدين والسفر إلى منازل الوحي , بلغ عاصم السدراتي ما يدعو إليه سلمة وما اخبر عنه من مساجد المشرق

¹ محمد عيسى الحريري, الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي , ط3 دار القلم للنشر والتوزيع الكويت 1408هـ/1987م ص 68
² مجموعة من الباحثين , معجم مصطلحات الإباضية , ط 2 , وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عمان 2011 م , ج 1 ص 307-308.
 عمر خليفة النامي, دراسات عن الإباضية , ط2 تر ماهر جرار و مخائيل خوري دار الغرب الإسلامي تونس 2012 ص 113

ومجالس علمائها، وما تحويه من دور للعلم وخاصة البصرة حيث عالمها أبي كريمة¹، كان سفره للمشرق رفقة اثنين من حملة العلم ببلاد المغرب، وهما أبو درار الغدامسي وأبو داود القبلي، رحل ممثلاً لوائح اريغ واسوف ووارجلان، اتصلوا بالبصرة حيث مكثوا بها مدة الخمس سنوات من سنة (135هـ إلى 140 هـ) مجالسين لكبار التابعين وتابعي التابعين خاصة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، جمع العلم والعمل والجهاد والحزم والشدة² والعزم والرأي، كان وحيد الدهر فريد العصر، حتى أصبح من أئمة المغرب ومشاهير أشياخها وقادة أهلها. بعد عودته حمل عاصم لواء الدعوة والتعليم، وظل ينتقل بين الفيافي والقفار والصحاري يعلم الناس أمور دينهم، ويحل مشاكلهم من جبل نفوسة إلى غدامس وجبال الأوراس ووارجلان، التي يعتبر أصيلها حيث سافر ليها وعمل على نشر العلم فيها وبين قبائلها خاصة سدراثة،³ اتخذ في طريقه العديد من المصليات كانت مجالس علمية، عمل تتلمذ على يده العديد من الطلبة مثل عبد الرحمان بن رستم وأيوب بن العباس⁴، فوق هذا فقد كان السدراتي فارساً وقائداً حريياً، حيث مجرد إعداد أبو الخطاب المعافري الجيوش لدخول القيروان إلا وكان من السباقين في الانضمام إليه⁵، حيث مرض أثناء حصار القيروان مرضاً شديداً واشتهى القشاء⁶، فسمع به أهل القيروان وأرسلوا له القشاء وسموا له واحدة، فقضى نحبه مسموماً بها.⁷

2- أبو الزاجر إسماعيل بن درار الغدامسي (أبو المنيب) (حي في 211 هـ/826م)

بن درار الغدامسي نسبة لبلده غدامس جنوب طرابلس ليبيا، يكنى أبو درار رحل مع البعثة العلمية ممثلاً لوائح فزان وغدامس باتجاه المشرق، مع أولئك الشباب الذين اختارهم سلمة بن سعيد⁸، من

¹ إبراهيم بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى غاية العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي، ط 2

دار الغرب الإسلامي، بيروت 1420هـ/1999م ص 239

² الشماخي، المصدر السابق ج 1 ص 126

³ عمر سليمان بوعصبانة معالم الحضارة بوارجلان 296-626 هـ/909-1229م رسالة ماجستير معهد اصول الدين جامعة الجزائر

سنة 1412 هـ/1992م ص 58

⁴ إبراهيم بكير بحاز وآخرون، المصدر السابق ص 239

⁵ الشماخي، المصدر نفسه ج 1 ص 126

⁶ القشاء: ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى " فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسَها

وَبَصَلِها ۝ " سورة البقرة الآية 61 والقشاء في القاموس المحيط بمعنى الخيار أو ما يعرف بالفقوس وهو نوع من القرعيات، الفيروزبادي،

القاموس المحيط، دط دار الحديث القاهرة 1429هـ/2008م ص 1288، الدرجيني، المصدر السابق، ج 1 ص 19

⁷ إبراهيم بكير بحاز وآخرون، المصدر نفسه ص 239، عبد الرحمان عثمان حجازي، المرجع السابق ص 42

⁸ الشماخي، المصدر نفسه ج 1 ص 122

أجل حمل راية الدعوة ونشر تعاليم الدين , تتلمذ على يد أبي عبيدة بن أبي كريمة , في البصرة بمعية حملة العلم الخمسة كما أسلفنا , اشتهر أبو درار بالعلم والتعليم والعمل والورع¹ . لما أتموا تعليمهم فكروا بالرجوع لبلاد المغرب , و قام بتوديعهم أبو عبيدة ناصحا ومرشدا وكان أبو درار يسأل في أبي عبيدة لحظة الوداع مغتتما فرصة اللقاء فسأله نحو ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام فقال له أبو عبيدة مازحا أتريد أن تكون قاضيا يا بن درار ؟ فقال له أرأيت إن ابتليت بذلك يا شيخ² , فابتلي بالقضاء فعلا وصدقت فيه فإسامة شيخه وكان ذلك عند رجوعهم إلى بلاد المغرب , حيث كان محط الركب طرابلس وعقدت الإمامة لأبي الخطاب , فقسم الوظائف السياسية بأن عين عبد الرحمان بن رستم واليا وإسماعيل بن درار قاضيا فقام بهذا المنصب متحريرا عادلا³ , أما وظيفته الثانية التي رحل من أجلها إلى المشرق فهي تربية الأجيال , وتنوير عقولهم وتعلمهم على يده العديد من الطلبة منهم , محمد بن يانس الدركلي الذي اختير بمائة رجل لمناظرة المعتزلة , فقد قسم هذا الطود عمره بين الحج والتعليم على أبي درار وزيارة تيهرت عند الإمام عبد الوهاب⁴ . بعد مقتل عاصم السدراتي وانتقال الإمامة إلى تيهرت , اعتزل أبو درار القضاء واستقر في بلده غدامس جنوب طرابلس , واشتغل بالتدريس , لحق به طلبة عاصم السدراتي , وأخذوا عليه العلم وأصبحوا ينسبونه إليه . توفي بمسقط رأسه غدامس وبها دفن وضريحه مشهور لحد الآن هناك⁵ .

3- أبو داود القبلي النفاوي (حيّ في 140هـ/757 م)

أصله من نفاوة جنوب تونس ممثلا لواحاح الجريد التونسي , رحل لبلاد المشرق , مع أفراد البعثة العلمية أو حملة العلم , من أجل التفقه في الدين والتعمق في أحكام الشريعة , وقد شجعه في رحلته سلمة بن سعيد الحضرمي الذي عمل على انتقاء الأكفأ من رجال القبائل خاصة قبائل هوارة وزناتة وسدراتة ولواتة , حتى يسهل عليهم بعد عودتهم إقناع قبائلهم بتلك الأفكار التي جاء يدعو إليها دعاة المذهب الإباضي⁶ .

¹ إبراهيم بكير مجاز وآخرون , المصدر نفسه ص 55

² الشماخي , المصدر نفسه ج 1 ص 127

³ إبراهيم بكير مجاز وآخرون , المصدر السابق ص 55

⁴ علي يحيي معمر , الإباضية في ليبيا د ط د ش ص 14 , عبد الرحمان عثمان حجازي المرجع السابق ص 42

⁵ يحيي الباروني النفوسي رسالة سلم العامة والمبتدئين , إلى معرفة أئمة الدين دط مطبعة النجاح مصر د ت ص 7

⁶ إبراهيم بكير مجاز وآخرون , المصدر نفسه ص 139

لم تشر المصادر إلى تاريخ الذهاب إلا أنها أشارت لتاريخ العودة، وهو سنة 140 هـ بعد أن قضوا مدة الخمس من السنوات ينهلون العلم من معينه بالبصرة، على يد العالم أبي عبيدة بن أبي كريمة¹، وهذا ما يدل على أن رحلتهم كانت سنة 135 هجرية، وكان مع هذه الرحلة أبو داود الذي حضى بتشجيع ونصح قائده وشيخه أبي كريمة بعدم الإفتاء حيث قال له: "لاتفت بما سمعت مني ولا ما لم تسمع، وقال للإمام عبد الرحمن أنت أفت بما سمعت وما لم تسمع، وقال لأبي الخطاب أفت بما سمعت مني"²، اعتزل أبو داود السياسة واستقر في بلده نفزة يلقي دروس العلم للناشئة، بعد أن بايع أبا الخطاب بالإمامة واستطاع أن يكون جيلا مثقفا، متشعبا بالقيم الإسلامية ومن بين تلامذته الذين جاءوا إليه بعد أن قتل عاصم السدراتي أبو خليل الدركلي³ ومحمد بن يانس⁴ وعمر بن يمكتن⁵ كان أبو داود شيخا عالما من كثرة علمه إذا جلس الإمام عبد الوهاب بين يديه يكون كالصبي أمام معلمه⁶

كان لحملة العلم أثرهم البالغ الأهمية سياسيا وعلميا بأن تشكلت إمامة أبي الخطاب وإمامة عبد الرحمن بن رستم والدخول للقيروان، إضافة إلى الأثر العلمي والتعليمي بانتشار العلم الذي انتفع به المسلمين من خلال الحلقات والمجالس، أيضا ذلك الأثر الاجتماعي السياسي ببناء تيهرت عاصمة المذهب الإباضي في المغرب الأوسط فكانت الحامية بامتياز للمذهب ودعائه

¹ الدرجيني. المصدر السابق ج 1 ص 19

² الشماخي، المصدر السابق ج 1 ص 129

³ أبو خليل الدركلي: من دركل قرية في جبل نفوسة يعد من أشهر رواة بلاد المغرب، صنفه الدرجين في الطبقة الخامسة، أي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري عاش حوالي مئة عام، تتلمذ على يد حملة العلم، درس العقيدة والسير في جبل نفوسة. ينظر تاديوس

ليفنسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر ماهر جرار وريما جرار، ط 1 دار الغرب الإسلامي 200 م ص 76

⁴ محمد بن يانس: من علماء الطبقة الخامسة واحد علماء جبل نفوسة، اخذ العلم عن عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، رشحته نفوسة لمواجهة المعتزلة لما طلب الامام عبد الوهاب المدد العلمي، اشتهر بالمعرفة العميقة للقران الكريم. ينظر إبراهيم بكير بحاز

وآخرون، المصدر السابق ص 396. الشماخي، المصدر السابق ج 1 ص 143

⁵ عمر بن يمكتن: توفي سنة 144 هـ من أعلام جبل نفوسة تعلم القران من العرب القادمين من المشرق، وعلمه لأهل الجبل بمنزل يقال له ايفاطمان، عينه أبو الخطاب واليا على سرتشارك في معركة مغمداس، ومعركة تاورغا التي استشهد فيها مع أبي الخطاب سنة 144 هـ، ينظر

إبراهيم بكير بحاز وآخرون، المصدر نفسه ص 314، الشماخي، المصدر نفسه ج 1 ص 127

⁶ الشماخي، المصدر نفسه ج 1 ص 129

المبحث الثالث: الدولة الرستمية من تيهرت الى جبل نفوسة عبر وارجلان

كان الهدف دعوة سلمة بن سعيد في بلاد المغرب الإسلامي، توجيه رجال من خيرة رجال القبائل إلى المشرق حيث البصرة، أين يوجد المنهل الصافي من العلماء والفقهاء، خاصة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وما عرفوا بحملة العلم الذين بعودتهم انتشر الوعي الديني والتعليمي، وهذا الانتشار الواسع للمذهب الإباضي فرض على أهل الدعوة من أن تجد لنفسها كيانا سياسيا مستقلا، عن مركز الخلافة في المشرق فكانت لهم العديد من المحاولات إلى أن توصلوا إلى تأسيس دولتهم الإباضية الرستمية التي دامت قرنين من الزمن.

كانت تلك الرؤية الإستراتيجية لحملة العلم بعد عودتهم إلى بلاد المغرب، في كيفية تسيير أمور الدولة إن كانت لهم القوة وهو ما أورده الدرجيني في كلام حملة العلم مع أبي عبيدة حيث استشاروه في مستقبل أمورهم فقالوا له: "يا شيخنا أرايت لو كانت لنا القوة في المغرب، ووجدنا أنفسنا طاقة؟ أفنولي علينا رجلا منا؟ فقال أبو عبيدة توجهوا إلى بلادكم.... فولوا على أنفسكم رجلا منكم فإن أبي فاقتلوه، وأشار إلى أبي الخطاب¹ وهذه الرواية محاكاة لرواية مكذوبة عن عمر بن الخطاب، حين هدد السنة من أهل الشورى بالقتل، إن لم يختاروا من بينهم من يخلفه بعده.

حمل أصحاب البعثة العلمية عند عودتهم من المشرق فكرة إنشاء دولة إباضية، من خلالها كانت مبايعة أبي الخطاب لتولي منصب الإمامة وهو المنصب السياسي الذي كان بناء على استشارة المعلم ابن أبي كريمة، دون مراعاة للعرق أو القبيلة بحكم أنه عربي فحطاني لا قرشي أو عدناني، مما يدل على ديمقراطية المذهب الإباضي وأن معيار اختيار الإمام هو الكفاءة العلمية لا غير وهو الأمر الذي أراد أبي كريمة أن يبرزه لطلبته، فقامت الدعوة الإباضية بتلك السياسة العادلة بالتزام مبدأ الشورى في الحكم والتمسك بالدين.²

كانت طرابلس حاضرة لزرع بذرة الإمارة، والعمل على الخروج من تلك السياسات التي كانت ممارسة عليهم يقول الشماخي "فلما بلغ طلبة العلم الخمسة بلادهم، آنسوا من أنفسهم قوة واجتمع من اهتم بأمر المسلمين ومن له نظر من الشيوخ، وتشاوروا بموضع يقال له صياد غرب مدينة طرابلس فاتفق

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1 ص 21

² محمد علي دبور، المرجع السابق ج 3 ص 198

رأيهم على تولية أبي الخطاب المعافري، و حسب ما أورده الشماخي قام الجميع بمبايعته على الحكم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام وآثار الصالحين من بعده.¹

كان أبو الخطاب قوي الشخصية ذكيا بالغ الدعاء، واسع الثقافة عالما حازما شجاعا جسورا لا يخاف في الله لومة لائم، يكره الرئاسة وتعاف نفسه الإمارة²، قاد حروبا عديدة وانتصر على ورفجومة ودخل القيروان وهو ما يؤكد الشماخي بقوله "انهزم أهل القيروان وولوا مدبرين وانكسرت ورفجومة وقتل عبد الملك بن أبي الجعد، وقبض أبو الخطاب على ناصيتهم، وركب أكتافهم ودخل القيروان"³. كان دستور امارة أبي الخطاب كما تروي المصادر الإباضية القرآن والسنة، عمل على تعيين مساعدين له في الأمصار فعين عمر بن يمكتن واليا على سرت في طرابلس الغرب، وعين عبد الرحمان بن رستم واليا على افريقية والمغرب الأوسط، عرف بالإخلاص والعدل والتمسك بالدين في ممارسة السياسة، كان من طلبة العلم الخمسة، الذين تتلمذوا على يد ابن أبي كريمة بالبصرة، اشتغل قاضيا في طرابلس عرف بدمائة أخلاقه وحسن تدييره، أحبه أهل افريقية وتوطد ارتباطه بدولة أبي الخطاب بطرابلس⁴.

هذا التطور الذي عرفته الدعوة الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي اقلق الخلافة التي عملت على اللحاق بهم فقام بذلك والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور على مصر وبلاد المغرب⁵، والذي نزل في موقع تاورغا على مورد ماء، ومنع أبي الخطاب من أن يعسكر هناك ودارت المعركة سنة 144 هـ/761 م واستشهد فيها أبي الخطاب، وفرّ بقية من الإباضية باتجاه جنوب طرابلس والمغرب الأوسط، وكان منهم عبد الرحمن بن رستم.⁶

بالقضاء على امارة أبي الخطاب الإباضية في طرابلس، في معركة تاورغا أنتهت إمامة الظهور التي استمرت أربع سنوات اضطر من خلالها الإباضيين الانتقال إلى إمامة الدفاع التي تولاهما، يعقوب بن حسين المعروف بابي حاتم المنزوي سنة 145 هـ. أدرك عبد الرحمان بن رستم خبر استشهاد أبي الخطاب، فدخل متخفيا إلى القيروان وبعد ملاحقة عبد الرحمن بن حبيب له خرج إلى المغرب الأوسط، قاصدا

¹ الشماخي، المصدر السابق، ج 1، ص 114

² الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 26، الشماخي، المصدر السابق، ج 1، ص 118

³ الشماخي، المصدر نفسه، ج 3، ص 120

⁴ محمد علي دبور، المرجع السابق، ج 3، ص 222

⁵ بن كثير، البداية والنهاية ج 13، ص 301

⁶ السيلوي، الإستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، دط، دت، ج 1، ص 55

أنصاره من الإباضية ونزل على قبيلة لماية جنوب تيهرت , التي كانت تربطه معهم علاقة صداقة وقبيلة لماية هي من حملت في ما بعد دعوة عبد الرحمان بن رستم وبثها بين القبائل .¹

استطاع بن رستم الوصول إلى جبل سوفجج الذي اجتمعت فيه جموع الإباضية الذين لحقوا به هناك بعلمائها وفقهائها وتكاثر عددهم , هذا الأمر ولد فكرة التأسيس لكيان سياسي يكون بمثابة الحصن الحصين للمذهب الإباضي, بمعنى تشكل الكيان والدولة هو ما ذكره علال بن عمر في اطروحته للدكتوراه " بأن المنظومة الفكرية التي نهلت العلم من المشرق أرادت أن تكون منتجة, وأن تستقل عن المنظومة المشرقية بعد إعلان إمامة الظهور بتيهرت"², و بعد أن رأوا في أنفسهم أنهم قوة, فنظروا في من يصلح للولاية من أولئك القبائل , فانعقد مجلسا يظم رؤساء القبائل تمت بموجبه البيعة لعبد الرحمن بن رستم على أساس علمه وفقه وعدله إضافة إلى كونه من حملة العلم الخمسة³, كما يذكر ذلك بن الصغير بقوله "... حيث نهضوا إليه وقالوا له يا عبد الرحمان رضيك الإمام ابتداءً, ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا"⁴, وهنا نرى انه لو كان هذا جانباً من الشروط لما أطلقت تسمية الدولة الرستمية باسمه إطلاقاً , ويمكن اعتباره شرطاً سياسياً.

بويج عبد الرحمان بن رستم سنة 161هـ بالإمامة, فكان ذلك إعلاناً رسمياً لقيام دولة إباضية ببلاد المغرب الأوسط تحمل اسم الدولة الرستمية, التي اختيرت لها تيهرت كعاصمة بداية من التحضير سنة 156هـ إلى غاية التأسيس سنة 160هـ .

فكانت ثلاث سنوات كافية إلى أن ترتقي تيهرت من ملجأ أو مهرب بين جبالها إلى حاضرة علمية, تستقطب العلماء والمجالس والمكتبات وعاصمة اقتصادية بامتياز⁵, هذا التطور جاء بتلك السياسة العادلة التي سطرها عبد الرحمن بن رستم لدولته التي أرادها ديمقراطية يولى فيها الإمام بمشورة من ستة من وجهاء القوم, على نحو ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويبايع الإمام بيعة عامة بعد انتخاب شوري له كما يقوم باستشارة أكبر القبائل في الأمور العامة ويعين القضاء, إلا أن هذه النظرية

¹ أبوزكريا, سير الأئمة وأخبارهم, ط2, تح , إسماعيل العربي, دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان, 1402هـ/1982م, ص ص 7-8

² علال بن عمر, المرجع السابق ص 64

³ الدرجيني , المصدر السابق ج 1 ص 24

⁴ ابن الصغير, أخبار الأئمة الرستميين د ط, ح إبراهيم بحاز ومحمد ناصر دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1406هـ/1986م, ص

30

⁵ الفرد بل, المرجع السابق, ص 149

في الحكم لم تنطبق وسرعان ما تحول النظام الرستمي إلى وراثي, كما في الدولة العباسية في المشرق والأماوية في الأندلس, دون سند للعصية مقيمين القسطاس باحترامهم رأي الأغلبية , توسعت الدولة الرستمية شرقا وغربا شمالا وجنوبا إلى غاية الصحراء والواحات , فوصلت إلى وادي ريغ و وارجلان وبلاد الجريد.¹ وبصفة قليلة على بلاد الزاب التي مانت تابعة الى الاغلبة ووناحية تلمسان تابعة للادارسة حتى وصفت تيهرت بعراق المغرب او بلخ المغرب .

وبحكم ان المذهب الاباضي قد سبق الدولة الرستمية في واحات وارجلان , فقد كان الاندماج الوارجلاني فيه عفويا نظرا لارتباطهم بالمذهب² في القرن الاولو الثاني والثالث والرابع الهجري, كانت مركزا اباضيا بالمغرب الاوسط,³ كانت وارجلان تتابعة للعاصمة الرستمية , وان عامل المدينة لا يقدم ولا يؤخر في شيء دون الرجوع الى مشيختها وعلمائها , فقد اعطاها الائمة الرستمين العناية الكبيرة بدعمهم للحركة العلمية وتلك الروابط التجارية مع بلاد السودان , ودليل ذلك ان افلح بن عبد الوهاب اراد مرافقة القوافل التي بعثها والده عبد الوهاب بن رستم الى بلاد السودان.⁴

¹ أبو زكريا, المصدر السابق ص 20

² عمر سليمان بوعصبانة المرجع السابق ص 40

³ مسعود مزهودي, المرجع السابق ص 27

⁴ علال بن عمر, المرجع السابق ص 129

خلاصة الفصل:

نضرا لتلك الممارسات الحديدية التي كانت ضد سكان البربر من قبل ولاة بني أمية, الذين بسطوا نفوذهم في بلاد المغرب الإسلامي , وعملية التهميش التي مورست ضدهم , كانت الفرصة سانحة لاستقبال الأفكار الخارجية من قبل الدعوة الإباضية والصفيرية , ومنه الإنتقام لذلك الوضع الذي كانوا عليه , فاستقبلوا أفكار سلمة بن سعد بنشر مبدأ العدل والشورى وكان ذلك بإرساء تلك القواعد العلمية التي اعتمدت على أولئك النفر الذين تم اختيارهم كبعثة علمية للمشرق للنهل من المصادر العلمية في البصرة خاصة على يد أبي كريمة وهو ما اصطلح عليه حملة العلم وكان الاختيار لأولئك الثلاثة من بلاد المغرب وهم عاصم السدراتي و بن درار الغدامسي و ابو داود القبلي النفاوي, إضافة الى عبد الرحمان بن رستم وعبد الأعلى بن السمح المعافري, الذين نشروا علمهم بعد عودتهم الى بلاد المغرب الإسلامي تحضيرا وتهيئة لقيام الدولة الإباضية الرستمية كما رسمها لهم إمامهم أبي كريمة.

الفصل الأول

البيئة العلمية لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني

- المبحث الأول: حاضرة وارجلان الموقع والتسمية
- المبحث الثاني: دخول المذهب الإباضي إلى وارجلان
- المبحث الثالث: رواد المذهب الإباضي بوارجلان

الفصل الأول: البيئة العلمية لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني

تمهيد :

تعد وارجلان الحاضرة الثانية للإباضية بالمغرب الأوسط، بعد سقوط العاصمة تيهرت على يد الفاطميين، ونقل الإباضيين لها ما تبقى من تراثهم الفكري، والمذهبي عقب أسطورة حرق مكتبة المعصومة التي فندها موسى لقبال بقوله إن من بين المصادر التي تكلمت على حرقها هي الإباضية في حين لم تتطرق المصادر السنية أو الشيعية لذلك وحجتهم في ذلك أن تصرفات أبي عبد الله الشيعي كانت موزونة، ويحترم الآثار الأدبية والفكرية حيث لم يلجأ لعملية الحرق إلا للمناطق المستعصية فما بالك بتيهرت التي رحبت به¹، من طرف عبيد الله الشيعي إضافة إلى تمتعها بذلك الاستقرار الأمني والاقتصادي وكان أهلها مياسير يمارسون تجارة الذهب والرقيق، كما كانت عبارة عن ممر تجاريا هاما، وملتقى القوافل وركبا للحجاج إلى البقاع المقدسة .

كما كانت أيضا منطلقا إلى بلاد السودان،² بغرض التجارة، وسرعان ما تحولت إلى بيئة علمية وفكرية، قصدها العلماء والباحثين عن العلم والفقه، خاصة بعد أن أسس محمد بن بكر الفرستائي³ (ت 440هـ) نظام العزابة بأريغ، وبذلك تم بعث الفكر الإباضي عن طريق حلقة العزابة، في إقليم وارجلان، فكانت بذلك الشرارة الأولى، لبعث هذا الفكر الحضاري والتعليمي في الإقليم.⁴

انتشرت في وارجلان العديد من العلوم بانتشار العلماء، أمثال أبي العباس أحمد بن محمد بكر (ت 570هـ) وأبو عمار عبد الكافي (ت 570هـ) وأبو يعقوب الوارجلاني (ت 570هـ)، وأبو عمرو السوفي (ت ق 6هـ)، الذين كان دورهم كبير داخل وخارج وارجلان بفضل حلهم وترحالهم .

¹ موسى لقبال، معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ، جامعة الجزائر، من قضايا التاريخ الرسمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتيهرت³ هل احترقت؟ او نقلت عيونها إلى سدراته جوار وارجلان، مجلة الاصاله العدد 41 محرم 1397هـ/1977م ص 51

² البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك د ط مكتبة المثنى بغداد ص 181

³ ترجمة محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي أبو عبد الله: أحد أقطاب الإباضية في المغرب الإسلامي وصفه الدرجيني "بالتعود الذي تضاءلت دونه الأطواد والبحر الذي لا تقاس به الثماد" ولد بفرسطاء بجبل نفوسة، تتلمذ على يد أبي نوح سعيد بن زنفيل بالقيروان، اخذ مبادئ العلوم بمسقط رأسه فرسطاء، ونقل للعديد من الأمصار طلبا للعلم منها مصر والقيروان والحامة وجربة، اشتغل برعي الغنم انتقل بها بين نفوسة ووادي سوف ووادي ريف ووادي ميزاب أسس نظام حلقة العزابة أول الأمر في قرية تين يسلي وهي بلدة أعمر حاليا قرب مدينة تقرت جنوب ورقلة وغرب وادي سوف سنة 409هـ/1018م، وسمي هذا الغار بالغار التسعي، اعتمد في أسلوبه على الحجة والإقناع وكثرة الرحلات انجز العديد من المساجد منها مسجدا بفرسطاء، من تلامذته أبو الربيع سليمان بن مخلف المزاتي، له العديد من المؤلفات له في كل فن تأليف اشتملت فيه الخصال الورع والتجرد لله توفي 440هـ 1050م . أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت 670هـ) طبقات المشايخ بالمغرب العربي ت ح ابراهيم طلاي ط 1 مطبعة البعث قسنطينة د ت ج 1 ص 167-171، ابراهيم بن بكر بحاز وآخرون معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى

العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي ج 2 ص 368-371

⁴ الدرجيني، المصدر نفسه ج 1 ص 167

من هذه الأهمية الكبيرة لحاضرة وارجلان، كان حري بنا دراستها في هذا الفصل كبيئة علمية، احتضنت رائدا من رواد الفكر الإباضي وهو ابو يعقوب الوارجلاني.

المبحث الأول : حاضرة وارجلان الموقع والتسمية

أولا: الموقع والتسمية

وارجلان هو الاسم القديم لمدينة ورقلة أو وركلا، المتواجدة في الجنوب الشرقي، من العاصمة الجزائرية ضاربة في أعماق عرقها الشرقي، القريب من المنابع النفطية .

وارجلان كما أوردتها المصادر ، هي عبارة عن كورة، بين افريقية وبلاد الجريد، كثيرة النخيل يسكنها البربر ¹. حيث تقع وارجلان بين ثلاثة أودية، كانت حاملة للفكر الإباضي، وادي سوف شرقا، ووادي مصعب أو ميزاب غربا، ووادي رينغ شمالا، وبحكم طبيعتها الصحراوية، فقد غلب عليها المناخ الصحراوي الجاف، يذكر حسن الوزان وارجلان بورقلة، وهي مدينة قديمة بناها النورمندين، في صحراء نوميديا لها سور وواحة نخيل كبيرة، لها العديد من الضياع وسكانها من كبار الأغنياء، وملتقى للتجار لأهميتها الكبيرة، وقد كان جل سكانها ذوي بشرة سوداء نظرا لكثرة الجواري من بلاد السودان ².

الملاحظ أن جل المصادر في سياق حديثها عن منطقة وارجلان، تتفق على كونها طريق تجاري هام، هذا الأمر انعكس إيجابا، على أهلها، بأن أصبحوا من المياسير الأغنياء نظرا لاحتكاكهم بكبار التجار والأغنياء بمملكة اغاداس ³. كما كانت وارجلان عبارة عن قصور بربرية، تنقسم من الداخل الى ثلاثة حارات، حارة بني سيين، وحارة بني واجين، وحارة بني إبراهيم وكانت مركزا إباضيا خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية ⁴، ومن بين أهم القصور التي ذكرها الدرجيني، قصر بكر وهو احد قصور وارجلان ⁵، إضافة الى تلك القصور التي ذكرها بن خلدون، التي احتضنتها زناته مثل قصور وركلا ⁶.

¹ ياقوت الحموي البغدادي، معجم البلدان. دار صابر 1397هـ/1977م مج 5 ص 371 .

² حسن الوزان الزياتي (ت 957هـ)، وصف إفريقيا، ت ح عبد الرحمن حميدة، د ط مكتبة الأسرة 2005 م ص 507. سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب الكبير تاريخ دولة الأغالية والرسميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار نشأة المعارف، ج 2 ص 398.

³ البكري، المصدر السابق ص 182 ، بن حوقل صورة الارض د ط منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان 1996 م ص 97 ، حسن الوزان

المصدر نفسه ص 507 ، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية القاهرة سنة 1422 هـ/2002 م مج 1 ص 257 222

⁴ احمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. المطبعة العربية، د ت ص 244.

⁵ الدرجيني المصدر السابق ج 2 ص 344 .

⁶ عبد الرحمن بن خلدون. تاريخ بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ بن خلدون، ت ح ابو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية عمان الاردن ص 1831.

ونرى أن الرحالة والمؤرخين والجغرافيين، قد تعددت تسمياتهم لوارجلان، انطلاقاً من وركلا وارجلان ورجلين وارقلان لكنها عرفت بوارجلان كما ذكر صاحب غصن البان،¹ كما وردت تسميتها عند البكري بوارجلا حيث قال: "فإنك تسير في الصحراء خمسين يوماً، إلى وارجلان، وهي سبعة حصون للبربر وبين وارجلان وقلعة أبي الطويل مسيرة ثلاثة عشرة يوماً"²، أيضاً حملت لفظ وارجلان عند أبو زكريا وأورد لفظ (كريمة) وهي كدية عظيمة بذات الإقليم.³

اكتسبت وارجلان أهمية كبيرة من خلال موقعها الذي يعد طريقاً تجارياً بامتياز، نحو بلاد السودان حتى أصبحت مقصداً لكل الأطياف من تجار وعلماء وعابري سبيل، من الحجاج بفضل ركب الحجاج الذي كان بها، هذا الأمر رفع من شأنها وأصبحت حاضرة إسلامية، وسادها الأمن وانتشر بها المذهب الإباضي⁴، حيث يذكر صاحب غصن البان "انه وجد ما بين حاسي بغلة ويفرن ووارجلان وجبل العباد وسدراته مائة وخمسة وعشرون بلدة، كلها عامرة بالإباضية بسط الله عليها الارزاق ينهون عن المنكر ويأمرون بالمعروف".⁵

وكلما تأزمت الأمور، في مكان إلا وفرّ إليها العديد من العلماء، الذين يحظون بالناية اللازمة، من طرف مشائخها الذين لم يدخروا أموالهم في سبيل العلماء الوافدين، حيث كان منهم صالح جنون بن يمران الذي كان مسؤولاً عن الحركة العلمية في وارجلان، التي كان استقرار يعقوب بن افلاح فيها مؤشراً زمنياً لإنطلاق الحركة العلمية كبديل للعاصمة تيهرت⁶، حيث عجت بالعلماء مثل ابو يعقوب الوارجلاني و ابو يوسف بن سهل السدراتي المعروف بالطربي، حيث وصفه الدرجيني بذو الإجتهادين (المصلّي والدفتر)، والجهادين الأكبر والأصغر وهو من علماء الطبقة السادسة (250هـ/300هـ)⁷، علاوة على شخصية ابو نوح بن زنگيل الذي صنّفه الدرجيني في الطبقة السابعة (350هـ/400هـ)⁸ الذي ساهم أيضاً في الحركة العلمية وله تحفظات عن الحياة الدينية

¹ إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام غصن البان في تاريخ وارجلان، تح إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بو معقل، ط1 مطبعة العالمية غرداية 1434هـ/2013م ص 56

² ابو عبد الله البكري (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، مصر د ت ط ص 182

³ أبو زكرياء يحيى بن ابي بكر، سير الأئمة وإخبارهم، ت ح اسماعيل العربي، ط2 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، سنة 1402هـ/1982م ص 171.

⁴ أبو زكرياء، المصدر نفسه ص 223.

⁵ إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، المصدر السابق ص 99

⁶ عمر خليفة النامي ملامح الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى اواخر القرن السادس الهجري، مجلة الاصاله،

المرجع السابق عدد 42 ص 17

⁷ الدرجيني، المصدر السابق ج 2 ص 331

⁸ الدرجيني، المصدر نفسه ج 2 ص 353

والاجتماعية بوارجلان كانتشار نكاح السر وعدم الإعتناء بمن يطلّقون وتموينهم والنفقة عليهم وأيضا ظهور التفرقة بين أهل وارجلان.¹

ثانيا: سكان وارجلان وقبائلها

عرف أهل وارجلان بنظامهم وانسجامهم، في سائر الأحوال والأزمان، فاستطاعوا بذلك أن يحتفظوا بوحدهم السكانية والمذهبية، خاصة بدخول المذهب الإباضي الى هناك حيث التفوا حوله مشكلين وحدة متماسكة، أمام العديد من الأزمات الخارجية، بفضل علمائها ووحدة كلمتهم بحيث استطاعوا أن يحافظوا على مميزات وعادات المنطقة، رغم تباين عناصر السكان فيها اثنيا .

وما زادها تماسكا قدوم عديد القبائل البربرية الإباضية اليها، بعد سقوط العاصمة الرستمية تيهرت.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، من هم أولئك السكان؟ وما هي أهم القبائل التي تواجدت بوارجلان؟ ويمكن حصرها في ما يأتي:

1/ قبائل زناتة

أدرج بن خلدون في تاريخه نسب قبائل زناتة الى البربر البتر بقوله: " أن البتر الذين هم بنو مادغيس الأبر ومنهم زناتة إخوة البربر " مما يؤكد بترية قبائل زناتة وذكر بأنهم من جيل قدم.²

كما ذكرت بعض المصادر، أن زناتة من أصول عربية، إلا أنهم تبربروا بالمصاهرة والمجاورة والمخالفة للبربر المصامدة (نسبة لقبائل مصمودة) البربرية، كما ادعى بعض أمراء زناتة النسب للعرب³، هذا النسب العربي زادهم رفعة، تجسيدا لاعتقادهم أن النسب البربري يعني في وقت ما الإذعان والخضوع، والانتساب للعرب يعني الأنفة والكبرياء والشرف.

كما يضيف بن خلدون بقوله: " إن اسم البربر أصبح مختصا بأهل المغارم، فأنتفت زناته منه فرارا من الهزيمة "

والأصل في اسم زناتة، تحريف لكلمة جانا أما لفظ مؤنثه بلغة البربر جناتن .

تعد زناتة من أكبر قبائل البربر بطونا وعددا ومن اهم بطونها بنو يفرن وبنو واسين وبنو دمر بنو يرنيان وغيرهم وانتشرت هذه البطون في العديد من مناطق المغرب الإسلامي.⁴

استقرت هذه البطون في بلاد المغرب الأوسط، كتلمسان وتيهرت حتى سمي بمغرب زناتة.¹

¹ عمر خليفة النامي، مجلة الاصاله، المرجع السابق عدد 42 ص 17

² بن خلدون الصدر السابق ص 1800

³ الشريف الإدريسي المصدر السابق مج 1 ص 222 257، عذاري المراكشي البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

ت ح محمود بشار عواد وبشار عواد معروف بشار ط 1 دار الغرب الإسلامي تونس سنة 1434هـ/2013 م ج 1 ص 200

⁴ بن خلدون المصدر نفسه ص 1801

كما انتشروا وكان استقرارهم أيضا في الصحاري، بين غدامس والسوس الأقصى وبلاد الجريد حتى وصلوا الى بلاد المغرب الأوسط مجال الدولة الرستمية² وإلى مناطق وارجلان، كان منهم بنو مغراوة وبنو وركلا وبنو يفرن .³

1-1 بنو وركلا

هم احد بطون زناتة و أصغرهم، استوطنوا بداية بلاد الزاب، ومنهم اشتق اسم وارجلان كما اشتق اسم نفوسة من جبل نفوسة ،واليهم هرب يزيد النكاري عند فراره من الاعتقال سنة (325هـ) الذي دعاهم الى النكارية والتنفوا حوله.⁴ كما أدت تلك الحروب التي شنها العرب الفاتحون ضد السكان الأصليين الى نزوح البربر، الى الداخل وكان من بين القبائل النازحة بنو واركلا من زناتة واستقروا في منطقة وارجلان ،وسميت باسمهم .⁵

1-2 بنو يفرن

وكلمة يفرن بالبربرية تعني الغار، وهم يفرن بن يصلين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا يعتبرون من أشهر القبائل الزناتية وأوسعها انتشارا، كانوا على المذهب الإباضي والصفري و موطنهم الأصلي طرابلس، بحكم حركتهم الدؤوبة ،استقر بهم المكان في صحراء المغرب الأوسط، وخاصة منطقة وارجلان .⁶

1-3 بنو مغراوة

ينحدرون من بني يفرن الى قبيلة جانا زناتة، انتشروا في جنوب المغرب الأوسط بمنطقة واركلا أو وارجلان وبسكرة، مع قبائل سدراته و الأغواط ،امتازوا بدمائة أخلاقهم ومنهم تنحدر قبائل بنو ريغة .⁷

2/ قبائل سدراته

تنحدر قبيلة سدراته من قبائل لواتة، وهم بطن من بطون البربر وهم أصهار بنو مغراوة، وقد وجدوا في العديد من المناطق منها، برقة والأوراس ووارجلان التي سميت باسمهم منطقة سدراتة وارجلان، وهو مكان مستقرهم بعد

¹ محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير ط1 عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر سنة 2013 ج 3 ص ص 33-35

² إبراهيم بكير مجاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، ط1 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1440هـ/2019م ص 26

³ محمد عي دبور المرجع السابق ج 3 ص33، عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق ص 1800

⁴ بن خلدون المصدر نفسه ص ص 1802-1830، سعد زغلول المرجع السابق ج 1 ص 93

⁵ مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية الى هجرة بنو هلال الى بلاد المغرب ،د ط المطبعة العربية غرداية

1417هـ/1996م ص 31

⁶ محمد بن حسن القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسط د ط دار الرياح الأربع للنشر والتوزيع تونس سنة 1986 ص 109، بن خلدون ص

1805

⁷ البكري (ت 487هـ) المصدر السابق ص ص 52-53

ظعنهم¹ وقد خرج احد أبناء سدراته ووارجلان لطلب العلم وهو عاصم السدراتي، الذي أتم نشر المذهب الإباضي في منطقة وارجلان وما جاورها من بوادي.

3/ قبيلة تناوطة

كان انتشار هذه القبائل بين منطقة غدامس ونفزاوة والجريد، وينسب الى هذه القبيلة احد حملة العلم الخمسة وهو بن درار الغدامسي، كما ينسب الى هذه القبيلة احد معاصري أبي يعقوب الوارجلاني وهو ابو عمار عبد الكافي التناوتي، واستقرت هذه القبائل بوادي ريغ ووارجلان وواحاتها².

4/ العرب

وصل العرب الى منطقة وارجلان، مع تلك الرحلات الهلالية، ايام المنصور الموحيدي سنة 580هـ حيث استوطن هؤلاء العرب بلاد المغرب بجلهم وخيامهم وصارت منقسمة الى أمتين، امة العرب وامة البربر³ و يسمون أيضا بالجعافرة أو الشرفاء الجعافرة نسبة الى جعفر بن أبي طالب، لكن صاحب غصن البان يذكر أنهم ينحدرون من اليمن بين بن حمير وبني الحارث⁴ نزحوا الى أسوان الصعيد المصري. بداية كانوا يمتنون التجارة وكانوا أحلافا لقبيلة زناتة، وكانت القيادة دائما لزناتة لكثرة سكانها، حيث كانت تفرض الضرائب والإتاوات على باقي القبائل خاصة منها بنو معقل، من بين قبائلهم بنو واجين وبنو معقل وبنو سليم، وهناك من العائلات البربرية في وارجلان، يرجع نسبها الى أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب⁵.

5/ الوجود اليهودي :

يرجع التواجد اليهودي في بلاد الغرب الإسلامي الى زمن بعيد، رده بعض المؤرخين الى العهد الروماني لما اضطهدوا من بيت المقدس، و بحكم ممارستهم للتجارة كتجارة الذهب والعييد التي سيطروا من خلالها على العصب التجاري والاقتصادي، ومنه تسللوا لبلاد السودان الغربي وصحراء المغرب الأوسط كمنطقة وارجلان⁶.

¹ بن خلدون المصدر نفسه مج 6 ص 178، ابراهيم القادري بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي د ط دار الطليعة للنشر بيروت د ت ص 24

² عمر سليمان بوعصانة معالم الحضارة بوارجلان 296-626 هـ/909-1229م رسالة ماجستير معهد اصول الدين جامعة الجزائر سنة 1412 هـ/1992 م ص 26

³ ابراهيم بن صالح بابا حمو اعزام و المصدر السابق ص 110

⁴ ابراهيم بن صالح بابا حمو اعزام و المصدر نفسه ص 114

⁵ بن خلدون المصدر السابق ص 1827، عمر سليمان بوعصانة المرجع نفسه ص 27.

⁶ سالم بن يعقوب تاريخ جربة وعلمائها د ط د ت ص 54.

بعد أن كانوا جماعات وأقليات على طول البحر المتوسط ثم توغلوا الى داخل البلاد حتى وصلوا الصحراء وبدخول الإسلام حافظوا على ديانتهم.¹

¹ إبراهيم بكير بحاز الدولة الرستمية المرجع السابق ص 40

المبحث الثاني: دخول المذهب الإباضي الى وارجلان

أولاً: سقوط العاصمة الرستمية تيهرت

كانت تيهرت¹ من المراكز الحضارية الهامة ، في بلاد الغرب الإسلامي، بسبب تلك السياسة الرشيدة التي انتهجها حكامها ، المبنية على التسامح ، وقبول الآخر من المذاهب الفكرية ، هذه السياسة جلبت إليها العديد من العلماء والفقهاء، حتى باتت قبلة علمية بامتياز، فإرضة سلطاتها السياسي والحضاري، على كل دول الغرب الإسلامي في تلك الفترة.²

فمنذ تأسيس حضرة تيهرت، التي كانت تمثل العاصمة السياسية للدولة الرستمية، وبعد مقتل أبي الخطاب في صفر سنة 144هـ/761م³ بمعركة تاورغا⁴، أصبحت تمثل ذلك الكيان السياسي والمعلم الحضاري الذي شمل كل الأصعدة، بفضل الأئمة الذين تعاقبوا على حكمها محافظين على أسس الدين فيها، مركزين على العلم والمجالس العلمية كشرط أساسي في تولي القيادة، حتى ذكر احد الأئمة كما أورد الشماخي بقوله: " معاذ الله أن تكون عندنا أمة، لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر.."⁵. هذا التشجيع للعلم من قبل الأئمة الحكام، شجع الحركة العلمية وازدهرت تيهرت حضارياً.

هذا الاستقرار السياسي والحضاري، لم يكتمل، بحكم ظهور بوادر النهاية، التي أدت أخيراً الى سقوط العاصمة تيهرت، وأهيار الدولة الرستمية حيث كان من ورائها عدة عوامل انعكست على تلك الأوضاع الداخلية والخارجية

¹ تيهرت: بفتح وسكون مدينة واقعة بين المسيلة بست مراحل، وبين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الانداء والامطار والضباب، وهي كلمة بربرية تعني الخطة، وهو بالفعل للدور الذي لعبته تيهرت، بحيث كانت محطة للقوافل التجارية من الشمال الى الجنوب، ومن الشرق الى الغرب، سكنها البربر من قبائل هوارة ومكناسة ونفوسة وملاية ومزاتة، وغيرهم وكلهم اضية . بن الصغير، المصدر السابق، ص 90، سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الإباضية، موقع الاستقامة <http://www.istiqama.net>، تاريخ الزيارة 2019/03/4 ج 2 ص 11، ياقوت الحموي معجم البلدان مج 2 ص 8.

² بن الصغير، المصدر نفسه، ص 90

³ محمد علي دبو، المرجع السابق، ج 3 ص 240،

⁴ معركة تاورغا: تقع منطقة تورغا غرب سرت وشرق مدينة طرابلس ومسراته وبينها بين طرابلس مائة وخمسة وعشرون ميلاً ونصف، كانت مدينة عامرة قصدها أبو الأشعث (وهو أبو الأشعث بن عقبة الخزاعي، كان أكبر قواد خلافة ابو جعفر المنصور وقد وجهه الى بلاد المغرب بداية ثورة أبي الخطاب) لوجود الماء بها، والتشكيل بأهلها والنزول بها، كان الوقت صيفاً وبوصول أبي الخطاب وجنوده وقد أضعفهم العطش من شدة السير، فعزم أبي الأشعث على مهاجمته قبل ان يستريح وكان ابو الخطاب في اثنا عشرة ألفاً وابن الأشعث في سبعين ألفاً، حيث قال ابن الأشعث لأصحابه "ان استقى ابو الخطاب واستراح هو وأصحابه، فانكم لا تطيقون لقاءهم، وانتم الآن اقدر عليهم مع التعب والجوع والعطش" جرت المعركة وأحاط أبو الأشعث بجنود أبي الخطاب، الذي قاوم حتى قتل وأغرقت تورغا في انهار من الدماء، وهزم في هذه المعركة وقام ابن الأشعث بقطع رأس أبي الخطاب وإرسال رأسه الى المنصور وكان ذلك شهر ربيع الآخر سنة مائة وأربعة وأربعون للهجرة. محمد علي دبو، المرجع نفسه، ج 3 ص 18. أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر المرجع السابق ص 68-69 .

⁵ احمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ت ح احمد بن سعود السبائي د ط مطابع النهضة مسقط د ت، ج 1 ص 167.

1/ لهو وترف بعض الأئمة

يعد عهد الإمام أبي بكر بن افلح، من بين الأسباب التي عجلت بتهايوي البيت الرستمي، نظرا لتفضيله حياة الترف واللهو وعدم اهتمامه بالسياسة، الأمر الذي جعله يوكل شؤون البلاد الى صهره محمد بن عرفة¹ الذي كان سياسيا منحكا، قصده العديد من أفراد مجتمع تيهرت لحل مشاكلهم، فكثرت أنصاره وأتباعه بعودة أبي اليقظان من المشرق، حتى أصبح للدولة الرستمية طرفا قيادة الأمر الذي ولد الصراع بين الطرفين أدى في النهاية الى مقتل بن عرفة وإخفاء جثته وانقسم أهل تيهرت بين مناصر الى الإمام ومناصر لابن عرفة، الأمر الذي تدخل فيه العجم وتحول الصراع الى عربي عجمي وكثرت المؤامرات والدسائس وتصعد البيت الرستمي داخليا .

هذه العوامل الداخلية أسهمت بقدر كبير في احتضار الدولة الرستمية، وانتقالها الى مرحلة الانتقام والملكية الذاتية وبداية حياة الترف واللهو، الأمر الذي أدى الى الهشاشة السياسية غلبت عليها حياة الفوضى والترصد وما تلك الثورات إلا دليل على بدايات التصدع للعاصمة الإباضية تيهرت.

لقد بلغت الدولة الرستمية أعلى مراتب الحضارة فانغمست في اللهو والترف فضعفت نفوسها وساءت أخلاق الكثير من العائلة الرستمية،² و يذكر ابن الصغير أن الدولة الرستمية " ...فسدت وفسد أهلها، في تلك الحروب، واتخذوا المسكر أسواقا، والغلمان أخذانا.. " هذه السياسة أوجدت لهم تحيين الفرص من قبل القوى الخارجية المتمثلة في المد الشيعي في شخص عبد الله الشيعي الذي أتى على الأخضر واليابس.³

المد الشيعي الفاطمي

اتسم عهد يقظان بن أبي اليقظان باضطراب البيت الرستمي، على المستوى الداخلي وتهديد المد الشيعي له الذي وصل لبلاد المغرب الإسلامي، واقترابه من الحدود الرستمية وبدخول عبد الله الشيعي إقليم الزاب، ودخوله رقادته 296هـ/908 م⁴ لم يحرك أبي اليقظان ساكنا اتجاه ما يهدده من مخاطر الزحف الشيعي، الذي امتطى أكتاف قبائل كتامة⁵ وقام عليها .

¹ محمد بن عرفة: من المقدمين في البلاط الرستمي عهد الإمامين افلح وأبي بكر هو صهر الإمام أبي بكر حيث تزوج باخت أبي بكر بلغ من النفوذ في السلطة مبلغا كبيرا نظرا لاشتغال صهره بحياة الترف واللهو فأصبحت الإمارة بالاسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة. بن الصغير المصدر السابق ص 81-83 ، سعد زغلول المرجع السابق ص 359

² محمد علي دبور المرجع السابق ج 3 ص 617

³ بن الصغير المصدر السابق ص 56 ، جودت عبد اكريم يوسف، المرجع السابق ص ص 70-71.

⁴ بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1 ص 147

⁵ قبيلة كتامة: يرجع اصل هذه التسمية، بين كلمة كتامة العربية من جهة، وucutumani اللاتينية من جهة اخرى، وهم من تلك القبائل التي تنحدر من جبل الباور، وتنطق عند معظم النسابة بالظم، وهناك من ارجع هذه التسمية الى مرحلة الكتمان للمد الشيعي، الإسماعيلي وتنسب الى جدتها كتام بن برنس بن مازيف بن كنعان بن حام، وله بطنان هما غرسن ويسودة، موقعها ناحية جبال سطيف وجيجل وميلة، " تنتهي عند بجاية غربا

خرج عبد الله الشيعي من رقادته يوم الخميس للنصف من رمضان، ومعه جموع كثيرة فسار الى تيهرت، حيث عسكر على مقربة منها فخرجت إليه مجموعة من المعارضة، الواصلية والشيعية والمالكية، معلنين الولاء التام له وطلبوا للامان على أنفسهم وأهلهم وأموالهم.

وما يمكن الاستدلال به في عدم وجود ذلك الجيش النظامي، المدافع على هياكل الدولة الرستمية أن عبد الله الشيعي لم يلق أية معارضة مجابهة لقدمه¹، دخل الشيعي تيهرت واجتمع بابي اليقظان وجماعته، ودار بينهم الحوار الذي أوردته المصادر " ما اسمك؟ فقال: اليقظان فقال: له عبد الله بل أنت الحيران، وقال: ما بالكم قتلتم أميركم وسلبتم ملككم واطفيتم نور الإسلام ". بعدها دخل عبد الله الشيعي تيهرت، بعد أن قتل أبي اليقظان وجماعته في شوال سنة 296 هـ وبعث برؤوسهم، الى أبي العباس بركاده، عمل على نهبها وتخريبها وحرق مكتبتها المعصومة، كما انفردت بذلك المصادر الإباضية التي سيق الحديث عنها، التي احتوت على حوالي ثلاثة مائة ألف مجلد، عمل على حرق الكتب الممجدة للإباضية والدولة الرستمية، وابقى على الكتب العلمية والرياضية.²

نصب على تيهرت دواس بن صولات اللهيصي، وإبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى، وضيق الخناق على ساكنة تيهرت وفلول الرستمين، فمنهم من بقي فيها ومنهم من فر الى خارجها الى العديد من الجهات منها خاصة جبال الأوراس، وجبال نفوسة وجربة ووارجلان، التي خرج إليها يعقوب بن افلح كان للمد الشيعي دوره الكبير في إنحاء دولة المغرب الأوسط، وإسقاط عاصمتها تيهرت وانحسار الفكر الإباضي في مناطق محدودة، ممارسا مرحلة الكتمان من جديد تجاه النظام القائم القوي بقباتله وقوته.

سقطت تيهرت العاصمة الرستمية، التي امتد عمرها مدة المائة واثنان وخمسون عاما، التي قامت على أنقاضها اليوم بجوالي ستة أميال في الجنوب الغربي مدينة تيارت ..

الثورة النكارية

إضافة الى تلك الاضطرابات الداخلية، كان لتيار المعارضة الذي تزعمه يزيد بن فندين عقب تولي الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الإمامة سنة (181 هـ/878 م)، دوره في قيام تلك الثورة النكارية، حيث كان يزيد بن فندين ينتمي الى بني يفرن وهم فرع من فروع قبيلة زناتة البترية.³

وأوراس جنوبا الى سيف البحر عند بونة شمالا ". موسى لقبال المرجع السابق، ص ص 97-98-99، محمد علي دبو، المرجع السابق، ج 3 ص

612، بن خلدون المصدر السابق، ج 6 ص 306

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 108، الدرغيني، المصدر السابق، ج 1 ص 184

² سليمان باشا الباروني، المصدر السابق ج 2 ص 296

³ أبو زكرياء، المصدر نفسه ص 99، حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والاندلس ط 2 دار الرشاد القاهرة سنة 1998 ص 119

كانت أسباب ثورته ذاتية، نظرا لإخفاقه في الوصول للإمامة، إضافة الى عدم توليته أي منصب ريادي من قبل الإمام عبد الوهاب.

هذه الثورة أحدثت شرخا كبيرا في المذهب الإباضي، السائد بين أتباع بن فندين النكار، الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب وبين جمهور الإباضية الموالين للحكم القائم .

خرج أتباع بن فندين خارج تيهرت، واتخذوا من كدية النكار، مكانا خاصا بهم وظلت بذلك تيهرت تحت رحمة المعارضة، بين كر وفر الى غاية القضاء عليها ومقتل بن فندين.¹

ثورة بنو سدراته ومزاةة

واصل النكارية دعوتهم السرية في تحين الفرص ضد الإمام عبد الوهاب باستقطاب قبائل مزاةة وسدراتة القادمة للرعي والانتجاع حيث يقول بن الصغير: " إن قبائل مزاةة وسدراتة وغيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب في أشهر الربيع الى مدينة تيهرت وكانوا إذا انتجعوا دخل وجوههم ورؤساءهم المدينة فيكرمونهم ...". استغل النكار تواجدهم بتأليبهم على الإمام عبد الوهاب واحداث ثورة ضد بطانة الإمام حيث ذكروا لهم إن قاضينا جائر وصاحب بيت مالنا خائن وصاحب شرطتنا فاسق وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا وقد جاء الله بكم فادخلوا الى الإمام واسألوه أن يولي علينا خيارنا إذ اخذ بنصحهم بداية لكن بطانته غيرت وجهته وأوهموه بان الدور في التنحي عليه فلما رفض مطلبهم اعتبروه نقضا للعهد واحتموا بكدية النكار لعزل الإمام لكنه استطاع القضاء عليهم وفروا الى جبال الأوراس.²

موقعة مانو

أو كما يعرف عنها موقعة قصر مانو، وهي منطقة بين قابس وطرابلس حيث اصطدم فيها إبراهيم بن الأغلب الذي كان واليا على القيروان سنة 283 هـ ، بقبيلة نفوسة التي كانت تابعة للدولة الرستمية والمؤيدة تأييدا تاما لها، مدافعين عنها بسيفهم ورجلهم وبسواعدهم، التي قام المذهب الإباضي عليها حيث قال الإمام عبد الوهاب " قام هذا الدين بسيف نفوسة وأموال مزاةة " .³

اعتبرت موقعة مانو من الأسباب المباشرة لتهاوي الدولة الرستمية، وعاصمتها تيهرت حيث اعترضت قبائل نفوسة مرور إبراهيم بن الأغلب الى طرابلس، لكن إصراره على المرور اخلط أوراق الإباضيين، الذين خرجوا في عشرين ألف

¹ محمد عيسى الحريزي الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها بالحارجية بالمغرب والأندلس 160-296 هـ ط 3 دار القلم

للنشر والتوزيع الكويت 1408هـ/1987 م ص 113 ، الشماخي المصدر السابق ج 1 ص 132

² بن الصغير (ق 3 هـ) أخبار الأئمة الرستمين ت ح إبراهيم مجاز ومحمد ناصر د ط دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان سنة 1406هـ/1986 م ص 47-51

³ ابو زكريا، المصدر السابق، ص 155، محمد علي دبو، المرجع السابق، ج 3 ص 518.

مقاتل، ووقعت بينهم الحرب ودارت الدائرة على نفوسة وقتل منهم الكثير، بلغ عدد القتلى حوالي اثنا عشرة ألف جندي واربعة مائة، منهم ثمانون عالماً،¹ أنهارت نفوسة التي كانت تشكل عصب الدولة الرستمية ودرعها الواقى، رغم محاولة أهل الحل تهدئة الوضع وكان منهم سعد بن أبي يونس، الذي خاف من ذبح البقرة الكبيرة فیتبعها عجلها، والمقصود هنا بالبقرة الكبيرة نفوسة، والعجل بلد قنطارة.²

إن ما يمكن أن نلاحظه أن معظم المصادر الإباضية، ذكرت الموقعة باسم مانو، في حين نرى أن الصغير لم يذكر اسم الموقعة، واكتفى بذكر تلك الاضطرابات الداخلية، التي عجلت بشيخوخة الحكم الرستمي، وكانت هذه الموقعة قد تركت أثراً جسيماً، في تصفية العديد من العلماء ولم يبق عالم يفتى في علم النوازل الا ابو القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير.³

¹ الدرجيني، المصدر السابق ج 1 ص 87، ابو زكرياء، المصدر نفسه، ص 154، بن عذاري المراكشي، ج 2 ص، محمد عيسى الحريري، المرجع

السابق ص 200، جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 94

² ابو زكرياء، المصدر السابق، ص 390، الدرجيني، المصدر السابق، ج 1 ص 90

³ الدرجيني، المصدر نفسه، ج 1 ص 89

ثانيا: فرار الإباضية من تيهرت الى وارجلان

اجتمعت عدة عوامل في تثبيت المذهب الاباضي بحاضرة وارجلان عقب سقوط العاصمة تيهرت وفرار الفكر الإباضي إليها من خلال رجاله الذين فروا الى وارجلان وحملوا على عاتقهم إعادة بعثه من جديد .

1/ الإضطرابات الداخلية بتيهرت

إن المرحلة التي آلت إليها عاصمة الدولة الرستمية تيهرت، جراء تلك الإضطرابات الداخلية، من تطور لذلك الحراك الداخلي الذي تبنته قوى المعارضة، من المالكية والواصلية والنكارية ومن غير الإباضية، وتلك التهديدات الخارجية خاصة المد الفاطمي على يد عبيد الله الشيعي، من اجل السيطرة التامة على المنطقة والقضاء نهائيا على الدولة الرستمية، عجل بتهزل الوضع السياسي الرستمي مع حالة اللهو والترف التي كانت تعيشها تيهرت وحكامها، إضافة الى ضعف تلك الروح الحربية وتموقع مكانها الدرهم والدينار، بدل الرمح والبنان.¹ كما يذكر بن الصغير " ...عجت الطرق بمنابر اللصوص وخاصة من سفهاء زناتة"². كما كان لموقعة مانو الدور في تصدع الدولة الرستمية، من ناحية نفوسة التي كانت سدا منيعا لها، هذه الأسباب وغيرها ساهمت في تماوي النظام الرستمي، القوائم وسقوط العاصمة تيهرت، التي تفرق أهلها عبر المناطق والجهات شمالا وجنوبا، وبدأت عملية انحسار المذهب الإباضي بعد المطاردة الشيعية التي لاحقته، وحكامه حتى في المناطق المحتمين بها ففروا الى الأوراس، وجبال نفوسة وجربة ووارجلان، التي قصدها يعقوب بن أفلح.

2- فرار يعقوب بن أفلح الى وارجلان

قصد يعقوب بن أفلح وارجلان فارا من تيهرت رفقة اهله وجمع كبير من التهريتين حتى إن المصادر تذكر "أنه ولد لهم في الطريق في ليلة من الليالي سبعون ذكرا"³، احتسمى افلح وأصحابه بجبل كريمة وحاصرهم الفاطميون إلا أنهم استطاعوا النجاة والدخول الى وارجلان، ومعه العديد من العائلات الرستمية⁴، استقبل أهل وارجلان يعقوب بن افلح، وعلى رأسهم ابو صالح بن يمران متولي أمورهم، لما دخل المدينة أكرموه وأحسنوا إليه وطلبوا منه تولى أمرهم وإعادة إحياء الدولة الرستمية المنثثرة من جديد، إلا انه رفض قائلا "لايستر الجمل بالغنم"⁵ مفضلا إمامة الكتمان على إمامة الظهور، ورغب أهل وارجلان في مبايعته، لأنه كان يحمل أنواعا عديدة من العلم، فقد سأله احدهم ذات يوم أتخفظ القرآن؟ فقال: استعيذ بالله من أن ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم أحفظ

¹ سليمان باشا الباروني، المرجع السابق، ص 131

² بن الصغير، المصدر السابق، ص 49

³ الشماخي المصدر السابق ج ص 2 ص 47

⁴ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج 3 ص 618

⁵ بن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج 1 ص 153، الدرجيني، المصدر السابق، ج 1 ص 105، مسعود مزهودي المرجع السابق ص 39

واعرف معناه فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم¹. كانت وارجلان في هذه الفترة حاضرة لها دورها الاقتصادي والعلمي في الصحراء بعد سقوط تيهرت، وتحت قيادة بن يمران الذي كان يعلم الناس وينفق على تلامذته من ماله الخاص، كما كان ملاذ المساكين واليتامى، كما يذكر الشماخي "كان عالما ورعا سخيا ذا كرامات، وهو احد أقطاب الدين وثمان اليتامى والمساكين"² إن بانتقال بن أفلاج وعلمه الى وارجلان، له الأثر الكبير في نشر الفكر الإباضي في منطقة وارجلان وصحراء المغرب الأوسط.

3- بعث حلقة العزابة

بسقوط العاصمة تيهرت انحسر المذهب الإباضي في العديد من المناطق، مخافة التهديدات الخارجية الشيعية خاصة، فكان لزاما عليهم المحافظة على فكرهم والعمل على إقامة إمامة الظهور من جديد، ولا يتأتى ذلك إلا بخلق نظام يحافظ على تواجدهم كفكر سياسي، وعصبية مذهبية وجماعة لها دورها، فكان نظام العزابة³ الذي سبق التعريف به سابقا كفكرة وتأسيس، وهيكل تنظيمي من اجل المحافظة على تلك المنظومة الفكرية، ومن خلالها المحافظة على المجتمع الإباضي، وجمعه على كلمة سواء بعد ذلك التشردم والتفرق في البلاد⁴.
تأسس نظام العزابة كفكرة على يد أبو زكريا فضيل بن مسور اليهراسي (ت 420هـ)، وهو شيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي⁵، الذي أجمعت المصادر بتأسيسه لنظام العزابة، بإيعاز من طلبة جربة الذين لازموا لأخذ العلم، والحواء عليه تأسيس مجلس او حلقة لنهل العلم، وقد التفتوه في منطقة تقيوس، التي تقع في صحراء الجريد سنة 408 هـ حيث كان ميلاد هذا النظام، في مسجد المنية بذات المنطقة⁶.
و يلاحظ هنا هو اتفاق علي يحيى معمر والدرجيني في أن الفرستائي هو من أسس لنظام العزابة الذي ادى الدور الكبير في بقاء المذهب الإباضي⁷

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ج 2 ص 106

² الشماخي المصدر السابق ج 2 ص 45

³ سامية مقرري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية الى تأسيس نظام العزابة (409-296هـ/909-1018م)،

رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بوبة مجاني، جامعة منتوري قسنطينة، 15/02/2006م ص 58

⁴ الشماخي، المصدر السابق، ج 2 ص 570

⁵ روبرتو روبيناتشي، العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر وثيقة عن حياة النساك الصوامع في الإسلام، تر لميس الشجني مؤسسة توات الثقافية

2006 م. [http:// www.twwalt.com/](http://www.twwalt.com/): ص 35

⁶ علال بن عمر، الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب وانتقاله من القرن 3 هـ/9م الى 9 هـ/15 م، رسالة دكتوراه، جامعة غرداية، إشراف د/ ابراهيم مجاز سنة 2018 ص 451. صلاح الدين شعبان، التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي، بين القرنين

الثالث والخامس الهجري 9-11م إشراف مختار حساني، قسم العلوم الإنسانية جامعة الجزائر 2003/2004م ص 70

⁷ احمد الياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، ط 1 مكتبة الضامري للنشر والتوزيع عمان، 1416هـ/1996م ص 51

انتشر هذا النظام في فيافي الصحراء، فوصل الى بلاد الجريد حاملا الفكر الإباضي، إرشادا وتعلما الى أسوف وأريغ ثم الانتقال الى وارجلان، مرورا بوغلانة ثم بادية مصعب وادي ميزاب حاليا بواسطة أبي بكر الفرستائي، الذي بواسطة حلقة العزابة منهج للفكر الإباضي، وأحيى المنطقة دينيا واجتماعيا، واستطاع هذا النظام أن يحافظ على معالم الهوية الإباضية، وينقله الى وارجلان التي احتضنت هذا الفكر في مرحلة كادت أن تؤد به الى الزوال.¹ وكان مجلس العزبة هو الحاكم الذي يدير شؤونها وينظر في الأمور الدينية والدينية، ويتولى قيادة الدفاع عنها، بقوتها الشعبية لا بقوة الدولة .

4- الرحلات العلمية ورحلات الحج

التي كان لها الدور الكبير في تلاقي الأفكار والعلماء المشاركة، لكون الحج ملتقى عالمي يجمع المشرق بالمغرب بأفكارهم، وعلمهم من اجل الاستزادة في العلم وأخذه من منابعه خاصة من أهل البصرة، منهم مثلا ابا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، واهم الأمثلة حملة العلم الخمسة ودورهم في الفكر الإباضي سلفا .

وتكمن أهمية الحج في خروج علماء وارجلان وأدائهم لهذه الفريضة فقد أثروا وتأثروا، وكان من الذين قاموا بتلك الرحلات، أبو يعقوب الوارجلاني الذي نشر فكره واستزاد علما بلقائه بفقهاء المشرق وقد حج معهم الفقيه (ناجية بن ناجية) ، حيث أورد ابو عبد الله محمد الوسياني قوله: حججنا حجة لم يحجها مغربي من قبلنا ولا من بعدنا² وكانت رحلات الحج فرصة للإقناع، والتشاور والاستزادة . وكانت القصيدة الحجازية اهم موروث حضاري، لطريق وكيفية الحج التي أوردها الوارجلاني.³

¹ الدرجيني، الصدر السابق، ج 1 ص 169 ، احمد الياس حسين ،المرجع السابق ص ص 55-60

² الوسياني، ج 1 ص ص 423-424

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، ت ح يحيى بن بھون حاج محمد د ط وزارة الثقافة الجزائر عاصمة للثقافة العربية،

2007 ص 41

المبحث الثالث: رواد المذهب الإباضي بوارجلان

إن السياسة المشجعة للسلطة الرستمية للعلم والعلماء في العاصمة تيهرت، أسهمت بشكل كبير في ترسيخ هذا المبدأ، في كامل إطراف الدولة وذلك باستقدامهم للعديد من العلماء والكتب والتي من ورائها كان التأسيس لمكتبة المعصومة، هذا الالتفاف للحكام الرستميين على العلم نشر ذلك الوعي الذي لم يأبه للحدود، بين الدول في انتقال العديد من المشايخ لأخذ العلم، وأنشره عبر الأمصار، انطلاقاً من جبل نفوسة، الى الجنوب التونسي بلاد الجريد ودرجين الى أسوف فأزيغ ثم وارجلان الى بادية مصعب.

وقد قمنا بتتبع لبعض علماء منطقة وارجلان، الذين قدموا إليها أو عاشوا فيها وكان لهم الدور الكبير في الحفاظ على المذهب الإباضي، وكانوا رواده بامتياز وساهموا في ترسيخه، وكان على رأسهم ابو يعقوب الوارجلاني الذي ينسب الى هذه المنطقة .

لقد قمنا بقصد بتخطي أسماء بعض العلماء، من اجل التطرق لهم لاحقاً في الفصل الثاني كمعاصرين وشيوخ وتلاميذ لأبي يعقوب الوارجلاني، مدرجين أعلاماً آخرين كانوا من رواد المذهب الإباضي، في وارجلان حتى نترجم لعدد أكبر من علماء هذه البلدة العامرة، وقد قمنا بتتبعهم كرونولوجياً ومنهم :

1- يعقوب بن سيلوس الطرقي السدراتي (أبو يوسف)

من علماء الطبقة السادسة (250-300هـ)، وعلماء القرن الثالث الهجري، اخذ علمه في تيهرت على يد الأئمة الرستميين، عاصر الإمام عبد الرحمن بن رستم، الذي حكم (171-160هـ) ثم ارتحل الى وارجلان، وبها أقام حيث تتلمذ على يده العديد من الطلبة، وكان منهم جنون بن يمران ابو صالح تولى منصب القضاء في وارجلان نظير حنكته وفطنته وتفقهه في أمور الدين، امتاز بالحنكة والتدبير.¹ وصفه الدرجيني " بالعالم الفقيه الفطن النبيه، اليقظان الذكي الورع، كان يلقب بشيخ الرأي الناصح"² من أهم وصاياه لابنه الذي كان يدعى ثابت بن يعقوب بن سهلون الطرقي، وهو من علماء الطبقة السابعة حيث لما حضرت والده يعقوب الموت قال : يا أبت أوصني فقال : " لا أراك تقبل الوصية يابن الرديئة، كن للناس كآسمار (اللبن الممدوق بالماء) للماء، وكن لهم كالوادي الذي يغسلون فيه ويشربون منه ويتنفعون به "³.

¹ إبراهيم بكير بحاز وآخرون، قسم المغرب الاسلامي، ص 474

² الدرجيني، المصدر السابق، ج2 ص 331

³ مؤلف مجهول، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، ت ح الحاج سليمان بن إبراهيم بابيز الوارجلاني، ط 1 وزارة التراث والثقافة

مسقط سلطنة عمان 1430هـ/2009م، ص 71

كان له مصلى بوارجلان، ومحضرة في ساحة السوق تشتهر باسم (بابا حي)، أما قبره يوجد بسدراته في مقبرة الشيخ صالح جنون بن يمران، التي كما اسلفنا تزار كل ربيع من العام .

2- جنون بن يمران اليهراسني الوارجلاني أبو صالح (300-350هـ)

أصله من سدراته ايزوزام بوارجلان، صنفه الدر جيني في الطبقة السابعة¹، امتاز بالذكاء تتلمذ على يد أبي يعقوب بن يوسف الطرقي، تولى مشيخة الأباطية بوارجلان وحدها على كلمة سواء بإخماده للفتنة الفرثية، هو من آوى العالمين أبي خزر يغلا بن زلتاف، وأبا نوح سعيد بن زنگيل، فرارا من الفاطميين بعد فشل ثورتهم، عمل على تنظيم الحركة العلمية، فقد كان همزة وصل بين تيهرت ووارجلان²، حتى أصبحت منارة علمية يقصدها العديد من العلماء، اشتغل بالزراعة و كان ميسورا الحال، فقد انفق على العلم بوارجلان ، وعمل على بناء أول محراب مسجد بما قدام مدينة أنجان حيث احرقه العبيديون، يقول عنه محمد علي دبور "بأنه عالم وارجلان الأكبر ورئيسها المبجل"³.

خلف العديد من الآثار العلمية، التي أتلفت ومن الآثار التي بقيت قصيدته الوعظية المشهورة باسم الإله الذي أمضى على البشر ... أحكامه فحرت في الخلق بالقدر.

له العديد من الفتاوى في العقيدة والفقه، والعديد من الوصايا لبنيه منها قوله: "يا بني أوصيكم بثلاثة، اذا انتقلتم من بلد تريدون بلدا آخر، فلا تنتقلوا حتى تهيئوا لأنفسكم مسكنا تسكنون فيه، ولا تسكنوا عند الناس فان ذلك إحدى ثلاث خصال، فان أطلقتم الإنفاق سميت مبذرين، وان أمسكتكم قيل أشحة، فان لم تفعلوا هاتين قيل فقراء..."⁴.

ويروي الشماخي في سيره، انه كان كثير الكرم فقد وقعت مجاعة في وارجلان وقد جاءه سائل بليل فقام يلتمس ما يعطيه، فإذا بالبيت مملوء والتمر ينزل من فوق، ففتح الباب وصار ينفق على الناس.⁵

قبره الى اليوم بسدراته وارجلان، في المقبرة المنسوبة إليه أسفل جبل كريمة و لا يزال يزار الى اليوم في ربيع كل عام .

3- علي بن أبي علي الياجراني (450-500هـ)

عالم وفقه أصولي من أشياخ علماء القرن الخامس الهجري، متكلم من وارجلان، أصله من درجين وهو والد العالمين جنون وموسى، اللذان تخرجا على يديه تلقى تعليمه الأول على يد محمد بن بكر الفرستائي

¹ الدر جيني، المصدر السابق، ج1 ص 341

² إبراهيم بكير مجاز وآخرون، قسم المغرب الإسلامي، ص 115

³ محمد علي دبو المرجع السابق، ج 3 ص 607

⁴ مؤلف مجهول، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، المرجع نفسه ص 53

⁵ احمد بن سعيد الشماخي، المصدر السابق، ج 2 ص 46

النفوسي، تلقى عليه مبادئ حلقة العزابة، روى عنه أبو عمرو السوفي مسائل العقيدة ويعتبر احد تلامذته، وذكر عنه ابو زكريا مسائل كلامية وأصولية وفتاوى وقد تتلمذ على يديه أيضا ابنه ابو عمران موسى بن علي الياجرائي، الذي قدم من درجين وسكن وارجلان وعاصر أبا زكريا يحيى بن أبي بكر، وقد كان علي بن أبي علي ضليعا في الفتيا، خاصة في علم الموارث، توفي سنة (440 هـ - 1048 م).¹

4- احمد بن سعيد بن علي بن يخلف الدر جيني (أبو العباس) 670هـ - 1271 م

من علماء ومؤرخي القرن السابع الهجري، من أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، حيث تلقى تعليمه الأول ينتمي الى عائلة بربرية إباضية أصلها من تيمجار، وهي قرية في جبل نفوسة، حيث سكن يخلف بن يخلف النفوسي التيمجاري النفطي، كان والده سعيد راو بارز في درجين السفلى، قرب نفطه الآن انتقل الى وارجلان سنة 616 هـ / 1219 م إذ يقول: "... وذلك إني دخلت حلقة وارجلان حرسها الله عام ستة عشرة وستمئة في ربيع الآخر منها في أول ما وجب علي الصوم والبال خال من الهم وكنت أعجب ممن ينفرد ولا يجتهد وممن يخلو بالمفيد كيف لا يستفيد...² التي أمضى فيها سنتين يدرس العلم على شيوخ الإباضية، حيث اخذ العلم على يد الشيخ أبي سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان ثم عاد الى موطنه الأصلي بلاد الجريد، سكن لبعض الوقت في جربة وبسبب معرفته بعلم اللغة والفقه والأدب حظي باحترام كبير من قبل طلبة الفقه هناك، خاصة حلقة العزابة ونزولا عند رغبة هؤلاء الطلبة ألف الدر جيني كتابه الطبقات، الذي تم تأليفه بعد سنة 650 هـ / 1252 م، الذي ابدع فيه بوضعه منهجا جديدا لم يألفه عصره وهو منهج الطبقات.

قسم مؤلفه هذا الى جزأين: الجزء الأول خصصه للمذهب الإباضي ودخوله الى بلاد المغرب الإسلامي والحديث عن الدولة الرستمية، وسيرة أئمتها منذ تأسيسها مروراً بفترات الاضطراب الداخلية والخارجية، الى غاية سقوطها على يد عبد الله الشيعي الفاطمي سنة 297 هـ.³

وحدثه عن تلك الثورات وعملية ملزمة الأمور الرستمية للإباضية، وتأسيس نظام حلقة العزابة الذي افرد فيه معالم هذا النظام وطرق التدريس، والدور الذي لعبته في توحيد ما تبقى من المذهب الإباضي .

أما الجزء الثاني فقد قسم كتابه الى طبقات، وهي عادة كتاب السير المسلمين وعددها اثنتا عشرة طبقة تغطي كل طبقة فترة مدتها خمسون سنة، وقد بدأ بالطبقة الثانية (100-50 هـ / 670-718 م) وضمنت الطبقات الأربع الأولى تراجم العلماء الإباضيين المشرقيين في القرن الأول والثاني للهجرة، أما التراجم الشمالي الأخيرة تعنى بتراجم

¹ إبراهيم بحاز وآخرون، قسم المغرب الإسلامي، ص 291

² الدر جيني، مقدمة ابراهيم محمد طلاي ج 1 ف ك ، تاديوس ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، تر ماهر حرار وربما حرار ط 1 دار الغرب الإسلامي بيروت 2000 م ص 52

³ تاديوس ليفتسكي، المرجع السابق، ص 56

الشيخ الإباضيين من الأصول المغربية، واعتنت الطبقات الأخيرة بأعلام وارجلان ووادي سوف ووادي ريغ وبلاد الجريد وجزيرة جربة.¹

قام الدرجيني بتطوير الأسلوب الذي أوردته المصادر التي سبقت، كما انه بين استقاء معلوماته واعتماده على سير أبي زكرياء الوارجلاني خاصة في الجزء الأول منه .

كما أن الدرجيني لم يكن مؤرخا فقط، بل كان ناظما وشاعرا وله ديوان شعر وقام بحل العديد من المسائل الفقهية، في تقسيم التركات التي جمعها الجيطالي من بعده،² توفي الدرجيني أبو العباس في النصف الثاني من القرن السابع الهجري .

ويعد كتاب طبقات المشايخ للدرجيني من المصادر المهمة لتراجم الأئمة والعلماء الإباضية، وما يؤخذ على هذا المصدر عدم تطرقه لأحداث الخليفتين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخليفة علي بن أبي طالب، أو ما يعرف بالفتنة الكبرى التي كانت منعرجا من ورائها تفرقت الكلمة، وظهر ما يعرف بالفرق والمذاهب، هذه الأحداث استدرکها صاحب الجواهر المنتقاة البرادي بالحديث عنها كتكملة لطبقات الدرجيني³

وزيادة على ما تم عرضه من مشايخ وعلماء وارجلان، التي يمكن اعتبارها العاصمة العلمية والحضارية للدولة الرستمية بفضل مكانتها العلمية، التي من ورائها أضحت مقصدا للعلماء ومكانا للاستزادة العلمية، وحركية علمائها بوأها صدارة العلم والعلماء، فهناك الكثير لم يتم ذكرهم في هذا الفصل وتركنا التطرق لهم في الفصل الثاني أمثال أبو عمرو السوفي، وأبو زكرياء وأبو عمار التناوتي، وغيرهم سوف يأتي الحديث عنهم بترجمة مستفيضة، حتى نستطيع أن نلم ولو بالقليل من مشايخ منطقة وارجلان التي كانت عصب المذهب الإباضي الوقاد وقلبه النابض، الذي احتوى هيكل نظام العزابة الذي حافظ على تماسك المجتمع في قلب صحراء المغرب الأوسط، وفي ظل الاضطرابات الداخلية والخارجية للدولة الرستمية الأباطية.

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ص ق ، عمر سليمان بو عصابة، المرجع السابق ص 130،

² تاديوس ليفتكسي، المرجع نفسه ص 57

³ ابو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة، تح احمد بن سعود السيابي ط 1 دار الحكمة لندن 2014 ص ص 7-11

خلاصة الفصل:

وخلاصة الأمر أن سقوط تيهرت لم يكن مجرد حدث عابر, بل هو نتيجة حتمية لتلك الأوضاع التي كانت سائدة من تدهور, واضطراب وانحطاط , كان لبعض الساسة والحكام الرستميين الدور الكبير فيها , وذلك بانحرافهم عن ذلك المسار الذي رسمه المبني على العصبية المذهبية, الأمر الذي أدى الى النفور منهم وتصعد وحدثهم, بميولهم الى حياة الترف وابتعادهم عن حالة الدفاع عن الدولة ومرتكزاتها, هذا الأمر اغتتمته الأطراف الخارجية خاصة المد الشيوعي الذي دخل العاصمة تيهرت, ومن ورائه فرّ العديد من السكان ومنهم الأئمة الى المناطق المجاورة خاصة وارجلان ومنهم ابو يعقوب بن افلح, حيث استقبلتهم واحتضنتهم وعلمهم حتى باتت بيئة علمية وحاضرة تجارية بامتياز, تستقطب الأئمة والعلماء بفضل توقعها الإقتصادي الضاربة في أعماق صحراء المغرب الأوسط, حيث كانت ممرا تجاريا وركبا للحجاج وبذلك تنوع سكانها بين عرب وبربر وأهل ذمة من اليهود وغيرهم, وتطورت الحركة العلمية فيها امتدادا لتلك الحركة التي رسمها الأئمة الرستميين في العاصمة تيهرت وتشجيعهم لها برز العديد من لعلماء والرواد في وارجلان خاصة منهم ابو يعقوب الوارجلاني و ابو عمرو السوفي وغيرهم كانت بصمتهم في الحاضرة وارجلان. من ذهب.

الفصل الثاني

أبو يعقوب يوسف الوارجلاني (حياته وتعلمه)

(500-570 هـ / 1100-1170 م)

المبحث الأول: مولده ونشأته

المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته ومعاصروه

المبحث الثالث: رحلة الوارجلاني

الفصل الثاني: أبو يعقوب الوارجلاني (حياته وتعلمه)

تمهيد:

إن لكل فكر أعلامه ومنظريه، الذين برزوا فيه وأعطوه من العلوم والمعارف ما يستحق منهم في سبيل نشر تعاليمه وأفكاره.

فمن بين المذاهب التي ظهر فيها العديد من العلماء والفقهاء، كان المذهب الإباضي. حيث كان من أهم أعلامه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي الوارجلاني (570-500 هـ/1100-1170م)، الرحالة الذي أثرى المكتبة الإباضية بعدد المصادر، بفضل غزارة علمه وعلو كعبه، الذي لامس كل أنواع العلوم حتى أصبح من الموسوعيين، بفضل تلك الرحلات التي قام بها، وجمعه للعديد من المعارف ممن تتلمذ على أيديهم، ونقله لعلومه إلى تلامذته من بعده، الذين واصلوا المسيرة بأفكاره وشروحاته.

وفي هذا الفصل سنتناول شخصية الوارجلاني، ومحاولين الإمام بجوانب حياته، بداية بمولده ونشأته، مروراً بأبرز رحلاته الدينية والعلمية والتجارية، إضافة إلى أهم مدارسه وأبرز شيوخه و تلامذته، مركزين على أهم المصادر التي أوردته بين طيات رواياتها.

المبحث الأول: مولده ونشأته

أولاً: ترجمته ونسبه

هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني حيث ورد اسمه هكذا في روايات الدرجيني، الذي يعد من أول المصادر التي أوردت ترجمته وتسميته في كتابه طبقات المشايخ، أما باقي المصادر فأغلبها قد نقلت عليه.¹ وينتمي أبو يعقوب إلى قبيلة قيس بن عيلان، ووالدته من غسان وهو ما أورده في قصيدته الحجازية حيث قال:

أبي من بني برين قيس بن باعط وجد جدودي قيس عيلان بن آصر
 ووالدي من جد غسان نسبها وكان أبوها صالحاً غير خاسر²

وصنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (600-550 هـ/ 1155-1203 م)، كان من أهم وأشرف علماء الإباضية في المغرب فيقول فيه الدرجيني: " وهو بحر العلم المسخر للنفع، فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمة، الجامع لفضائل كل أمة، المحتوي على علوم جمّة، ... إذ كان له في كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس".³ وترجع كلمة (السدراتي) نسبة إلى سدراته⁴، وهو المكان الذي ولد فيه الوارجلاني، وهي من وارجلان كما سبق ذكرها، حيث نشأ فيها أبو يعقوب، وأخذ مبادئه في العلوم الأولى هناك، أما شهرته الوارجلاني، فيرجع ذلك إلى كونه قد رجع إلى منطقة وارجلان، وفيها أكمل حياته وبها توفاه الأجل سنة 570 هـ كما ذكر ذلك الشماخي⁵، أما تاريخ ميلاده تحديداً فهو بين سنتي 500 و570 هجرية وهو ما صنفه الدرجيني، كما ذكر ذلك مصطفى باجو⁶.

1 أبو العباس أحمد بن سعيد الدر جيني(ت 670هـ) طبقات المشايخ بالمغرب إبراهيم طلاي ط 1 مطبعة البعث قسنطينة دس ج 2 ص 491

2 أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني، تح يحي بن بوهون حاج محمد د طوزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007 ص ص 72-73

3 أبو العباس أحمد بن سعيد الدر جيني(ت 670هـ) المصدر نفسه ج 2 ص 491

4 سدراثة: مدينة أثرية معروفة عند البربر باسدراتن، ذات المدينة العظيمة جميلة، تبعد عن وارجلان أربع عشرة كيلومتر، ازدهرت فيها الحركة العلمية والعمارة الإسلامية، كانت فيها عين تسمى عين الصفا، دالة على كثرة مياه سدراثة، سماها البعض ببحر الطوفان ويرى الفضل في عمارة الرستميين فيها لوجود المياه المتقدمة شرع علماء الآثار في الكشف عن هذه المدينة سنة 1951 م، التي غطتها الرمال والكثبان، فعثروا على آثار جلييلة بلغ طولها اثنان كيلومتر وعرضها واحد كيلومتر. ينظر عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ط 2 مكتبة الشركة الجزائرية، مكتبة الحياة بيروت سنة 1384هـ/1965م ج 1 ص 234

5 أحمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي (ت 925 هـ) كتاب السير تح أحمد بن سعود السيابي ط 2 وزارة التراث القومي والثقافة 1992م ج 2 ص 106

6 مصطفى بن صالح باجو، أبو يعقوب الوارجلاني اصوليا، دراسة لعصره وفكره الاصولي مقارنا بابي حامد الغزالي، ط 2 1428هـ/2007م وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان ص 106

كما اعتمد الشماخي في سيره (ت 925 هـ)، لترجمة الوارجلاني على الدرجيني، في توصيفه له، حيث ذكر أن الوارجلاني: " لازم الدار سبعة أعوام، فلا يجده الزائر، إلا ناسخاً، وألأقلام باريًا، وللدراسة فاعلاً، وللحبر طابخاً، وللدواوين مقابلاً، وللكتب مسفراً"¹. هذا ما يؤكد حرص الوارجلاني، على نهل العلوم والتفرغ للفكر والتعلم. حيث كان لا يبرح مكانه، إلا لأداء فريضة أو لقضاء شيء يخص علمه، ومن كثرة اختفائه في طلب العلم كان عامة الناس يترصدون إليه، للاستفادة منه، عندما يحين وقت فريضة، ويجيء للوضوء، فمن عاداته عند وضوئه، ينصرف من حوله، فيضع الكتاب والمفتاح والعمامة والكساء، حتى لا يبقى إلا ثوب واحد، فيأخذ كل الطلبة حاجة من ملبسه، فلما أتم وضوءه، وخرج من المطهرة قال: "ردوا علي علائقي فيسأل كل واحد منهم مسألته، بحاجة أخذها ويجيبهم على ذلك"² وقد أعاد الشماخي ما ذكره الوارجلاني، بلفظ أبو يعقوب بن إبراهيم بن الطاق السدراتي قاضي وارجلان، وهو الذي أقبر الشيخ إسماعيل بن يوسف (والد أبي عمار) عقب وفاته، ويكون بذلك الحديث عن أبي يعقوب نفسه، وما بلغه من درجة علمية ومكانة، حتى بلغ منصب قاضي البلاد³. ويؤكد هذه التسمية أيضا "تاديوس ليفتسكي، ويذهب إلى ما ذكره الشماخي بأن المقصود بابن الطاق، هو أبو يعقوب السدراتي الوارجلاني، والذي كان قاضيا في وارجلان،⁴ ومن جهة أخرى نرى أن هناك من أورد اسمه أبو يعقوب يوسف إبراهيم بن مياذ السدراتي الوارجلاني كمؤرخ ومفسر من أكابر فقهاء الإباضية،⁵ ونرى تعدد التسميات، لكن في مجملها تعود إلى مصدر وحيد، وهو الدرجيني، الذي ذكره باسم أبي يعقوب يوسف السدراتي الوارجلاني، والذي أدرج ملاحظة أن الشخص المذكور، باسم بن الطاق السدراتي، ليس هو الشيخ أبو يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني، وقد اختلط ذلك لتشابه الأسماء،⁶ كما نلاحظ أنه لم يذكر سنة وفاته، التي ذكرها الشماخي في سيره في قوله: "...بالجملة أشهرته، العلوم حتى صار علما عليه نور، وتوفي عام سبعين وخمسمائة"⁷.

1 احمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي (ت 925 هـ) المصدر السابق ج 2 ص 105

2 الشماخي المصدر نفسه ص 105

3 الشماخي المصدر نفسه ج 2 ص 148

4 تاديوس ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، تر ماهر جرار، ريمًا جرار ط 1 دار الغرب الإسلامي بيروت 2000م ص 129

5 عادل نويهض معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ط 2 مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت لبنان سنة 1980م ص 341

6 إبراهيم بن بكير مجاز وآخرون معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب العربي ط 2 دار الغرب الإسلامي بيروت 1421هـ/2000م ج 2 ص 481

7 الشماخي المصدر نفسه ج 2 ص 106

عاش أبو يعقوب حياة التواضع والأخلاق العالية وهو دأب العلماء، فملك القلوب والعقول، من الأقربين من بني عشيرته وممن التقى معهم، في حله وتر حاله، حيث عاش منصفاً، عادلاً ناصراً للحق، وشهد له بالتواضع، من قبل زميله السحلماسي الذي صحبه إلى الأندلس فقال فيه:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ الطُّودَ تَحْمِلُهُ الـ ... عَيْسُ فَيَصْبِحُ بَيْنَ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ
مَا أَنْصَفْتُ جَوْهَةً مِنْ كَانَ أَوْحَدَهَا ... عِلْمًا وَأَكْمَلَهَا فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
إِذَا ضَيَّقَتْ حَالَهَا فِيهَا وَقَدْ وَسَعَتْ ... ذَوِي الْجَهَالَةِ وَالخَطَلِ فِي النِّسَبِ¹

ثانياً: عصره و نشأته

إن المتتبع لعصر أبي يعقوب الوارجلاني ونشأته، يرى ذلك الدور الكبير لتلك البيئة، التي كان يعيشها، على جميع الأصعدة، بين مؤثر ومتأثر، سواء من الناحية الطبيعية لمنطقة تواجده، أو من الناحية السياسية والاجتماعية أو من الجانب الاقتصادي أو الديني والإرشادي، لوارجلان كحاضرة لها رصيدها الفكري .
ويمكن حصر تلك التأثيرات، في شخصية وعصر الوارجلاني في ما يأتي:

1/ الأثر البيئي في شخصية أبو يعقوب الوارجلاني:

من الطبيعي أن يكون للبيئة تأثيرها، في شخصية الفرد، فيحصل بذلك على ملكة التكامل والتمازج والتداخل، بينه وبين بيئته، فالإنسان ابن بيئته، وهذا ما يؤكد ابن خلدون في مقدمته فيرى: أن أصحاب البيئة الحارة، يميلون إلى الفرح والخفة ويصل بهم الأمر الى حد الطيش فيقول " ... فتكون أرواحهم أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً، ويجيء على أثر ذلك، الطيش ... ولهذا كانت الصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه، جميع ما يكون في الأقاليم المتوسطة، المخصوصة بالاعتدال، وسكانها أعدل الناس إحساساً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً "².
من هنا كانت البيئة، أكثر تأثيراً في مزاج الفرد والإنسان، فهذا الأمر ينطبق بالأساس على بيئة حاضرة وارجلان، التي كان لها الأثر البالغ الأهمية في شخصية أبي يعقوب الوارجلاني وتكوينها الفكري والعلمي، بعد أن نشأ وترى وتعلم علومه الأولى فيها، إلى أن تآقت نفسه للاستزادة العلمية، فكان من شغفه بالعلم خاض مخاضاً عسيراً، طاف من خلاله البلدان مشرقاً ومغرباً، شد الرحال لبلاد الأندلس وأقام بقرطبة عدداً من السنين، ينهل من مختلف العلوم وكان مثالا للنموغ والتميز والأدب، حتى لقبه الأندلسيون بالجاحظ³، ثم انتقل إلى بلاد السودان متاجراً، ثم

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني الدليل والبرهان تح سالم بن حمد الحارثي ط 2 وزارة التراث والثقافة عمان سنة 2006 م ج 1 ص 10

² عبد الرحمن محمد بن خلدون (ت 808 هـ) مقدمة بن خلدون تح سهيل زكار دار الفكر لبنان سنة 2001 م ص 103

³ إبراهيم بن بكير مجاز وآخرون المرجع السابق ج 2 ص 482

انتقاله في رحلة حجازية علمية دينية. هذا الأثر البيئي كان حافظاً لأن يكون ذلك الموسوعي المتبحر في شتى العلوم، ودلّ على ذلك عصاميته كما ذكر الدرجيني عند عودته ومكوته في بيته سبع سنوات عاكفا على القراءة والكتابة.¹

2/ الأثر الديني والاجتماعي في شخصية الوارجلاني:

قضى أبو يعقوب الوارجلاني فترة صباه وسط عائلته، وكانت بداية تحصيله العلمي أين أخذ مبادئ العلوم الدينية والعلمية. وبما أن وارجلان كانت على المذهب الإباضي فلا يكون من المستبعد أنه قد نشأ في نظام العزابة² الذي أسهم في دخوله إلى منطقة وارجلان أبي عبد الله الفرستائي الذي انتقل من أريغ إلى وارجلان ونزل بداية في قرية اسمها "إيفرن" ثم انتقل إلى سدراتة.³ هذا النظام الذي كان سائداً في تلك الفترة والذي كان يقوم على ثلاث مراحل تعليمية روحية :

- **المرحلة الأولى :** بداية التحصيل التي كانت تقوم على تحصيل العلم من الكتاتيب وتشمل تحفيظ القرآن والمبادئ الأولى للفقهاء والعبادات كالطهارة والصلاة والصيام.
- **المرحلة الثانية :** وهي مرحلة الالتحاق بالمساجد وتسمى الاستناد أي الاستناد إلى أحد أركان المسجد والأبواب و الأساطين ويتم فيها التعمق في دراسة العقيدة والفقهاء والأدب وفن المناظرة مع ملازمة الشيوخ وتكون الإقامة في مساكن خاصة للطلبة التي توفرها العزابة وتسهر على تربيتهم الروحية والدينية.
- **المرحلة الثالثة:** مرحلة التعليم العالي المتخصص للخوض في أصعب المسائل المتعلقة بالفقهاء والعقيدة والوقوف على مسائل الخلاف.⁴

¹الدرجيني المصدر السابق ج 2 ص 491

² العزابة: لغة: عزب يعزب عزوبا، من العزوب كفعول وجمعه عزاب ومفرده أعزب وتعني تغيب الإنسان عن أهله أو ماله، كما تفيد معنى العزوبة للذي لم يتزوج فيقال: فلان أعزب، لا أهل له ولا امرأة وعزب لا زوج لها، كما وردت في القرآن الكريم " وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.. " سورة يونس الآية 61 كما تفيد الزهد في الدنيا والبعد عن الأهل. أما اصطلاحاً: استعمل لقباً لكل من لازم الطريق، لطلب العلم وسائر أهل الخير ومن اتسم بذلك، سمي عزابياً أي تفيد بقوانين الحلقة ولازم الطريق، مسلماً إباضياً وهم أيضاً جماعة ينتخبون من أهل الورع والصلاح والتفقه في الدين يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتولون جميع الوظائف الدينية والدينية فهم من العلماء العاملين... ينظر بن منظور (ت 630هـ) لسان العرب مطبعة بولاق، مطابع كوتساتسوماس ب دج 2 ص 85 ، الدرجيني المصدر السابق ج 1 ص 3-4 ، محمد المرعي، إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث ط 1 كلية الآداب والفنون بمنوبة، دار الجنوب للنشر تونس سنة 2005 ص 114

³ علال بن عمر، المرجع السابق ص 740

⁴الدرجيني المصدر نفسه ج 1 ص 178

ظلت وارجلان تسيير بهذا النظام (العزابة) الذي يعد أعلى هرم السلطة فيها بعيدا عن أي تدخل سلطوي داخلي أو خارجي وكان رجالها يعتبرونه بمثابة السلطان العادل، حيث لا يختلف أهل وارجلان عنه¹، رغم التواجد السلطوي الموحد إلا أن ذلك لم يؤثر، بحكم أن وارجلان قد أعلنت الموالاة للسلطة الموحدية عقب انهيار الدولة الرستمية ومرورها بمرحلة الكتمان التي انتهجها الإباضيون في سبيل التركيز على الجانب الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي والعائلي الداخلي والخارجي وهذا ما حاول أبو يعقوب الوارجلاني نفسه نشره في منطقة وارجلان بتطبيق هذه التعاليم مع السلطة الموحدية بحكم سيطرتها على كل المنطقة. ويعتبر أبو يعقوب في تلك الفترة خاصة بعد ترحاله إلى العديد من المناطق للاستزادة من العلم من أكبر الفقهاء والعلماء والشيوخ بالغرب الإسلامي والاندلس بل ذاع صيته حتى في بلاد السودان، التي ذهب إليها تاجرا وناشرا للعلم وتعاليم الدين الإسلامي، رغم التواجد لشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم وكانوا معاصريه فكان منهم أبو سليمان إسماعيل بن إسماعيل (ت524هـ) الذي رثاه أبو يعقوب في قصيدته البائية و أبو عمار عبد الكافي التناوتي هذا ما يدل على مكانة أبو يعقوب الروحية ودور نظام وحلقة العزابة في قيادة المجتمع الوارجلاني وان يكون هو أحد أعمدة حلقاتها ومستشاريه.²

3/ الأثر الاقتصادي والسياسي في شخصية أبو يعقوب الوارجلاني

نظرا للموقع الجغرافي، الهام لمنطقة وارجلان، الذي تعد من خلاله مركز عبور تجاري بامتياز، وبوصلة لتلاقي تلك القوافل المارة، رغم تواجدها في أعماق الصحراء المتزامية، كما أسلفنا الحديث عنها. إضافة إلى بعدها عن المناطق الحضارية وعاصمة الدولة تيهرت، هذا الموقع مكنها من أن تحتفظ بمكانتها الحضارية الكبيرة، وتجعل لنفسها طابعا اجتماعيا وحضاريا وسياسيا هاما، حتى أطلق عليها المدينة الدولة. وعلى الرغم من تلك الاضطرابات التي كانت سائدة تلك الفترة في العالم الإسلامي، لم تكن بلدان المغرب الإسلامي، بمنأى عن تلك التجاذبات السياسية، بداية بتهايوي دولة المرابطين وظهور العصر الموحدية بإعلان المهدي بن تومرت ثورته ضدهم.³

¹ عدون جهلان الفكر السياسي عند الإباضية ط3 مكتبة الظامري للنشر والتوزيع سلطنة عمان 1431هـ/2010م ص194-207

² الدرجيني المصدر السابق ج1 ص 315

³ بكير سعيد اعوشة أبو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية د ط المطبعة العربية غرداية د ت، ص 37-38

ما يهمنا هنا ما مدى تأثير هذا الحراك السياسي و الاقتصادي على منطقة وارجلان؟ حيث يذكر الدرجيني قدوم أول داع ووصوله لوارجلان، لنشر الفكر المهدوي الموحد وهو (العتروسي) وصلها في خيل، فلما وصل إليهم، دعاهم إلى إجابة الدعوة" فتشاوروا فيما يأتون وما يدرون، فأجمع رأي أكثرهم على قتله وأصحابه" لكن كان قرار علمائهم بأن يستشيروا (الفقيه) والمقصود هنا هو أبو يعقوب، في ما اتفقوا عليه فأشار عليهم بأن يجيبوا دعوته وأنه لا يخرب البلاد، بل الذي يخربها هو الملثم، ويعني به يحيى بن إسحاق الميورقي الملثم (بن غانية الميورقي)¹، ويخرج من سجلماسة ويتركها قاعا صفصفا ويهدم كل ما دار عليه سورها إلا المسجد وعادات وارجلان وسدرا ته كأنها خراب وهذا سنه 626هـ أو سنة 627هـ.²

هنا نلاحظ أن البيئة البدوية لوارجلان، كانت في تلك الفترة على الاعتقاد بعلم التنجيم، مما حكى الوارجلاني بقدم الميورقي وهو يدل على الأخذ بالعلوم الكلامية وعلم التنجيم، الذي تعلمه ابو يعقوب في رحلته، لأنه تنبأ بقدمه كما يذكر الدرجيني سنة 620 هـ وقد قدم الى وارجلان بعد ست او سبع سنوات كما أسلفنا³، إضافة إلى وصوله إلى درجة الرجل السياسي، صاحب النظرة المستقبلية لوارجلان ومذهبهم الإباضي، في مثل هذه القضايا السياسية وتمكنه من استقطاب عقول بني وارجلان، في وضعه محل استشارة وثقة اهله.

وفي خضم هذه الأوضاع، نشأ الوارجلاني متأثرا بمجتمع تجاري، بحكم موقعها الهام كمركز للقوافل التجارية، بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، هذا التأثير امتداد للأهمية الكبيرة لبعجاية الحمادية، المطللة على الساحل الشمالي في القرن السادس الهجري .

هذا النشاط الاقتصادي و التجاري، الذي ساد منطقة وارجلان، أثر بشكله الإيجابي في نمط تفكير أبو يعقوب، الذي امتطى ركب التجارة برحلته التجارية لبلاد السودان الغربي تاجرا وطالبا للعلم وناشرا له، كما ذكر بن خلدون: " وارجلان باب لولوج السفر، من الزاب إلى المفازة الصحراوية، المفضية إلى بلاد السودان يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع"⁴ زيادة إلى أنها كانت موكبا لانطلاق حجاج بلاد السودان الغربي. هذا الدور البارز

¹ مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 62

² الدرجيني المصدر السابق ج 2 ص 491

³ الدرجيني المصدر نفسه ص 493

⁴ عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ بن خلدون، تح خليل شحادة، سهيل زكار، د ط دار الفكر بيروت لبنان سنة 1421هـ/2000م،

لوارجلان السياسي والاقتصادي، ساعدها بان تقوم بدورها الريادي المنوط، في نشر الإسلام في بلاد السودان وانتشار العلماء، فيها حيث كان منهم أبو يعقوب الوارجلاني طيلة القرنين الخامس والسادس الهجريين.¹ هذا النمط الاقتصادي، أثر في شخص أبي يعقوب حتى قال في قصيدته الحجازية :

جزى الله عنا وارجلان خير ماجزى به بلدا عن طالب الخيرسائر

فهو جنة الدنيا وأبواب مكنة ومعدن تبر غانة والدنانر

فمن كان يبغى الحج فليأت وارجلان يجد سبلها رحبا وخفرة خافر²

¹ مصطفى بن صالح باحو، المرجع السابق ص 76

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني، تح يحي بن بوهون حاج محمد د ط وزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه ومعاصروه

استطاع الفكر والمذهب الإباضي، الذي نهل منه أبو يعقوب الوارجلاني علومه الأولى، منذ نعومة أظفاره، أن يجعل منه ذلك الطالب الناشئ، والباحث عن الحقيقة العلمية والفكرية، متخذاً كل السبل محلية كانت أو خارجية، الأمر الذي مكنه من تحقيق مآربه والتتلمذ على شيوخ كبار، رفقة ثلة من أترابه وأقرانه، الذين عاصروه ودرسوا معه بفضل رحلاته التي لا تنقضي وبعودته التي كللت بإخراجه للعديد من تلاميذه، الذين حملوا لواء معرفته من بعده، وتأثره بالمذهب الإباضي لكونه هو السائد فترة حياته الأولى، امتداداً للحاضرة الأم عاصمة الرستميين تيهرت وبواسطة حملة العلم الذين نشروا المذهب الإباضي في بلاد المغرب الأوسط.

أولاً: شيوخه

إذا وجب الحديث عن شيوخ الوارجلاني، فلا بد من الحديث عن تلك المدرسة الفكرية الإباضية المنهج، التي تخرج من مقاعدها العديد من العلماء والطلاب الذين بدورهم أصبحوا، حملة علم وأنوار تشع على الصعيد المحلي أو خارج الديار، وبفضل ذلك النظام، المسمى العزابة، الذي احتوى الطلبة وهيكلهم، في أطر ممنهجة من أجل التحصيل، العلمي على أيدي شيوخ، لهم كلمتهم العلمية، نذكر منهم ممن تتلمذ على يد هم أبو يعقوب:

1- أبو زكرياء يحيى بن أبي زكريا الوارجلاني (ت بعد 471هـ)

هو أبو زكريا الوارجلاني، ولد بوارجلان، صنفه الدرجيني ضمن أصحاب الطبقة الحادية عشرة (500-550هـ) فيقول: "كان كثير الغضب في الله، شديد الغيرة على دينه، حيث قرأ العلوم وأتقنها، ورتب السير وأحكمها".¹

كما يذكر الشماخي في كتابه السير: أنه كان ورعاً، حافظاً مجتهداً، فيقوم في الصيف آخر الليل، للصلاة والعبادة² وهنا نرى الاتفاق، بين الدرجيني والشماخي في السلوك العبادي، لأبي زكريا فيمكن تصنيفه من الزهاد.

بعد أن نشأ أبو زكريا في وارجلان، فترة صباه انتقل إلى طرابلس سنة 461 هـ ثم انتقل إلى تمولست، وهي قرية جنوب شرق تونس، درس أحوال الإباضية في الحزام الأوسط للمغرب الإسلامي، (أريغ ودمر وأسوف ووارجلان وبادية بني مصعب) حيث درس على يد المؤرخ الإباضي أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي مدة عشر سنوات، درس على يده السيرة الإباضية، حتى عدّ مؤرخاً ثم انتقل إلى وادي ريغ ومنها إلى وارجلان، حيث قرية تماوط التي

¹ الدرجيني المصدر السابق ج 2، ص 470

² الشماخي المصدر السابق ج 2، ص 203

كانت مسقط رأسه، وتوفي حسب ليفتسكي بداية القرن السادس الهجري بعد العام 504هـ، ودفن في وارجلان أوسدرا ته.¹ اهتم بالثورات التي حدثت بين الإباضية والشيعة، كثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفري، وثورة أبي خزر يغلى بن زلتاف (380 هـ/990م)²

من أهم آثاره (السير وأخبارا لأئمة)، وهذا المؤلف اعتمد عليه أصحاب السير، مثل الشماخي والبغطوري والدرجيني وعن فضل كتابه في هذا يقول الوسياني: (له فضل سبق في هذا لم يأل خيرا برأفته، وهمته وفراسته " أيضا كتابه السيرة الذي يهتم بسير المشايخ، من أهل بلاد المغرب وتاريخ الرستميين.³)

من أبرز تلاميذه، ابن الربيع عبد السلام الوسياني، وأبو نوح وأبو عمرو عثمان السوفي، ومن الدلائل التي يمكن أن تكون أحد القرائن في تتلمذ أبو يعقوب على أبي زكريا، شهادة أبي عمار التناوتي في قوله: "حضرت أناو أبو يعقوب، مجلس شيخنا أبي زكريا، فقصصت عليه رؤيا رأيتها، وهي أن إبراهيم عليه السلام نزل من السماء إلى وارجلان، فجعل يقول: كيف رؤياك يا أبا عبد الكافي، فقال أبويعقوب الوارجلاني: لا أعلم أحدا كملت فيه هذه الصفات، غير النبوة في هذا الزمان إلا هذا الشيخ"⁴، لكن مصطفى باجو يذكر انه لم يعثر على دلائل تتلمذ ابو يعقوب على أبي زكرياء غير تلك الرؤية⁵.

وهنا يمكن اعتبار هذا اللقاء أحد مجالس العلم والتلقين، واحتمال تواجد مجالس أخرى للتدريس تلاقى فيها أبو يعقوب مع أقرانه في مجلس أبي زكريا لم تتكلم عليها المصادر.

2-أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي أبو سليمان

يعتبر أيوب بن إسماعيل من علماء وارجلان، وهمزة وصل في سلسلة علماء هذه الحضرة، صنفه الدرجيني في الطبقة الحادية عشرة (550-500 هـ) وقال فيه " بحر تتقاذف في غواربه السفن، وبر يقتدى به من اقتفى من المقتفين، إن سئل في العلم أجاب فأقنع، وإن استسقى فيها ماء أروى فأنفع...".⁶

فقد كان كريما سخيا، سخر ماله وجهده للعلم وطلبته وتلاميذته، فاتحا بيته لهم نشط علمه بوارجلان وتعلمذ على يده العديد من الطلبة، في القرن السادس الهجري، منهم يخلف بن يخلف التيمجاري، وأبو عمرو عثمان بن خليفة

¹ تاديوس ليفتسكي، المرجع السابق، ص 134-135

² أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ت 6هـ/12م) سير الوسياني تح عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصابة ط 1 وزارة التراث والثقافة مسقط سلطنة عمان سنة 1430هـ/2009م ج 1 ص 185

³ الوسياني المصدر نفسه، ج 1 ص 184

⁴ الدرجيني، المصدر السابق ج 2، السابق ص 489

⁵ مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 110

⁶ الدرجيني، المصدر نفسه، ج 2 نفسه ص 459

السوفي، صاحب كتاب السؤالات، والشيخ أبو عمار عبد الكافي التناوتي، صاحب كتاب الموجز، إضافة إلى أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، الذي رثاه في قصيدته البائية قائلاً:

أيوب ما أيوب لا أيوب ... أودي به قدر الردى المجلوب

فتلوثت أيامه وتصرت .. حيناً عليه وللردى تعقيب

وقال : دب البلاء بجسمه بعد البلى... فله به طول الحياة ديب

إلى قوله: فكن رحلت وغبت عنا ميتا ... للحزن في الدنيا علي رقيب¹

كما ترك العديد من التلاميذ والآثار، موصيهم بالعلم والتبحر فيه .

إضافة إلى هؤلاء الشيوخ، هناك من اعتبر أبو عمرو السوفي، من أبرز شيوخ الوارجلاني، مستندين على ما كتبه هو

نفسه في كتابه الدليل والبرهان "اعلم يا أخي لقد وصلني كتابك الأكرم... وصادفني ذلك وأنا في وارجلان

سدراته ولم التق بالشيوخ أبو عمرو وصالح حفظهما الله وكان أبو عمرو عثمان مريضاً ضعيفاً."²

والقرينة هنا تسميته بالشيخ، دلالة واضحة على تتلمذه على يديه في حين أنه من المحتمل أن يكون قد عاصره،

فقط بحكم تتلمذه معه وسفره أيضاً وإياه، إلى بلاد الحجاز.³

أيضاً هناك العديد من الشيوخ الذين التقاهم في رحلاته، سواء في بلاد السودان أو بلاد الأندلس سوف، يحين

الحديث عنهم في أهم رحلاته ولقاءاته.

¹ الدرجمي، المصدر السابق ج 2، ص ص 461-462

² بكير سعيد اعوشة، المرجع السابق ص 39

³ سالم يعقوب، تاريخ جربة وعلمائها، د ط ، د ش، سنة 2013م ص 222 ، مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 111

ثانيا : معاصروه

1- عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني (أبو عمار)

(ت قبل 570هـ/1174م)

يعتبر من أبرز علماء وارجلان، صنفه الدرجيني في نفس طبقة أبي يعقوب الوارجلاني، الطبقة الثانية عشرة، ولد في قرية تناوت¹ وإليها ينسب، نشأ في وارجلان وتلمذ على العديد من شيوخها، منهم أبوزكرياء يحيى بن زكريا (ت 571هـ) وأبو سليمان أيوب اليزماتي المزاتي².

رحل إلى تونس لاستكمال معارفه، في العلوم العقلية والنقلية والتدريس على اللسان العربي، فترة حكم الموحدين، مكث هناك مدة خمس سنوات. من الذين رافقوه في تتلمذه أبو يعقوب الذي رافقه في رحلته إلى الحجاز، من أجل أداء فريضة الحج ثم قفل عائدا إلى وارجلان، مكث بها وعمل على التدريس، إلى أن وافته المنية بها سنة 570 هـ³. ومن الأمور التي يمكن رصدها بمعاصرتة لأبي يعقوب، هي تلك الرسالة التي ذكرها الدرجيني و التي وردت لأبي عمار في إحدى المسائل، قادمة من غانا، تولى أبو يعقوب الإجابة عليها. ترك العديد من المؤلفات منها كتابه (الموجز)، الذي أكسب المدرسة الإباضية القدرة على الإقناع والمناظرة وكتاب (شرح الجهالات للمشلولطي) محقق من قبل الباحث التونسي عمر ونيس و كتاب (الفرائض) وكتاب (السير في نظام العزابة) يتحدث فيه عن نظام العزابة وكتاب الاستطاعة⁴

2- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي (المرغني) (ق 6هـ/12م)

أصله من بلاد (أسوف) أو (سوف) حاليا، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحركة الفكرية، ضمه الدرجيني ضمن الطبقة الحادية عشرة (550-500هـ) ويعتبر من أبرز أعلام لإباضية، كما يذكر الدرجيني: "هو في أهل المذهب، أحد الأعلام الكاشف بحسن ليانة ونور منطق لسانه، دياجي الظلام... المفتي في العلوم، لاسيما الكلام المجاش، المدافع عن كلمة الإسلام"⁵. يذكر ليفتسكي: نسب أبو عمرو السوفي المرغني، نسبة إلى واحة سوف، التي كانت مركزا

¹ أبو عمار عبد الكافي، سير أبو عمار، تح مسعود مزهودي، ط 1 مكتبة الضامري سلطنة عمان سنة 1996م ص 5

² الدرجيني، المصدر السابق ج 2، ص 485-487

³ مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 113

⁴ سعيد بن تعاريت، المسلك المحمود في معرفة الردود، تح فرحات بن علي الجعبري، علي بن الشيخ سعيد بن تعاريت د ت د ن ص 187

⁵ عادل نويهض، المرجع لسابق، ص 258

إباضيا مهما، أما المرغني فيرجع إلى كلمة المرغني، التي ذكرها صاحب سير المشايخ والتي تعود إلى الأصل البربري، أي مازغني تعريبه على شكل مازغن.¹

نزل بالحامة (قابس)، حاليا بالجنوب التونسي تطل على البحر، ثم طرد منها بعد أن وجد مساجدها العامرة، خالية بتدبير من لم يطبق مذهبه الإباضي، يقول أبو عمرو السوفي: العطايا أربع، اثنان جائزتان، عطية لما عند الله وعطية لشواب الدنيا واثنان غير جائزتين، عطية إكراه وخوف وعطية على وجه الركون² ومما دل على رفقته للو رجلاني، ما ذكره هو في قصيدته الحجازية، عندما ارتحل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، بقوله:

خرجنا نؤم الشرق، من حيز وارجلان ... بفتيان صدق، من وجوه العشائر

من شيوخه أبو العباس أحمد بكر (ت504هـ)³ وأبو الربيع بن يخلف المزاتي (ت471هـ)⁴ المعيز بن جناو.⁶⁵ ترك تراثا هاما، حيث تنسب إليه بعض المصادر ركتاب (السؤالات) مخطوط موجود في ميزاب ونفوسة وجربة حيث اختلف في انه لأبي عمرو السوفي نظرا لان هناك العديد من كتب في حواشيه أمثال أبي عمار عبد الكافي وعيسى بن عيسى النفوسي لكن ليفتسكي يرجح ان أبا عمرو هو مؤلف الكتاب في حين أن باقي العلماء مجرد كتاب تعليقات في الحواشي،⁷ و يعد من أهم المصادر للعقيدة الإباضية ومصدر مهم لكتابات الشماخي، أيضا كتابه (رسالة في الفرق)، وهي عبارة عن بحث في العقيدة والفلسفة.

¹ تاديوس ليفتسكي، المرجع السابق، ص 69

² الدر جيني، المصدر السابق، ص ص 483-485

³ أبو العباس أحمد بكر (ت504هـ):

⁴ وأبو الربيع بن يخلف المزاتي: صنفه الدرجيني ضمن الطبقة العاشرة (450هـ/500هـ) عالم اصولي احيى الله به طرق الصلاح وفتح له ابواب الخيرات، كان قد حضر مجالس العلم رقة ابو عمرو السوفي وافته المنية عام 470 هـ فبكته اريغ وسامر الرثاء والندب المشايخ بوفاته. ينظر الدرجيني، المصدر نفسه ج2 425

⁵ المعيز بن جناو: (ق 6هـ/12م) عالم ضليع بالسير عرض عليه كتاب السؤالات للشيخ ابي عمرو بن خليفة السوفي فصحه، يسمى ابنه اسماعيل روى عن ابو عمرو مسائل في العقيدة. ينظر: ابراهيم بن بكير مجاز واخرون معجم اعلام الاباضية المرجع السابق ص 422

⁶ الدر جيني، المصدر نفسه، ص 501

⁷ تاديوس ليفتسكي، المرجع السابق ص 72

ثالثاً: تلاميذه

إن عصامية أبي يعقوب الوارجلاني وتفرغه للعلم وعكوفه في بيته، أنتجت لنا كما هائلا من الآثار، التي كان لها دورها الكبير في انتشار الفكر الإباضي، رغم ذلك الإتلاف المنقطع النظير للعديد من المصنفات، بسبب تلك الاضطرابات والفتن التي عرفتها منطقة وارجلان عبر التاريخ، وترك الحديث عن الكتب والمؤلفات إلى الفصول القادمة ونتحدث عن آثاره من خلال تلامذته، الذين حملوا علمه ونشروا أفكاره وتفاسيره، في العديد من المناطق والأمصار. ولقد نقلت لنا المصادر بعض تلاميذ الوارجلاني نذكر منهم :

1- أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الوارجلاني

كان غاية في العلم والزهد والأدب والتواضع، ما لا يدركه أحد من المسلمين وذوي الاجتهاد.¹ حيث صنفه الدرجيني ضمن طبقة أبيه يعقوب بن إبراهيم، في الثانية عشرة وأورد رواية محاولة إسحاق اللحاق بأبيه، وبمنزلته العلمية، وهي نفس الرواية قد أوردها الشماخي ويقول فيها: " أن أبا إسحاق رأى في منامه كأن نخلتين صنوان أحدهما باسقة والأخرى قصيرة وكان والده في الطويلة منها يجتني ثمارا وكأنه عالج الطلوع فقدر على الصغيرة فلما صار إليها عالج طلوع الكبيرة إلى حيث كان أبوه فلم يطق، فقصها على أبيه فقال :بابني انك تحاول منزلة أبيك في العلم وأنت دونها." ² وافته المنية كما ذكر الشماخي سنة 600هـ/1203م³.

2- أيوب بن نوح أبو سليمان

يعد من تلامذة أبي يعقوب الوارجلاني وهذا ما يتضح لنا، من خلال ذلك الحوار الذي أدرجه الدرجيني، بين أبي سليمان والوارجلاني في قوله : " رحم الله شيخنا، أبا يعقوب عمدا إلى العلوم النافعة، كعلم القرآن والفقه واللسان، فحملها ابنه أبا إسحاق ووجد عندنا ما قابله لعلم لا ينفع " ويعني به هنا علم النجامة، فعلمناها وقلنا له ما غاية المنجم المحقق؟ أيعلم يومه متى يكون؟ قال: اعلم أن غاية المنجم العالم، يعرف أسعيداً شقي. وكان أيوب هذا يقول: يكون أجلي يوم كذا فكان كما قال " ⁴ والمقصود هنا علم التنجيم، الذي كان سائداً فترة الوارجلاني في بلاد وارجلان .

هذه الرواية أوردها الشماخي، في سيره ونظن أنه قد نقلها عن الدرجيني.

¹ الشماخي، المصدر السابق، ص 106

² الدرجيني المصدر السابق ج 2، ص 495، الشماخي المصدر نفسه ج 2 ص 106، إبراهيم بن بكير مجاز وآخرون المرجع السابق ص 36،

³ الشماخي المصدر نفسه ج 2 ص 106

⁴ الدر جيني، المصدر نفسه، ج 2 ص 493، الشماخي، المصدر نفسه، ج 2 ص 105.

3- أبو الربيع بن علي بن يخلف التيمجاري النبطي (الدرجيني) (النصف الثاني ق: 6هـ/12م)

صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (600-550هـ)، أي ضمن طبقة أبي يعقوب الوارجلاني، فكان مثالا للسخاء ونزاهة النفس، كما كان شاعرا، وله قصيدة بلسان بربري وله العديد من الكرامات وكان من السخاء حتى تصدق بكل ما يملك فيقول: "إن من كثرة الأضياف، لديه حتى نصحوه، أن ابق لأولادك واتق الله فيهم، فكان يردد إن كانوا أولياء الله، فإن الله لا يضيعهم وأن يكونوا غير ذلك فانا أولى بمالي".¹

ويعتبر أبو الربيع، جد صاحب مؤلف طبقات المشايخ الدرجيني وأصل أسرته من تيمجار وسط جبل نفوسة الشرق، ثم استقرت عائلته بقرية كتومة، احدي قرى تقيوس بوادي ريغ، ثم نزل بلاد درجين، انتقل بعدها إلى وارجلان والتقى بالعديد من مفكرها وعلمائها وأخذ عليهم الكثير، منهم أبوإسماعيل بن إسماعيل المزاتي وأبو يعقوب الوارجلاني وأبو عمار عبد الكافي التناوتي و أبو عمرو السوفي . كما تخرج على يده، العديد من التلاميذ، من أسوف ووارجلان والزاب وقسطيلية (الجريد التونسي أو ما يعرف بتوزر وضواحيها في الجنوب التونسي) .

ترك العديد من المؤلفات منها : كتاب في علم الكلام وكتاب في الفقه في جزأين، كما كان متقنا لمسائل الفروض.²

ويبقى بذلك من خلال المصادر إن تلاميذ الوارجلاني، قد اقتصر على ابو إسحاق وأيوب بن نوح في حين نرى ان ابا الربيع التيمجاري قد نزل وارجلان وكان قد اخذ العلم على أبي يعقوب , ولا يمكن الحصر هنا، فاحتمال تواجد تلاميذ آخرين اعتمادا على رحلاته ولقائه بالمشايخ واحتمال التلمذ على يديه في تلك المناطق.

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ص ص 519-520

² عادل نويهض، المرجع السابق، ص 209

المبحث الثالث : رحلة الوارجلاني

تشغل الرحلة مكانة مهمة في البلاد الإسلامية وبلاد المغرب الإسلامي بعدوتيه ،فتنوعت بتنوع مقاصدها وتنوع أسبابها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد اهتم بعضها بوصف الأقاليم والبلدان وما حوت من الغرائب وأخرى انطلق أصحابها في رحلات دينية حجازية مشرقية للبقاع المقدسة، لأداء فريضة الحج والزيارة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى هدفها علمي، من أجل مجالسة العلماء والفقهاء .

فكان للرحلة الدور الكبير، في توسيع المدارك العقلية والاطلاع عما هو مفيد وجديد، حيث يقف فيها الفرد على العديد من الحقائق العلمية وزيادة في الرزق، إن كانت رحلة تجارية فانطلق طلبة المغرب الإسلامي، في رحلات مختلفة كل حسب مقصده و مبتغاه. وكان أبو يعقوب الوارجلاني، من الرحالة الذين تنوعت رحلاتهم إلى العديد من المناطق، شمالا وجنوبا شرقا وغربا .

اولا: رحلته إلى الأندلس

إن تفتح الحركة الاباضية والتطلع الى العالم الاخر، جعل من خيرة شبابها التفكير في الانتقال الى العالم الاندلسي الذي يزخر بالعلم والعلماء خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين،¹ حيث انتقل إلى قرطبة شاب من وارجلان سدراته يتجول في ربوعها ويرتاد مساجدها ويتصل بشيوخها، ذلك هو العالم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني حيث ذكرت كتب السير أنه ارتحل إلى الأندلس وهو شاب ،في النصف الثاني من عقده الثالث وسكن قرطبة ،وفيها حصل علوم اللسان والحديث والفلك وغيرها في رحلة علمية ،بعد أن أخذ العلوم الدينية والشرعية وحفظ القرآن الكريم وتفسيره ،في مسقط رأسه بوارجلان سدراته ، واستقر به المقام في قرطبة التي مكث فيها قرابة الستين.²

أورد الدرجيني أن انتقال أبي يعقوب إلى الأندلس، كان فترة شبابه قائلا: " وبلغنا أنّ أبا يعقوب في عصر شببته يقرأ بقرطبة ففيها أثنى الفن، وفيها حصل بضاعة وافرة من اللغة غير مزجاة "وهنا مرحلة الشباب، تكون من فترة البلوغ إلى ما قبل فترة الكهولة بقليل³ ويتضح هنا أن مدة مكوثه قد تكون في حدود الخمس سنوات وهي مدة كافية الى أن يزور باقي مدن الأندلس علاوة على العاصمة العلمية قرطبة ، تلك المدن التي عرفت التواجد

¹ محمد ناجي، جامعة قابس تونس، مداخلة بعنوان من وارجلان الى قرطبة قراءة في تأثير المجال في فكر أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، ملتقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين 4/3 الهجريين، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي 12/11/فيفري 2019 ص 6

² ابن حزم الاندلسي جمهرة انساب العرب تح عبد السلام محمد هارون ط5 دار المعارف القاهرة 1982 م ج2 ص 498

³ الدرجيني المصدر السابق ج2 ص494

الإباضي كقرمونة ومورون، التي قامت فيها إمارات إباضية في القرن الخامس الهجري منها إمارة بنو دمر وإمارة بنو برزال،¹ فقد ذكر بن حزم صاحب الجمهرة، أن جزيرة اليابسة كانت كلها إباضية حتى القرن السادس الهجري و أنه التقى بأبي محمد البوينكي البرزال الإباضي، الذي كان ناسكا عالما بأنسب الإباضية، وأضاف بعد أن ذكر فروع زناته أن كل ما ذكرناهم معتزلة حاشا بني برزال وبني واسين فهم إباضية،² وهذا التواجد الإباضي يدل على أن الفكر الإباضي قد أخذ طريقه إلى الأندلس مبكرا سواء عن طريق العلماء أو عن طريق مناطق الاحتكاك التجاري إضافة الى جمال طبيعة الأندلس التي أسالت لعاب العديد من العلماء للنهل من إشعاعها الفكري.³

أما طريق رحلته إلى الأندلس، فلم تحدد كتب المؤرخين ذلك ويمكن القول بأنه قد سلك نوعين من الطرق، البري أو البحري وكلاهما وارد، فالبري يكون مرورا ببلاد المغرب الأقصى، عبر مضيق جبل طارق، ثم الدخول إلى الأندلس واحتمال ركوبه البحر عبر أحد موانئ المغرب الأوسط والمؤكد نقطة انطلاقه وعودته إلى وارجلان. فالطريق البري حسب اليعقوبي، من تيهرت إلى طنجة، ثم سبتة ثم الأندلس، عبر مضيق جبل طارق، مارا عبر تلمسان ومنها إلى منطقة اسمها بلل، مسير خمسة وعشرون يوما.⁴

أما الطريق البحري، فكان ببلاد المغرب الأوسط، العديد من الموانئ التي يمكن اعتبارها نقطة انطلاق بحرية، منها ميناء بني مزغنة كما ذكر المقدسي، الذي منه يعبر إلى الأندلس، أيضا مرسى وهران ومرسى الدجاج وميناء تنس وميناء فروخ، الذي كانت ترسي به مراكب التيهرتيين.⁵

كما اعتبرت سجلماسة، إحدى محطات الوارجلاني في رحلته، نظرا لما أوردته بعض المراجع نقلا عن اطفيش، أن الوارجلاني التقى في طريق عودته بعالم، كان يدرس معه في الأندلس وكان اللقاء في مدينة سجلماسة⁶ ويمكن تصور طريق الوارجلاني بهذا المخطط:

وارجلان نقطة الانطلاق — سجلماسة — تيهرت — ميناء تنس/ميناء فروخ — الأندلس/قرطبة.

¹ محمد ناجي المرجع السابق ص 6

² بن حزم الاندلسي، المصدر السابق ج 2 ص 498

³ بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح ج سي كولان وليفي بروفنسال ط2 دار الثقافة بيروت لبنان 1980 ج 2 ص 84

⁴ اليعقوبي (ت 684 هـ) البلدان ت ح محمد أمين ضناوي منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان د ت ص 183

⁵ المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط2 طبع مدينة ليدن مطبعة بريل سنة 1906 م ص 315، الشريف الادريسي (ق 6 هـ) نزهة

المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية 1422هـ/2002م مج 1 ص ص 259-296

⁶ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني المصدر السابق ص 25

الوارجلاني بالأندلس

بلغت الحياة العلمية والفكرية في الأندلس أوجها، خاصة في القرن الرابع والخامس والسادس الهجري وذلك بقدم العديد من العلماء، وأصبحت مقصداً ومحجاً علمياً بامتياز، فكان هذا الزخم الذي ارتحل من أجله أبو يعقوب بن إبراهيم إلى بلاد الأندلس، من أجل التحصيل والاستزادة، ومن أهم العلماء الذين عاصروهم هناك أبو بكر بن طفيل (581-500هـ) وهو عالم موسوعي من غرناطة، اهتم بالعديد من العلوم كالفلسفة والرياضيات والشعر وله العديد من المؤلفات، منها (حي بني يقظان)، توفي بمراكش حاول التوفيق بين الفلسفة والدين التقاه أبو يعقوب وأخذ منه الفلسفة والعلوم الدينية.¹ أيضاً أبو بكر بن العربي (468هـ/543هـ)، وأبو بكر بن محمد بن باجة (475/533هـ) وغيرهم ممن صنع الربيع الثقافي لقرطبة²

كما ذكر الشيخ اطفيش في كتابه "إن لم تعرف الإباضية" أن الوارجلاني التقى بعالم من سجل ماساة مالكي المذهب، التقاه الوارجلاني في قرطبة، بعد خروجهما من الأندلس، فكان الإمام أبو يوسف على فرس والرجل على جمل فقال المالكي:

ما كنت أحسب، الطود تحمله.... العيس فيصبح، بين الرجل والقتب
 ما أنصفت جوهة، من كان أوجدها... علما وأكملها في العقل والأدب
 إذا ضيقت حالها، فيها وقد وسعت... ذوي الجهالة، والخطل في النسب³

استطاع الوارجلاني أن يبحر، في علوم الأندلس، مانحاً ومستفيداً من علمائها، فلم تكن إقامته بقرطبة سياحة، بقدر ما كانت متعة وغاية علمية، حتى لقبه الأندلسيون هناك، بالجاحظ وما تشبيهه الدرجيني له بالبحر قد جاء من العدم "بحر العلم الزاخر، المسخر للنفع، فترى الفلك فيه مواخر".⁴

¹ مصطفى بن صالح المرجع السابق ص 108

² محمد ناجي المرجع السابق ص 6

³ أبو يعقوب المرجع السابق ص 25

⁴ الدرجيني المصدر السابق ج 2 ص 491

ثانيا: رحلته إلى بلاد السودان

يعتبر الطريق المحاذي لسجلماسة والذي يعبر الصحراء عبر مراحل متعددة، انطلاقا من الساحل مركز التجارة البحري، من ساحل تنس الى مليانة ثم الحضنة بإقليم الزاب، عبر واحة طينة بسكرة نحو وارجلان "ورقلة" حاليا، التي كانت أهلة بالعديد من المجموعات الإباضية ومركزا تجاريا هاما، ونقطة انطلاق القوافل، المتجهة صوب افريقية وبلاد السودان الغربي، بمسيرة اثنتا عشرة مرحلة من المسيلة إلى وارجلان، مارا على واحات ريغ وأريغ.¹ هو الطريق الذي جعل من وارجلان منطقة عبور تجارية هامة، كان مسلكها كما يأتي في المخطط ادناه:

تنس – الحضنة – إقليم الزاب² عبر واحة طينة (بسكرة) – واحات أريغ – وارجلان .

بهذا الطريق أو المسلك أصبحت وارجلان مركزا تجاريا بامتياز، انطلقت منها عديد الرحلات التجارية ، صوب الصحراء وبالضبط إلى بلاد السودان ، فكانت تجارة الرقيق والتبر من أبرز السلع المتداولة، التي كان يمارسها كل عامة وارجلان ووجهائها، بل حتى العلماء، لمن أرادان يسترزق ويوفر لرحلاته العلمية، فكان منهم أبو يعقوب الوارجلاني، الذي ارتحل طالبا للمال والرزق والاستزادة في العلم والاكتشاف.³

ويمكن أن تكون رحلته إلى بلاد السودان، قبل رحلته إلى الأندلس، بغية التحصيل لقليل من المال لكي يستطيع أن يسافر إلى الأندلس طالبا للعلم .

لقد سكتت المصادر عن رحلة الوارجلاني لبلاد السودان وتاريخها، غير الذي تحدث به أبو يعقوب بن إبراهيم عن نفسه، في كتابه الدليل والبرهان وما رآه بقوله: " .. فالأرض واسعة وفي الأقاليم سعة والأقاليم السبعة، معمورة ببني آدم ومن وراء الأقاليم خط الاستواء، أيضا معمور... قد وصلت بنفسني إلى قريب خط الاستواء وليس بيني

¹ محمد عيسى الحري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها بالمغرب والأندلس ، ط 3 دار القلم للنشر والتوزيع الكويت ، سنة 1408هـ/1987م، ص ص 210-213.

² إقليم الزاب: فالزاب لغة كما جاء عند صاحب القاموس المحيط: زاب زوبا اي انسل هربا ، والماء جرى هو تلك المنطقة الموجودة على السفوح الجنوبية، لجبال الأوراس، والتي تتميز باللاينساض وتتصل بالصحراء، يمتد من حدود المسيلة ونقاوس شمالا، الى وارجلان ووادي ريغ جنوبا، ومن الدوسن غربا ، الى بادس شرقا ، حيث تبعد بادس عن بسكرة مسافة 110 كم . ويحدد بن عذاري المراكشي إقليم الزاب من بلاد الجريد حتى تيهرت ، ويقسمه الى أعلى وأسفل، من طرابلس الى بلاد الجريد ، الى الزاب الأسفل حدها تيهرت، أما حسن الوزان ، فيحدد إقليم الزاب بأنه يقع في وسط ، مغارات نوميديا ، مبتدئا من تخوم المسيلة ، يحده شمالا مملكة بجاية ، ممتدا شرقا لبلاد الجريد، وجنوبا القفار ، المؤدية الى وركلة وهي منطقة شديدة الحرارة، رملية، ويشمل الإقليم خمس مدن: بسكرة والبرج ونقطة وطولقة والدوسن. ينظر : الفيروزبادي ، القاموس المحيط، ح م كتب التراث في مؤسسة الرسالة، دار صادر بيروت لبنان، ط 5، ص 122، حسن الوزان وصف افريقيا ، ج 1، تح محمد حجي، ومحمد الاخضر، ط 2، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص ص 138-139، بن عذاري المراكشي، المصدر السابق ج 1، ص 5، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري مسالك الممالك ط 1 مدينة ليدن بمطبع بريل المسيحية سنة 1870 م ص ص 36-40

وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد أن يستوي الليل والنهار فيه أبداً،... وأطول يوم في السنة إنما يفصل أقصر يوم منه بساعة واحدة، فالنهار الطويل ثلاث عشرة ساعة، والنهار القصير إحدى عشرة ساعة..¹

بهذه الملاحظات لأبي يعقوب، بدأت مرحلة الاكتشاف والنظرة الثاقبة لديه، فكان ذلك الفلكي الجغرافي، الملم الموسوعي خاصة باكتشافه لخط الاستواء وتقسيمه لتلك الأقاليم السبعة.

أما طريق رحلته إلى بلاد السودان، فلم يتطرق الوارجلاني لذلك، إلا إيراده لبعض القصص في طريقه، مثلاً في منطقة زغاوة وملكهم بن أوبك وهو أبو محمد العريف.²

أيضاً مروره على واحات إقليم كانم، ويسمون "أهل كوار"، وكان الطريق إليهم عبارة عن جبل، مثل الصومعة طولاً، وعملتهم جرة بمائة من الجنود.³

ويمكن أن نتصور طريق الرحلة وأهم مناطق المرور بالمخطط التالي :

وارجلان - جادو (مركز تجاري بجبل نفوسة) - مرورا بتيري ثم اودرف - زويلة بعد مسيرة خمسة عشر يوماً - كوار .

ومن فوائد رحلة أبي يعقوب، إلى بلاد السودان في النقاط التالية:

- كانت رحلة الوارجلاني إلى بلاد السودان، تجارية استكشافية علمية
- استطاع الوارجلاني اكتشاف خط الاستواء.⁴
- مزج الوارجلاني في رحلته، بين التجارة والعلم، فسبق بذلك معاصريه ومن لحقه .

¹ أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني الدليل والبرهان تح الشيخ سالم بن حمد الحارثي ط3 وزارة التراث القومي والثقافة سنة 1997 م ج 3 ص 291

² زغاوة : هم النازلون بالموضع الذي يقال له كانم ويسمى ملكها كاكرو الرغاوة جنس من أجناس السودان يستترون بجلود الماعز والإبل وترتبط مملكة الرغاوة بمنطقة فزان خاصة مدينة زويلة وما وراءها أي جبل نفوسة وذكر يعقوبي أن سكان زويلة قوم مسلمون اباضية وأكثرهم زواغة . ينظر يعقوبي (ت 684 هـ) البلدان تح محمد أمين ضناوي منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان د ت ص 183، جودت عبد الكريم العلاقات الخارجية للدولة الرستمية د ط المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 م ص 247

³ جودت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ص ص 245-247

⁴ خط الاستواء: إن اكتشافه وبلوغ خط الاستواء كان من طرف علماء الإسلام منذ القرن 6هـ/12م، عندما وصل الرحالة أبو يعقوب الوارجلاني في رحلة إلى بلاد السودان وسجل اكتشافه لتساوي الليل والنهار، وواظف اهتمامه بعلم الفلك والجغرافية، بحيث دون تفاصيلها في كتابه الدليل والبرهان، كما أسلفنا، وفي عام 1936م شيد نصباً تذكاريًا إحياء لمرور 200 سنة على مجيء تلك البعثة الفرنسية، سنة 1736م إلى منطقة خط الاستواء بالإكوادور الذي بني على دائرة عرض صفر درجة، أي على خط الاستواء الذي اكتشفه أبو يعقوب، وسمي الآن وسط العالم ويستقطب عديد السواح للوقوف على هذا الاكتشاف. أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان المصدر السابق ج 3 ص 291، موقع الشيخ طلاي

http://cheikh-talei.net تاريخ الزيارة 2019/05/31 م

- دراسته الأنثروبولوجية لحياة الشعوب وبساطة عيشتهم في بلاد السودان، خاصة وتتبع سلوكياتهم الحياتية حيث قال: " يخافون من البيضان، من الناس ويجسبونهم ملائكة، نزلت من السماء " .
- اكتشافه لأرض عيش بلاد السودان، التي كانت تتصف بالانبساط، حتى أن أهلها كما يذكر كانوا يعجبون من الجبال والصخور.¹

ثالثا: رحلته إلى المشرق (الرحلة الحجازية)

كانت الرحلة لبلاد الحجاز أو المشرق، لسكان بلاد المغرب من الرحلات التي تزيد الطالب والعالم الهيبة والاحترام من قبل العامة والخاصة، حتى أصبحت الرحلة عرفا سائدا حتى أيام ازدهار بلاد الأندلس ومقصدتها من الكثير من العلماء، فترى الطلبة يمتطون البحر والبر، بحثا عن حلق العلم مشرقا ومغربا، من أجل ملاقاتة العلماء والأئمة، علاوة على أداء مناسك الحج وزيارة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

من أهم الرحلات الحجازية كانت رحلة أبي يعقوب الوارجلاني، التي ذكرها الدرجيني بعد رحلته إلى بلاد الأندلس، وما دل على ذلك تلك القصيدة الحجازية، التي نسجها أبو يعقوب، حاكيا أهم مناطق العبور والزيارات التي مر بها، يقول الدرجيني: "ومما يدل على سعة ما عنده من الفنون قصيدته الحجازية، الطويلة فأثَّه أودعها فصولا، على ما ذكرته من ذلك أبياتها، عدد أيام العام بدأها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان"² فقال :

عذيري عذيري، من ذوات المعاجر ... ذوات العيون النجل، بيض المحاجر

ذوات الشفاه اللعس، بالظلم واللما غرائز حرق الصنع، سود الغدائر³

وذكر عند ابتعاده عن وارجلان :

جزى الله، عنا وارجلان خير ما جزى.... به بلد، عن طالب الخير صائر

هو الجنة الدنيا، وأبواب مكة وأبواب، تبر غانة والدنانير.

وقد كفت قصيدة الوارجلاني الحجازية، كل المصادر في رواية رحلته، وبدايتها التي حكى فيها كل صغيرة وكبيرة، حيث أنه كان قد ارتحل، في سن متأخرة كما يحكي هو عن نفسه، فيقول :

على إني، قد قلتها، من قصيدة ... وقلبي مشغول وهمي، وخاطري

وتذكر أهلي، طال ناي عنهم وأرحام قربي، عن بني الأصاغر

¹ أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان المصدر السابق ص 292

² الدرجيني المصدر السابق ج 2 ص 494 ،

³ الشماخي المصدر السابق ص ص 108-109، أبو يعقوب الوارجلاني القصيدة الحجازية المصدر السابق ص 41،

وفقري ووقري وانتكاسي، وشيبيتي وتوديع أيام الصبا، والخوافر¹

وما يفهم من أبيات القصيدة، على تقدم سن الوارجلاني وما لاقاه من التجارب، نضير رحلاته المتعددة خاصة، إلى بلاد السودان وبلاد الأندلس، ونظرا لتلك التجارب، فقد ذكر أنه كلف في رحلته بترأس المجمع الذي رحل، معه وتولى وعظهم وإرشادهم. في قوله مثلا:

وروعات هول، الموت يوم نزوله ... يرى المرء، سكرانا وليس بساكر

نزود من الدنيا، فانك راحل وآثر هداك، عن عماك وبادر²

وقد استمرت الرحلة كما يذكر " اعوشت سنتين " وهذا ما استنتجه من خلال حادثة، أوردها الدرجيني بقوله " .. وذكروا لما عزم المسير إلى الحج، إذ استودع عند أفلح المرغني أمانة، تبلغ مائتي دينار لما عزم المسير إلى الحج، فلما قدم بعد عامين قال له: ماذا فعلت بالوديعة يا أفلح؟ قال: أكلها الزمان يا محمد فلم يسأله عنها حتى لقي ربه ".³

لكن الملاحظ أن الوارجلاني، قد ذكر في قصيدته مدة الذهاب إلى بلاد الحجاز، التي دامت ستة أشه

فقال: وحق لمن قد سار ستة أشهر ... من الغرب حتى زار أبيض زاهر⁴

وهنا يمكن القول: بنفس المدة عودة أو تزيد قليلا وتكون أسرع بحكم العودة، إلى الوطن والبعاد الشوق إضافة إلى تدريب القافلة على الطريق الذي علموا مساره، أثناء مرحلة الانطلاق و لرؤية الأهل والولد وهو الأمر الذي كفى فيه أصحاب المصادر الخوض فيه وحدده بنفسه في قصيدته.

فقال: دعانا إلى الأوطان شوق مبرح يهيج حاجات النفوس الذواكر

وطارت عقول الناس نحو بلادهم ... فغنوا لها طردية المتزاور⁵

كما تذكر بعض المصادر، إلى أن نية أبي يعقوب في السفر، إلى بلاد الحجاز، بعد أداء فريضة الحج الالتقاء بجار الله الزمخشري صاحب كتاب الكشاف، من أجل الأخذ منه في بعض المسائل الكلامية، إلا أنه أدرك جنازته وهي مارة أمامه، فقبل له إنها للشيوخ جارا الله الزمخشري، فلم يلتق به ورجع بعدها إلى وارجلان ممتطيا البحر .

أما طريق رحلته فمن المؤكد أن منطقة وارجلان كانت المنطلق، لكن أهم مصدر لمعرفة طريق رحلته كانت قصيدته الحجازية، التي أفاد وأجاد فيها في وصف طريقه وما رآه وما حصل لهم فيقول:

¹ أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان المصدر نفسه ص 7

² أبو يعقوب الوارجلاني رحلة الوارجلاني القصيدة الحجازية المصدر السابق ص 74

³ بكير سعيد اعوشت المرجع السابق ص 42

⁴ أبو يعقوب الوارجلاني المصدر نفسه ص 54

⁵ أبو يعقوب الوارجلاني المصدر نفسه ص 56

خرجنا نؤم الشرق، من حيز وارجلان ... بفتيان صدق، من وجوه العشائر

جر يونجوابون، كل تنوفة.... يحار بما هادي القطا، المتصادر¹

نرى من خلال البيتين السابقين، إن نقطة انطلاقه والقافلة كانت من وارجلان، عبر الصحراء (تنوفة) الشاسعة، من خلال البيت الثاني ما نلاحظه في رحلته، أن وسيلتهم في الرحلة كانت الإبل والجمال وقد أبدع في وصفها، إلى حد تشبيهها في مشيها بالغلزان (اليعافر)، إلى وصوله إلى جرمه أو حربة ومنطقة فزان، هنا نلاحظ تواجدهم في أراضي ليبيا الحالية وفي جنوبها، إلى مرورهم بتستو، ثم سبها وسهنا وماطر ثم زديج ومنزل العبادوجالو والأزرقية، وزيدان ثم الدخول إلى الأراضي المصرية، ومنها كانت سنترية ثم الوطية، ثم ألواح ثم مصر، ثم بركة الحب ثم بلاد التيه و بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم)، ثم عين موسى ثم طور سيناء ثم ماء مدين ثم عينونة والتبك ثم بلدة الحوراء، ثم الوصول إلى البحر ومنطقة ينبوع المطلة على المدينة، ثم الصفراء ليلى و ذات السيال والعقيق وغائر وات، وإلى ذو الحليفة وهنا قد وصلوا إلى الميقات، حيث ذكر تجردهم من اللباس و المحيط والدخول في مناسك الحج ثم أتوا الجحفة، وعسفان ثم قال لما انتهينا نحو الكعبة والمقصود هنا وصولهم إلى مكة المكرمة، وهنا آخر مكان في طريق رحلته إلى الحجاز وسوف يأتي الحديث عن مسلكه في أداء حجه كملحق آخر البحث.

حيث قال : جزى الله، عنا جرمة وبلادها وفزان، خير شاكرا غير كافر

وقال : ولما انتهينا، نحو كعبة ربنا ... بكينا، وجدنا بالدموع، البوادر²

ويمكن أن نتصور طريق أبو يعقوب الوارجلاني، بالمنحط الآتي حتى تكتمل الصورة المسلكية :

وارجلان - جرمة - فزان (الأراضي الليبية) - تستو - سبها - سهنا - ماطر - زديج - منزل العباد - جالو - أزرقية - زيدان - سنترية الأراضي المصرية - الوطية - الواح - مصر - بركة الحب - بلاد التيه - بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم) - عين موسى - طور سيناء - ماء مدين - عينونة - التبك - بلدة الحوراء - ينبوع (ينبع حاليا) - الصفراء - ليلى - ذات السيال - العقيق - غائر - ذو الحليفة - الجحفة - عسفان - مكة المكرمة

من خلال رحلة أبي يعقوب الوارجلاني، يمكن أن نخلص إلى جملة من الفوائد، التي توزعت على العديد من الجوانب، الدينية والتاريخية والاجتماعية التي، تجسدت في قصيدته الحجازية والتي كانت بمثابة دراسة عمودية، انثروبولوجية طبونيمية دقيقة، لطريق قد سلكه و يمكن أن نصنفها ضمن كتب المسالك والممالك، لما حوته من وصف دقيق. ونلخصها في النقاط التالية :

¹ أبو يعقوب الوارجلاني المصدر نفسه ص 42

² أبو يعقوب الوارجلاني رحلة الوارجلاني القصيدة الحجازية المصدر السابق ص 67

- من الناحية التاريخية، فقد ذكر أبو يعقوب أهم القبائل التي صادفته، وأهم مواقعها وأوصافها ودراسته لجغرافية لأهم الطرق والمسالك .

قوله : ومغراوة، عليا زناته كلها وغيرهم، من خير أهل الجزائر

- أيضا استطاع الوارجلاني، أن يطلعنا على العديد من الأماكن والصحاري، التي كانت غير معلومة، وخاصة تلك المناطق الثرية التي لها مكانتها لدى المسلمين، كطور سيناء ومناطق الإحرام .

- أما من الناحية الاجتماعية، فقد تفرد بذكر أخلاق القبائل، التي أكرمتهم في الطريق إضافة إلى نقده لبعض التصرفات للناس، كظاهرة المكس، أيضا شكره لأهل مصر، عهد زعيمها كافر الإخشيدي حيث أكرمهم ورحبوا بهم أيما ترحيب.

- أما من الجانب الديني، فقد فصل أبو يعقوب مناسك الحج تفصيلا دقيقا، بداية من الإحرام إلى الوقوف بعرفة، مروراً بالطواف والسعي وشرب ماء زمزم، وكان واعظاً مرشداً .

أخيراً لم تكن هذه آخر رحلة للو رجلاني كما ذكر ذلك عبد الرحمان الجيلالي بقوله: أن أبا يعقوب، قد رحل إلى العديد من العواصم، العلمية منها بغداد للنهل من علومها وعلمائها¹.

¹عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق ج 1 ص 317

خلاصة الفصل:

ارتبط اسم ابو يعقوب الوارجلاني السدراتي بمسقط رأسه سدراتة, ومكان ترعرعه وارجلان تلك البيئة التي نهل منها العلوم الأولى, من القران الكريم واللغة, و الذي ولد سنة 500 هـ وتوفاه الأجل سنة 570 هـ طموحه اللامتناهي, جعل منه ذلك الرحالة الذي صال وجال الأمصار مشرقا ومغربا شمالا وجنوبا, حيث رحل الى الأندلس وبلاد السودان ثم في رحلة حجازية علمية الى المشرق, التي أتمها باستكمالها الركن الخامس من الإسلام وهو حجه,, هذه الرحلات سلك بها العديد من الطرق التي جعلت منه ذلك الطالب الباحث عن الحقيقة وذلك التاجر الذي يطلب الاستزادة في الرزق والعلم, كان قد عاصر عديد العلماء والشيخ أمثال أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي (المارغني), و ابو عمار عبد الكافي التناوتي و أبو زكرياء يحيى بن أبي زكريا الوارجلاني, وتلمذ على يد أبو زكرياء يحيى بن أبي زكريا الوارجلاني, و أيوب بن إسماعيل اليزماتي ومن ابرز تلامذته أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الوارجلاني, أيوب بن نوح أبو سليمان و أبو الربيع بن علي بن يخلف التيمجاري النفطي (الدرجيني) برحلاته هذه من الاندلس, التي لقب بها بالجاحظ و الى السودان التي وصل فيها الى اكتشاف خط الاستواء, الى تلك الرحلة الحجازية التي خلد فيها قصيدته الحجازية, جعلت منه ذلك العالم الاباضي وذلك المرجع المهم.

الفصل الثالث

دور أبي يعقوب يوسف الوارجلاني في الفكر الإباضي

المبحث الأول: الآثار الفقهية والأصولية لأبي يعقوب الوارجلاني

المبحث الثاني: آراؤه العقدية و الكلامية

المبحث الثالث: آثاره في علمي الحديث و التفسير

المبحث الرابع: أبو يعقوب الوارجلاني مؤرخا وشاعرا أدبيا

تمهيد :

أنجبت بلاد المغرب الأوسط العديد من العلماء والمشايخ والموسوعيين، الذين ذاع صيتهم وتركوا بصمتهم العلمية في شتى العلوم النقلية والعقلية .

من بين هؤلاء الشيوخ وعلماء الإباضية الذين من أبرزهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني السدراتي، الذي ولد بوارجلان وبها كان منهلته الأول من العلوم، حيث مسقط رأسه. تلك الحضرة التي احتضنت ارث الإباضية القادم من تيهرت ، التي حملت حضارتها ردحا من الزمن فولدت من العلماء ما ولدت، واحتضنتهم في إطار علمي متكامل تبنته السلطة الرسمية القائمة وقتئذ، بتشجيعها للعلم والعلماء ماديا ومعنويا، وتعد مكتبة المعصومة أكبر دليل لذلك المنهج. ورثت وارجلان حضارة الرستميين وبلغ العلم فيها ذروته وباتت بيئة علمية انتشرت بها شتى العلوم خاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، كان من أهمها علم الكلام الذي نال نصيبا كبيرا في المجالس والمناظرات بين مختلف الفرق، خاصة جدل الأشاعرة مع الإباضية و نتج عن ذلك العديد من المؤلفات ككتاب السؤالات لأبي عمرو السوفي، وظهر علم الفقه الذي ركزت عليه حلقة العزابة، فظهر في خضم ذلك مؤلف نجل مؤسس العزابة أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي " أصول الأرضين" في العمارة، واهتم الإباضية بالتفسير والحديث وعلم اللغة كخادمة للعلوم الأخرى وتعريب اللسان البربري ، كما اهتموا بعلم التاريخ والسير من أجل الحفاظ على تراث الأمم وموروثها الفكري والحضاري، وكانت مادة السيرة من ضمن مواد التدريس في حلقة العزابة، كما كانت كتب أبي زكريا و الدرجيني وأبي عمار عبد الكافي نتاجا مهما في هذا الميدان استفيد منه إما استفادة¹. هذه البيئة العلمية ترعرع فيها أبو يعقوب الوارجلاني آخذ العلم على شيوخه المحليين، وطلبا للاستزادة العلمية امتطى البحر وسلك البر في سبيل ذلك، فكانت من أهم رحلاته بلاد الأندلس التي تعلم فيها الفلسفة والمنطق والحساب ، وبلاد السودان التي رحل إليها تاجرا كبقية أهل ورجلان ، الذين كما أسلفنا كان أغلبيتهم يمارسون التجارة ، ومياسير ماديا، تعلم هناك وبلغ خط الاستواء و ونشر المذهب الإباضي ، ثم انتقال في رحلة عبادة إلى بلاد الحجاز، حيث أدى فريضة الحج ، مع لقائه

¹ علال بن عمر، حضرة أسوف وأريغومكانتها في الفكر الإباضيمن القرن 2هـ/8م إلى القرن 6 هـ/12م، مجلة المعارف

للبحوثوالدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة تصدر عن قسم العلوم الانسانية بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، ع 17

ديسمبر 2017 م ص ص 353-381

بعلماء المشرق حيث المنبع العلمي , والتفاهه حولهم بغية التحصيل . ويرجوعه عكف على العلم ومكث في بيته فلا يرى إلا ناسخا أو باريا لقلمه , أو مدرسا أو مؤديا لفريضة¹ , بعكوفه هذا أصبح ذلك العالم الموسوعي الذي له في كل جو متنفس , ومن كل نار مقتبس , ذلك البحر المسخر للنفع , فترى الفلك فيه مواخر² , فشمل انتاجه الفكري العديد من المجالات , فكان أدبيا شاعرا , ومؤرخا , وفيلسوبا متكلما , وفقهيا وأصوليا , ومحدثا , استفاد منه تلاميذه , الذين نقلوا تجربته العلمية فافتقوا أثره واتبعوه فيه في حله وترحاله .

ترك أبو يعقوب العديد من الآثار المادية والمعنوية , المكتوبة والمنقولة شفها , ومنها ما أتلفه المد الشيعي . من بين أهم مؤلفاته كان كتابه في الفقه (الدليل والبرهان) , وفي الأصول (العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف) , أيضا في التفسير للقران الكريم , وفي الحديث مؤلفه (ترتيب مسند بن حبيب) , وكتابه (مرج البحرين) في المنطق والفلسفة والحساب , بفكره هذا استطاع أن يحافظ على الفكر الإباضي ومجمل ما جاء به المذهب , بغزارة علمه ومؤلفاته , وإرسائه دعائمه في جو ساده الاضطراب والتهديد خاصة الخارجي .

وقد خصصنا هذا الفصل لدراسة ذلك الدور الذي لعبه أبو يعقوب الوارجلاني في الفكر الإباضي , محاولين الإمام و الإحاطة - قدر الإمكان - بكل جوانب علمه , وطريقة إسهامه في المذهب الإباضي وأهم مؤلفاته التي تبين رصيده العلمي الكبير , وفلسفته وآرائه العقديّة ووجهة نظره في شتى المسائل التي أدلى برأيه فيها .

¹ الشماخي , المصدر السابق , ص 105
² الدرجيني , المصدر السابق , ج 2 , ص 491

المبحث الأول : الآثار الفقهية والأصولية لأبي يعقوب الوارجلاني

أولاً: آثاره الفقهية

1- الفقه الإباضي

يعد علم الفقه من أهم وأجل العلوم الشرعية فهو العمود الفقري ودستور الحياة, بالنسبة للمسلم سواء على المستوى الفردي أو الجماعي, ويعد نظام حياة فوجب التقيد به وعدم التغافل على أحكامه المستنبطة من الأدلة الشرعية, في الكتاب والسنة¹. يقول تعالى "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَئِكَ كَانُوا لِنِعْمِ بَلٍ هُمْ أَضَلُّ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"².

ويعتبر الفقه الإباضي أحد أقدم المذاهب الفقهية, والذي يعود تأسيسه إلى جابر بن زيد الأزدي, وتلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة, ونظراً لضلوع جابر بن زيد في الفقه والحديث, استطاع أن يؤسس مذهباً مستقلاً, جاذباً إليه العديد من الراغبين في العلم وطلبه. واتخذ هذا المذهب شكله النهائي على يد تلميذه أبي كريمة, وعلى يد المحدث الربيع بن حبيب.³

ودور جابر ظهر جلياً لدى تلامذته, حيث قال أبو عبيدة "كل صاحب حديث ليس له أمام في الفقه فهو ضال, لولا أن الله منّ علينا بجابر بن زيد لضللنا".⁴ فهذا يعد اعترافاً ضمني للرجل الثاني في المذهب الإباضي, بالدور الذي لعبه جابر بن زيد في وضع لبنة الفقه الإباضي, ويذكر خليفة النامي نقلاً عن ما ذكره ماكدونالد في مؤلفه تطور الفقه "إننا نعلم القليل عن الفقه الإباضي, فالدراسة الشاملة له ذات أهمية قصوى, لأنه يعود في تسلسل نشأته, إلى ما قبل تشكيل أي من المدارس الفقهية الأخرى".⁵ واعتمد علماء المذهب الإباضي في استخراج الأحكام الفقهية, من أصول كثيرة توافق في غالبيتها ما اعتمد عليه غيرهم, ومن أهم الأصول وهي ثلاثة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتشمل أقوال وأفعال

¹مصطفى بن صالح باجو, المرجع السابق ص 164

²قران كريم : سورة الأعراف, الآية 178-179

³عمر خليفة النامي, دراسات عن الإباضية, تر ماهر جرار و مختايل خوري, ط 2 دار الغرب الإسلامي تونس 2012 ص 120

⁴عمر خليفة النامي, المرجع نفسه ص 121

⁵عمر خليفة النامي, المرجع نفسه ص 119

وتقريرات النبي صلى الله عليه وسلم، والرأي الذي يشمل عندهم الإجماع بقسميه القولي والسكوتي والقياس والاستدلال والاستحسان والمصالح المرسلة.¹

2- أبو يعقوب الوارجلاني فقيها

لم تتكلم المصادر الإباضية عن وجود كتاب للفقهاء، لأبي يعقوب الوارجلاني سوى الشماخي في سيره حيث قال: " ولا أحصي ما رأيت له من أجوبة لكثرتها" وقال أنه سمع من بعض الطلبة أن لأبي يعقوب تأليفا في الفقه ولم يذكر محتواه , ولا عنوانه.² كما جاء في كتاب معجم البلدان , أن لأبي يعقوب الوارجلاني العديد من الأجوبة الفقهية المخطوطة , لو جمعت لكونت مجلدا ضخما ويرجع ذلك لكثرة سماعه وصلاته وتضلعه في العلوم, وانتقاله مشرقا ومغربا, ثم رحلته إلى بلاد الأندلس³, ولديه أيضا رسائل متنوعة جمع بعضها في الجزء الأخير من كتابه الدليل والبرهان.⁴ وقد تطرق ليفتسكي بالقول : إن لأبي يعقوب الوارجلاني بعض المسائل الفقهية , التي لها اعتبار عند الإباضية .⁵

في حين يمكن اعتبار ما قاله الدرجيني عن أبي يعقوب بإفتائه في قوله " ثم خرج إلى شيء من علم الحدثان"⁶ هذا القول في علم المناسك يمكن رده إلى فقه أبي يعقوب .

ونرى أن معظم المصادر اتفقت على عدم وجود كتاب بحاله في الفقه لأبي يعقوب غير تلك الإجابات على المسائل التي طلب منه الفتوى فيها, وقد اخذ أبو يعقوب على الناس انحرافهم في فهم الفقه, واهتمامهم بالمسائل الهامشية , وجعلوها من أصول الدين , كمسائل الطهارة والإجارة والبيوع والحيض ... وغيرها , كما اخذ على العلماء , اهتمامهم بالمسائل الشاذة الغير مهمة , وصرف جهدهم وتبديد وقتهم فيها , تاركين المسائل المهمة , حتى ينسى طالب العلم مهمته الأساسية في البحث في الأمور العلمية المتعلقة بالأصول , والاستفادة من هذه العلوم.⁷

¹ عبد المحسن سالم الكاتب, الخلاف الفقهي بين المالكية والإباضية, ط1 دار بن حزم 1434هـ/2013م ص 49

² الشماخي , المصدر السابق ج 2 ص 105 , مصطفى بن صالح باجو , المرجع السابق, ص 154

³ إبراهيم مجاز وآخرون , المرجع السابق ج2 ص483 , عادل نويهيض , المرجع السابق ص 453

⁴ أبو يعقوب الوارجلاني , المصدر السابق ج3 ص ص, 181-316

⁵ تاديوس ليفتسكي, المرجع السابق ص 131,

⁶ الدرجيني , المصدر السابق ج2 ص494

⁷ مصطفى بن صالح باجو , المرجع السابق ص 164

ثانيا: آثار أبو يعقوب الوارجلاني في أصول الفقه

1- أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا

يعد علم أصول الفقه ذلك المنهج المعتمد, في استنباط الأدلة من النصوص الشرعية , ولم تظهر قواعد هذا العلم في المرحلة الأولى من انتشار الإسلام بحكم معايشة الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم وحضورهم للتنزيل في حد ذاته فلم تكن هناك ضرورة لوضع قواعد فقهية اجتهادية , نظرا لتلك الفطرة التي كانوا عليها في الحفظ والتتبع لسيرة الرسول عليه السلام, وبوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومرور عصر الصحابة رضوان الله عليهم, واتساع رقعة البلاد الإسلامية , بدأ علم أصول الفقه في الظهور والتطور بتطور القضايا المطروحة وإحداث القواعد الأصولية والفقهية التي تتماشى والمرحلة, على مستوى كل مذهب¹ فكان المذهب الإباضي له دوره في القضايا الأصولية وقد برز من بين العلماء الأصوليين الإباضية أبو يعقوب الوارجلاني, الذي استهواه علم أصول الفقه كما استهوى العديد من العلماء من المذاهب الأخرى كالإمام الشافعي صاحب الرسالة , وقد أبدع الوارجلاني في مؤلفه هذا وقعد الأصول الفقهية وأصبح مصدرا أساسيا للمذهب الإباضي.²

هذا المؤلف المشهور في أصول الفقه من أهم مؤلفات أبي يعقوب الوارجلاني, في أصول الفقه و الذي حمل عنوان (العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف) في ثلاثة أجزاء³ وقد ورد ذكره في العديد من كتب السير الإباضية , وغيرهم وتوجد نسخة منه في الجزائر وتونس , حيث ذكر مصطفى بن صالح باجو أن هذا المؤلف قد حضي بكثير من الشرح والاختصار, والحواشي والتحقيق والنظم ويمثل آراء الإباضية , في علم الأصول متفقا في ذلك مع مدرسة المتكلمين نظرا لكون أبو يعقوب ذو نزعة عقلانية واجتماعية نظرا لدراسته, للعلوم العقلية والنقلية في قرطبة ببلاد الأندلس.⁴

¹ القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي, منهاج الأصول إلى علم الأصول, ط1 ح شعبان محمد اسماعيل, دار بن حزم بيروت لبنان , 1429هـ/2008م, ص ص 9-25

² مصطفى بن صالح باجو, أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا, ص 190

³ عبد الرحمان الجيلالي , المرجع السابق , ج 1 ص 416 , مصطفى بن صالح باجو , المرجع السابق ص 153

⁴ بكير سعيد أعوش , المرجع السابق ص 135

وقد ذكر الدرجيني في حديث لبعض الثقاة قال: "وقفت ببلاد قسطنطينية و أسوف واريغ و ورجلان, على سبع نسخ أو ثمان من كتاب العدل والإنصاف تأليف أبي يعقوب كلها بخط يده, وأما أنا فرأيت منها ثلاثة"¹. أما الشماخي فقد ذكر عن أبي العباس "أنه وقف على سبع نسخ, من كتاب العدل والإنصاف بخطه أو ثمانية" كما أورد في قوله " رأيت له كتاب العدل في أصول الفقه ثلاثة أجزاء بل أربعة بالأجوبة, ولا أحصي ما رأيت له من الأجوبة الآن أكثره"², أما البرادي فقد ذكر نفس المؤلف لأبي يعقوب وهو العدل والإنصاف في الجواهر³.

وقد خص كتاب العدل والإنصاف بعدد من الأعمال اختصاراً أو شرحاً للاختصار من قبل علماء الإباضية كما ذكر ذلك مصطفى باجو:

- البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق ومعاني العدل والإنصاف: لأبي القاسم البرادي (ت 810هـ) مخطوط فقد نالت مقدمة الكتاب الأصلي شرحاً كبيراً خاصة جانب العلم ودور العقل.⁴
- مختصر العدل والإنصاف: لأبي سعيد الشماخي (ت 928 هـ) وقد ألفه الشماخي من أجل تسهيل فهمه بقوله " وكان كتاب العدل والإنصاف , المنسوب إلى أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, أكمل ما صنفت أصحابنا في أصول الفقه, ولكنه صعب المرام لكثرة الكلام واستعنت الله في اختصاره, مع فوائد من غيره أرغب إليه أن اخلص لوجهه, وإن ينفع به, وهو حسبي ونعم الوكيل"⁵ حيث استخلص الشماخي منه المسائل الأصولية, رتبها في عشر أبواب, والمقدمة التي أفردها إلى حد أصول الفقه, متأثراً بمنهج المتكلمين.

- كتاب شرح مختصر العدل والإنصاف: للشماخي مخطوط وقد اختصره الشماخي بناء على طلب بعض إخوانه لشرح مختصره فقال " فرأيت تمام فائدته بشرح يبين لفظه.. " وقد سار فيه بنفس منهج مختصر العدل والإنصاف وقد حققه الباحث التونسي, مهني التواجيني.⁶

¹ الدرجيني, المصدر السابق ج 2 ص 492

² الشماخي, المصدر السابق, ج 2 ص 105

³ البرادي, المصدر السابق ص 238

⁴ مصطفى بن صالح باجو, أبو يعقوب الوارجلاني أصولياً, ص 191-211,

⁵ أبو العباس الشماخي, كتاب مختصر العدل والإنصاف, د ط, وزارة التراث القومي والثقافة, سلطنة عمان 1984م مقدمة الكتاب ص 7

⁶ مصطفى باجو جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة, من أعلام الفكر في الجزائر أبو يعقوب يوسف الوارجلاني, مقال المرجع نفسه

- حاشية أبي ستة على شرح مختصر العدل والإنصاف: لعبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة القصبي, الشهير بالحشّي (ت 1088هـ) وهو من أشهر علماء جربة وترأس حلقات العزابة فيها, اشتهر بجواشيه التي بلغت عشرين حاشية.
- كتاب رفع التراخي عن مختصر الشماخي: للشيخ عمر بن رمضان التلاقي الجربي, (ت 1180هـ).
- كتاب شرح شرح مختصر العدل والإنصاف: للشيخ احمد بن يوسف أطفيش (ت 1333هـ/1914م), توجد منه نسخة واحدة في مكتبة القطب ببني يسجن, شرح فيه مقدمة الشماخي, حول حد أصول الفقه, مهتما بالمسائل الأصولية وآراء العلماء, والترجيح بينهم, ويعد هذا المؤلف نموذجا هاما في أصول الفقه.¹
- كتاب موارد الألفاظ بنظم مختصر العدل والإنصاف: لأبي مالك عامر بن خميس المالكي من علماء عمان, تتلمذ على الشيخ السالمي أما سبب وضع هذا النظم فيقول بنفسه:
- وقد دعيتي همتي أن انظما ... أصولها رجوزة تعلما
ضممتها مختصر العدل الذي ... قد عطر الآفاق عرفه الشذي
وربما ازيد فيه غير ما ... حواه أو انقص منه فاعلما²
- متتبعا في ذلك مختصر الشماخي بأبوابه العشرة.

¹ مصطفى بن صالح باجو, أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا ص 191-211

² مصطفى بن صالح باجو, من أعلام الفكر في الجزائر أبو يعقوب يوسف الوارجلاني, مجلة جامعة الأمير عبد القادر, ص 18

2- أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه (العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف)

يعد كتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب من أهم كتب الأصول في القرن السادس الهجري، ومن أبرز مصادرنا لتشريع الإباضي، حيث اعتمد فيه على الدراسات الأصولية السابقة المختلفة، نظراً لمعايشته إياها، من خلال سير حياته العلمية، التي انبنت على الرحلة ومجالسة العلماء. ويذكر مصطفى باجو أن لكتاب العدل والإنصاف العديد من النسخ، التي استطاع أن يقف عليها وقد تطرق إلى أربع نسخ منه، وذكر أنها سالمة وكاملة وتتفق كلها على عنوان المؤلف، وهو "العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف"¹:

- نسخة مكتبة الشيخ بالحاج بالقرارة، نسخت سنة 1186 هـ على يد عبدالله بن موسى بن علي الباروني.

- نسخة مكتبة محمد بن أيوب الحاج سعيد، بغرداية نسخت سنة 1268 هـ من طرف محمد بن الحاج صالح بن إبراهيم بن صالح المصعبي.

- نسخة مكتبة الحاج صالح لعلي ببني يسجن.

- نسخة مكتبة الشيخ عيسى ازبار ببني يسجن.

2-1- محتوى كتاب العدل والإنصاف

اعتمدنا النسخة التي بين أيدينا لكتاب العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف من تأليف أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الصادرة عن وزارة التراث القومي والثقافة لسلطنة عمان بتاريخ 1404هـ/1984 م والتي تحوي على ثلاثة أجزاء، يتكون الجزء الأول من 195 صفحة أما الجزء الثاني يتكون من 183 صفحة أما الجزء الثالث يحتوي على 346 صفحة.

الجزء الأول:²

¹ مصطفى بن صالح باجو، أبو يعقوب الوارجلاني أصولياً، ص 172

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، د ط، وزارة التراث القومي والثقافة

لسلطنة عمان 1404هـ/1984 م ج 1 المقدمة ص ص 11-29

قسم أبو يعقوب مؤلفه هذا إلى عديد الأبواب والفصول, مطلقا على كل منها عنوانا خاصا, ابتداءً بمقدمة بعد التسمية والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم, معرجا إلى أن حكمة الله تعالى اقتضت وجود العقل, الذي هو مناط التكليف, واقتضى وجود التكليف الجزاء, ولا يكون ذلك إلا بعد أن بعث الله الرسل لعباده وانزل معهم الكتب, لنشر الدين الذي هو ضوءا ومنارا و أن به لحلاوة وطلاوة, متكلمًا على العناصر الأربعة التي لا يمكن الاستغناء عنها, وهي أصول اللسان وأصول الجنان, فأصول اللسان هي اللغة والنحو وأصول الجنان هي النطق والفقہ.

- جعل في كتابه وصية جامعة, لأهل الأدب والعلم والنهي والطلب, خاصة طلاب العلم وما عليهم من واجب المذاكرة, لتحقيق مآربهم, وان لا يعوّد الطالب نفسه المجادلة والنقاش العقيم.¹
- من أهم أبواب كتابه باب أقسام العلوم, وذكر أنها ثلاثة حس مطبوع وعقل مجموع, وشرع مسموع ثم قام بتفصيلها وتقسيمها, وما يندرج تحت العقل من واجب, وجائز مستحيل.²
- باب ترتيب العلوم, وقسمه إلى محدث وغير محدث, فالحدث هو علم الله سبحانه القديم³
- باب علوم الكسب, وفيها ثلاثة أوجه من وجه الاستدلال, ووجه النظر ووجه العادة, وما جرت به كالصناعات والحرف⁴

- أورد بابا في القول في الروح والعقل وهو من أمر الله تعالى, والحديث عن الهام الملائكة
- تكلم عن أقسام الأفعال في الشرع (الواجب و المنذوب و المباح و المحذور و المكروه) وقال زاد بعضهم الصحيح والفساد⁵

- باب أحكام الخطاب الوارد من الله تعالى, ومن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين, مقسما الحقيقة إلى قسمين مجملا ومفصلا, والمجمل ما لا يفهم مثلا في قوله تعالى "وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ

¹ الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر السابق, ج1 ص, 11

² الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص 12

³ الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج1 ص12

⁴ الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج1 ص 20

⁵ الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف. المصدر نفسه, ج1 ص 29

مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُّوْا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۗ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ¹. ففيها جهل بالجني والنصاب²

- باب الأفعال وما هو حد الفعل؟ واختلاف الفرق بين الجهمية والمعتزلة والقدرية، وبين الفعل المقدر لفاعله، وبين أن الله خالق لأفعالنا وأفعال المكلفين، ظاهرا وباطنا، فالظاهر في السلوك والحركات والسكون، والباطن في المعتقد وتنقسم إلى قسمين اختياري وضروري³.

- باب إلى أن جميع ما جاء في القرآن الكريم عربي استدلل بقوله تعالى "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"⁴.

- باب بيان القرآن الكريم وهو ما قصده الله تعالى من أخبار الأمم السابقة، والقرون الماضية، وقصص سائر الأمم مع رسلهم للعبرة⁵.

- باب الأمر والنهي وأن الله تعالى هو الأمر، والناهي وهو الواجب طاعته، واختلاف الناس في أمر الله ونهيه، حيث قالت المعتزلة أن خطاب الله وكلامه وأمره ونهيه موجود في القرآن، أما الأشعرية فقالوا إن أمر الله وقوله في ذاته، والقرآن فرع من كلام الله⁶.

- باب التبليغ وحديثه في اجتماع الأمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة والجن كافة قوله تعالى "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"⁷. أما أنه بعث إلى الجن في قوله تعالى "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۗ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ"⁸

¹قران كريم : سورة الأنعام الآية ، 140-141

² الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، المصدر السابق، ج1، ص 2

³ الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف المصدر نفسه، ج، 1 ص33

⁴قران كريم : سورة الزخرف، الآية ، 2-3

⁵ الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، المصدر نفسه، ج، 1، ص 48

⁶ الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، المصدر نفسه، ج، 1، ص ص، 51-56

⁷قران كريم : سورة الأعراف الآية 157-158

⁸قران كريم : سورة الاحقاف الآية 29، يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه

والاختلاف، ج1، ص ص، 31-59

- باب في هل كان الرسول عبيه السلام متعبدا عارفا بالله عز وجل ودينه , قبل بعثته؟ وهل نسخت شريعة من قبله قبل أن تشرع له صلى الله عليه وسلم قالت الأشعرية أنه علم ذلك قبل أن يبعث, إلأن جاءه الحق في غار حراء أما النسخ فقد اختلف في ذلك ' في أنه أمرأول وهلة بشريعة نوح عليه السلام.¹
 - باب الأمر المجرد العاري من القرائن هل يقتضي التكرار؟ وجواب ذلك لا يقتضي التكرار عند الشافعية, وذكره التخيير في الأفعال حكمها واحد وهو الوجوب, وفي الندب والإباحة , فان لم يكن كذلك بطل التخيير.²
 - باب هل يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أمته في الأمر الوارد من القرآن؟ هناك أوامر تخص النبي عليه السلام وهو الخاص, أماأيها الناس و يا أوليالألباب فيدخل على وجه التعميم.³
 - باب اختلاط الحلال والحرام ومثاله اختلاط الأموال والزوجات والمطلقات بغير المطلقات والنسائب والقرائب والناجس بالطاهر⁴
 - باب أحكام الحرام المجهول العين اختلف فيه بين الحلال المطلق والحرام المطلق المجهول.⁵
 - باب مناهي النبي عليه السلام وهو ما نهى عنه القرآن الكريم⁶
 - باب الظاهر والباطن والمحكم والمتشابه , فالظاهر من الوجوه التي يشترط فيها بيان القرآن الكريم , والباطن ما لم يأت شرع أو عقل يجتمع فيه.⁷
- تكتمل هنا أبواب الجزء الأول من مؤلف العدل والإنصاف ومنتقل إلى أبواب الجزء الثاني.

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر السابق, ج 1 ص, 62-

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 73

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 78

⁴ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 92

⁵ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 95

⁶ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 97

⁷ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص, 99

الجزء الثاني: 1

مثلما قسم أبو يعقوب الجزء الأول إلى أبواب فقد قام بتقسيم هذا الجزء بنفس الطريقة , مبتدئاً بالصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم , ثم تبعه بالحديث عن العام والخاص الذي يعتبر عند المذهب الإباضي الشيء أما عند الأشاعرة فهو المعلوم , أما أهم الأبواب في كتابه فهي :

باب التخصيص بالإجماع للقرآن والسنة وتخصيص القرآن بالإجماع في قوله تعالى " **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** " ² هنا خص الإجماع بالقرآن الكريم العبيد أما السنة خصت المشرك ³

- باب الاستدلال بحروف الحصر , وألفاظ الحصر أربعة تدل على نفي الحكم وهي (إنما , ثم , ذلك , الألف) ومثال ذلك قوله تعالى " **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** " ⁴ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ " ⁵ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ⁶

- باب الإخبار والاستخبار وما تعلق بها ونوع الخبر من حيث صدقه وكذبه ويقول الأشاعرة في حد الخبر هو الكلام لا بد أن يكون صدقاً أو كذباً ⁵.

- باب في القرآن الكريم ونزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم , الذي انزله الروح الأمين , وهو معجز بأقصر سورة منه انزله متواتر ⁶

- باب الكلام على طرف الأخبار وصحيحها من فاسدها , وأنواع الأحاديث من الصحيح والفاقد والمتواتر وخبر الآحاد , وطرق الجرح والتعديل و,ن الكفر أمر يجرح به الراوي ⁷.

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف , المصدر السابق, ج 2

² قرآن كريم : سورة النساء الآية 11

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف , المصدر نفسه, ج 2 ص 138

⁴ قرآن كريم : سورة النساء الآية 171

⁵ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف , المصدر نفسه, ج 2 ص 139

⁶ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف , المصدر نفسه, ج 2 ص 140

⁷ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف , المصدر نفسه, ج 2 ص 142 -

- باب الناسخ والمنسوخ وهناك ثلاثة أوجه إزالة وإبطال ونقل, ويدخل هنا نسخ القران الكريم ونسخ السنة¹

- باب في الإجماع والاجتهاد والرأي والاختلاف, وقد عرف الإجماع ودلالات جوازه وصحة وقوعه ووجوهه². وذكر مثال ذلك قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.." ³

الجزء الثالث :

اقتصر على أهم عناصر علم الأصول, متكلماً عن القياس وأحكامه وأقسامه بين عقلي وشرعي , وأفرده باباً لعلم الكلام وقواعده كما تناول قضايا في السياسة الشرعية مثل البيعة ونقض الصفقة . ختم كتابه بالحديث عن الإسلام والإيمان والدين, والكفر والنفاق والشرك والبدعة والضلالة وأئمة الهدى وأئمة الضلال, متحدثاً عن بعض المسائل الأصولية.⁴

2-2 منهج الوارجلاني وأسلوبه وآراؤه الأصولية من خلال كتابه (العدل والإنصاف)

1/ منهجه

اعتمد أبو يعقوب في منهجه على القواعد الأصولية التي استوعبها من الذين سبقوه, داعياً بذلك إلى القسطاس والموازن القسط في القضايا التي وضعها الله بين عباده , وبعثه لهم عن طريق رسله وأنبيائه , والعمل على إقامة العدل بين خلقه وقد جمع في كتابه بين المنقول والمعقول لبيان ما هو صحيح وما هو خاطئ, وبين ما هو باطل وما هو حق , حيث يرى أن الباطل أمران : أحدهما خبر والآخر نظر, فأما الخبر فقولته صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم النافع , من كل خلف عدوله, ينفون عنه تأويل الجاهلين, وتحريف الغالين وانتحال

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر السابق, ج2 ص 184

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج2 ص 139-184

³ قرآن كريم : سورة النساء الآية 59 ,

⁴ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, المصدر السابق, ج3 ص 4, مصطفى بن صالح باجو المرجع السابق, ص 182

المبطلين"¹ , أما النظر وهو استعمال الأمة كل شيء من العلوم , وإعطاء كل ذي حق حقه والتعويل على الأصول , التي اجتمعت عليها الأمة , وجعلها منارة واتخاذها معيارا , واضرب العلوم بعضها ببعض يخلص لك الذهب من الخبيث. وهو منهجه في التدقيق من اجل البحث عن الحقيقة المتوخاة.²

أيضا سلك أبو يعقوب في منهجه مسلكا وسطيا في طرحه للقضايا, باستعماله الجواز وطرح كل ما هو شاذ, وسلوك كل ما هو مستقيم أي وسطي بين الغلو والتقصير .

وقد اعتمد أبو يعقوب في كتابه على المنهج, المقارن, في تحليله للمادة الأصولية , ويعد من أهم رواده, نظرا لازدحام الساحة الأصولية خاصة في القرن الرابع والخامس الهجريين, بأعلام كبار في مجال علم أصول الفقه, أمثال الباقلاني من المالكية و الجويني وأبي حامد من الشافعية , وأبي زيد الدبوسي من الأحناف , وأبي يعلى الفراء من الحنابلة وأبي الحسن البصري من المعتزلة, ويأتي أبو يعقوب الوارجلاني معبرا عن تطور علم الأصول الإباضي.³

كما أنه اعتمد منهج إسقاط القضايا الأصولية , في ارض الواقع والتطبيق , وتجلى ذلك في قضايا الاجتهاد والمسائل, خاصة في الفقه السياسي, كما يؤخذ عليه استرساله في القضايا والمسائل الكلامية , لتأثره بمنهج المتكلمين وهو اختصاصه العلمي.⁴

وما يمكن أن نميز منهجه عن غيره في قوله "لا ينفع المريض الغذاء ولا الصحيح الدواء , فالغذاء هو العلم النافع المعقول والدواء النافع هو الشرع المنقول , ومن أخلط الأصول بالفصول والفصول بالأصول وهو حال الكثيرين , فقد ارتكس وارتكس."⁵

2/ أسلوبه

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, المصدر نفسه, ج 1 ص 4

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, المصدر نفسه ج 1 ص 5

³ عبد الله السالمي, تقدم محمد كمال الدين أمام , العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف ط 1 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان 1432هـ/2011م ص 12

⁴ مصطفى بن صالح باجو, المرجع السابق ص 183

⁵ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, المصدر السابق, ج 1 ص 8

يقول مصطفى بن صالح باجو نقلا عن مخطوط البرادي "البحث الصادق" ج 1 في وصفه لأسلوب كتاب العدل والإنصاف "دقيق العبارة مبني على تلويحات لا يقدر حلها إلا فارس, من فرسان البلاغة مبرز بالحذق والبراعة"¹

من هنا يتجلى الأسلوب الرفيع المستوى لكتاب العدل والإنصاف للوارجلاني, وتلك اللغة البيانية وقدرته على التحكم في المصطلحات الأصولية, فقد أولى أبو يعقوب عنايته الكبرى بالمعاني أكثر من عنايته بالألفاظ.

كما يذكر أبو يعقوب في كتابه الدليل والبرهان "اعلم أن من أراد أن يوقظ الصواب, في نفوس المستمعين لا بد أن يكون, في كلامه تمثيل وتشبيه ومجاز الكلام"², فعلو الأسلوب ودقة التعبير لأبي يعقوب كان ديدنه في كتابه العدل والإنصاف, لما فرضه على نفسه من دقة الكلمات والمعاني والتمكن من اللغة من اجل إيصالها للمستمع أو القارئ إضافة إلى سلاسة المعنى.

3/ آراء أبو يعقوب الوارجلاني الأصولية

يساير أبو يعقوب في ميدان أصول الفقه, منهج المتكلمين ولذلك افتتح علم الأصول بالعلم والمعرفة, مقسما إياها إلى ثلاث حس مطبوع وعقل مجموع وشرح مسموع, وإلى أنه هناك علم ضروري متعلق بذات الإنسان ووجوده, وعلوم الكسب وهو ما أدركته الحواس, ومن هنا تتضح علاقة علم الأصول بعلم الكلام, وكيف يكون علم الكلام احد مصادر علم أصول الفقه, إلى جانب اللغة وعلم الفقه, وهذا التأثير بالمدرسة الكلامية للوارجلاني, برزت علاقة علم أصول الفقه بالمنطق, الذي يعد القاسم المشترك بين علم الكلام وأصول الفقه, فقد استعمله أبو يعقوب في الاحتجاج لأنه يعتبر نسبة صناعة المنطق إلى العقل, في المعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان في المقولات.³

¹ مصطفى بن صالح باجو المرجع السابق ص 187

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, الدليل والبرهان, ج 3 ص 4

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, ج 1 ص 16

-الأحكام الخمسة : عند جمهور الأصوليين هي الواجب والمندوب والمحرم والمباح والمكروه فقد سلك أبو يعقوب مسلكهم إلا أنه زاد الصحيح والفاقد ومثل بالصلاة في الأرض المغصوبة وشرعيتها وصحتها.¹

-الدليل وتقسيم الأدلة: يعرفه الأصوليون بأنه معرفة أصول الفقه إجمالاً, وكيفية الاستفادة منها وحال الاستفادة حيث يعتبر الدليل الشرعي من صميم علم الأصول, ومنه قام أبو يعقوب بتقسيم الأدلة إلى عقلية و وضعية, وعرف الدليل بأنه كل ما يتوصل به إلى معرفة الأمور النظرية², ويقسم الوارجلاني الأدلة الشرعية إلى متفق عليها ومختلف فيها, مقسما الشرع إلى أصل ومعقول أصل واستصحاب حال الأصل, ويقسم الأصل إلى ثلاث وهي : الكتاب والسنة والإجماع, فاعتبر أبو يعقوب أن بثبوت القرآن الكريم من عند الله تعالى, دلّ على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم منكر ما قاله الأشاعرة, أنه ليس بكلام الله. أما السنة التي تعد عند أبو يعقوب من مصادر التشريع, واعتماد حجيتها يعبر عن رأي الإباضية, الذين يقولون : من رد ما اجتمعت عليه الأمة كمن رد السنة, ومن رد السنة كمن رد التنزيل, ومن رد التنزيل فقد أشرك وأورد مراتب السنة وأنواع الإخبار في أن حد الخبر ما يدخل الصدق والكذب.³

- مراتب السنة عند أبي يعقوب الوارجلاني: جعلها في عشر مراتب منها خمس صحاح وخمس ضعاف ساقطة (الصحيح هو الخبر المتواتر وخبر الآحاد والأخبار المسندة وأخبار المراسيل أما الأخبار الضعاف فهي الخبر الضعيف ثم المقاطيع ثم الشواذ ثم المناكير ثم الكذب⁴

- شروط رواية الحديث: العدل والتكليف والإسلام والضبط وقد اجتمع في هذه الشروط جميع الأصوليين وشدد أبو يعقوب في شرط العدالة⁵

¹ احمد الحصري, المرجع السابق , ص ص 36-80. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف, ج 1, ص 29

² القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي, المصدر السابق ص 51

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, ج 1 14-15

⁴ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, المصدر نفسه ج 1 ص 142

⁵ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, المصدر نفسه 155

- الإجماع: فالإجماع عند الوارجلاني هو ما أجمعت عليه الأمة من المجتهدين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على القول أو الفعل أو وقوع نازلة لا نص فيها فعلى العلماء المشروط فيهم الاجتهاد أن يجتهدوا في الفتوى فيها.¹
- القياس : حيث لا يعتبره الوارجلاني دليلاً مستقلاً بذاته بخلاف الكتاب والسنة والإجماع إنما تكمن أهميته في أنه مصدراً أساسياً لضمان استمرار الشريعة الإسلامية ومسايرتها تطور قضايا الزمان والقياس عند أبو يعقوب التساوي والتقدير وهو حمل أحد المعلومين على الآخر في حصول الحكم أو إسقاطه بأمر يجمعهما. والقياس هناك العقلي وهناك الشرعي.²
- الأمر والنهي في الأحكام الشرعية : فالأمر كما يعرفه الوارجلاني هو طلب الفعل واقتضائه على غير وجه المسألة وإذا ورد من الله عز وجل اقتضى الوجوب دون النذب وهو قول الإباضية. أما النهي فقال فيه أبو يعقوب " بأنه القول ترك الكسب وصيغته لا تفعل خلافاً للأشاعرة الذين ينكرون صبغة الأمر والنهي.³
- قواعد الترجيح: يقول الوارجلاني : إذا وقع التعارض في الأمور الشرعية يراعى هناك التخصيص أو النسخ أو البيان.⁴
- النسخ: يرد النسخ بمعنى الإزالة والإبطال والنقل والنسخ عند أبي يعقوب هو إزالة حكم ثابت بشرع متقدم بشرع متأخر عنه لولاه لكان ثابتاً ويشترط وجود دليل شرعي ويجب ان يكون الحكم السابق يفيد الدوام والنسخ هو إزالة الحكم السابق ويكون بنسخ القرآن للقرآن ونسخ السنة بالسنة والقرآن بالسنة ونسخ السنة بالقرآن وهو ما أجازه أبو يعقوب.⁵
- الاجتهاد: يعرفه أبو يعقوب بأنه " استفراغ الوسع في طلب علم الحادثة " ولا يكون الاجتهاد إلا لمن بلغ الأمر من الجهد، ويستند الوارجلاني في إثبات مشروعية الاجتهاد في قوله تعالى " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، المصدر نفسه ج2 ص 10. أبي العباس الشماخي، مختصر العدل والإنصاف، ص 45

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، المصدر نفسه ج2 ص 58. أبي العباس الشماخي، المصدر نفسه ص 48

³ أبي العباس الشماخي، كتاب مختصر العدل والإنصاف، ص ص 25-20

⁴ الشماخي، المصدر نفسه ص 56. مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 524

⁵ أبي العباس الشماخي، المصدر السابق ص 43. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، المصدر السابق ج1 ص 161

وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ¹ أما شروط الاجتهاد عنده فهي : عارفا بوضع الأدلة وأصول الفقه وعالما بالأحكام واللغة والنحو والسنة أمينا على كل لفظ، واتفق الوارجلاني مع باقي فقهاء الأصول في أنه لا اجتهاد في وحدانية الله تعالى قوله تعالى " إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا".

فمن خلال آراء أبي يعقوب الأصولية فقد عمل على تأصيل كثير من القضايا الاجتهادية في الفقه الإسلامي عامة والمذهب الإباضي خاصة ويصنف كتابه العدل والإنصاف ضمن كتب علوم الأصول المقارن نظرا لما يورده من الأقوال والأدلة، فقد أبدع مصطفى باجو في اعتبار العدل والإنصاف عندما قارنه بالمستصفي للإمام الغزالي بكونهما نموذجا لتمازج علم الأصول وعلم الكلام.²

المبحث الثاني: آراؤه العقديّة والكلامية

يعد علم الكلام من أهم فروع الفلسفة الإسلامية ، وأكثرها عمقا وأصاله لأنه يمثل الجانب الأوفر من التراث الإسلامي، إضافة إلى أن موضوعاته لا تخرج عن المباحث التقليدية للفلسفة ، التي هي عبارة عن لفظ معرب من اليونانية يراد به الحكمة³، التي تعد أرقى أنواع المعرفة وذلك لتناولها المسائل العويصة والدقيقة، حيث تكسب شخصها ، جودة الحكم وحسن التصرف. وترتبط الفلسفة أساسا بسلوك الأفراد والمجتمعات من حيث العقيدة والأخلاق، باعتمادها على الأدلة العقلية وتلك القرائن العلمية ، من أجل تبرير فكرة مطروحة⁴، و بالمقابل نرى أن علم الكلام ذلك العلم الذي يثبت أصول العقائد الإسلامية ، بإيراد الحجج المنطقية ، لدفع شبهات الخصم،⁵ يعرفه الفارابي " بأنه ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء، والأفعال الحمودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل من خالفها بالأقاويل"⁶، أما بن خلدون فيعرفه بقوله " هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين

¹ قرآن كريم، سورة البقرة الآية 213

² مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق ص 568

³ عبد الفتاح المغربي، الفرق الإسلامية ، ط2 مكتبة وهبه القاهرة سنة، 1995م ص 11

⁴ إبراهيم بيومي ، يوسف أفندي كرم ، دروس في تاريخ الفلسفة ، مطبعة لحيّة للتأليف والترجمة، القاهرة 1904م المقدمة ص1

⁵ بكير سعيد أعوش، الوارجلاني و المدارس الكلامية، المرجع السابق، ص 50

⁶ الفارابي، إحصاء العلوم ط3، ت ح عثمان أمين القاهرة 1968 م ص 131

في الاعتقادات , عن مذاهب السلف وأهل السنة , وسر هذه العقائد هو التوحيد¹ , وما يمكن أن نستخلصه مما سبق أن علم الكلام أو أصول الدين كما ذكره مصطفى باجو² يقوم أساسا , على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية , موضحا لأصول العقيدة , شرحا وتدعيما بالأدلة , وهنا يبرز دوره الإيجابي , في الدفاع بالحجة والدليل عن كل من خالف رأيا معيناً.³ مثل ما هو عند أبو يعقوب الوارجلاني .

وفي ظل هذه التجاذبات الكلامية بين المذاهب , فقد برز على مستوى المذهب الإباضي العديد من العلماء , الذين اهتموا بعلم الكلام , حيث كان من أبرزهم وأكثرهم تضلعا في هذا العلم أبي يعقوب الوارجلاني , الذي ترك مؤلفه الذي سمي بـ :

(الدليل لأهل العقول لبಾಗಿ السبيل بنور الدليل , وتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق المعروف باسم (الدليل والبرهان)

الذي يتكون من ثلاثة أجزاء قام بتأليفه بعد كتابه العدل والإنصاف , جمع فيه شتات علوم كثيرة فقد جوى على الإلهيات والطبيعات والفقه والمنطق والفلسفة وآراء الفرق , ويعد بمثابة صورة مصغرة لدائرة معارف إسلامية لعصره .

أولا: آثاره الفلسفية

من بين آثار أبي يعقوب الوارجلاني , الفلسفية وعلم المنطق والحساب كتابه (مرج البحرين) , الذي يمثل القسم الأخير من الجزء الثاني , من كتابه الدليل والبرهان والملاحظ أنه قد ابتدأه بالبسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم , ذاكرا عنوان الكتاب وتعلقه بالمنطق , وهو بحر الألفاظ وبحر المعاني والحكم , بقوله " الحمد لله مبدئ الحكم كاشف الظلم " ,⁴ مما يدل على أنه كتاب مستقل بذاته إلا أنه تم إدماجه مع كتاب الدليل والبرهان مخافة الضياع والتلف .⁵

¹ بن خلدون , المقدمة المصدر السابق ص 580

² مصطفى باجو , المرجع السابق ص 154

³ عبد الحي محمد قايل , الإباضية وآراؤهم الكلامية , ط1 دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر الإسكندرية 2015 م ص 73

⁴ الوارجلاني , المصدر السابق ج2 ص 85 ,

⁵ مصطفى باجو , المرجع السابق ص 155

كما نسب عبد الرحمان الجيلالي إلى الوارجلاني كتابا بعنوان (مروج الذهب) في الفلسفة وقد ترجم إلى عدد من لغات أوروبا، نظرا لأهميته،¹ وهو مذهب إليه سعيد أعوش في ذكره لكتاب أبي يعقوب الدليل والبرهان، المشتمل على ثلاثة أجزاء ويحتوي على الآراء الكلامية والفلسفية والرياضية والهندسية، والذي طبع طبعة حجرية بمصر، مضيفا أنه له كتاب (مروج الذهب) في المنطق متفقا مع عبد الرحمان الجيلالي،² لكن مصطفى باجو يقول بعدم ذكر المصادر كتابا لأبي يعقوب الوارجلاني اسمه (مروج الذهب)، ويمكن أن يكون نفس الكتاب مرج البحرين ووقع التشابه بين الاسمين.³

ثانيا : آثاره وآراؤه العقديّة و الكلاميّة

1/ أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان

من أهم آثار أبي يعقوب الوارجلاني في علم الكلام كما ذكرت المصادر كتابه (الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل وتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق)، ويعتبر من أهم كتب أصول الدين عند الإباضية، تكلم عنه جل المؤرخين، مؤكدين نسبته لأبي يعقوب.

فقد ذكره الدرجيني في سيره قوله: " في ما ذكر لي ابو العباس بن محمد ان لأبي يعقوب الوارجلاني، كتاب الدليل والبرهان في علم الأصول، وأما أنا فلم أقف عليه لاني كنت في وارجلان " ⁴، كما ذكر البرادي في الجواهر أن أبا يعقوب له كتاب الدليل والبرهان ⁵، وتكلم أيضا الشماخي بالقول " أنه كان في علم النظر والجدال والمنطق والكلام نهاية "، كما تكلم في شأنه أيضا عبد الرحمان الجيلالي قائلا " وذكر ذلك بنفسه في كتابه الجليل الجامع الدليل والبرهان لأهل العقول، وهو احد كتبه الممتعة طبع بمصر سنة 1306هـ. ⁶، ويكتسي هذا المؤلف أهمية كبيرة نظرا لما يزرخ به من قيمة علمية، في علم الكلام خاصة ويعد من خلال ذلك مرجعا للمذهب الإباضي وموروثا علميا وحضاريا لمنطقة وارجلان وعلمائها، هذا الأمر جعل العديد من المؤرخين والكتّاب يعنون بدراسته، أمثال عبد الرحمان

¹ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 1 ص 416

² بكير سعيد أعوش، المرجع السابق ص 47

³ مصطفى باجو، المرجع نفسه ص 185

⁴ الدرجيني، المصدر السابق، ج 2 ص 495،

⁵ البرادي، المصدر السابق ص 220-221

⁶ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 1 ص 416

الجيلالي الذي خص أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان بدراسة خاصة¹, غير أنه كما لاحظنا لم يتطرق في دراسته هذه إلى أهم آرائه الكلامية مكتفياً بأهم ما جاء من عناوين لأبواب الدليل والبرهان وترجمة لشخصية أبي يعقوب, ومنه لا تعتبر حسب رأينا دراسة مستفيضة عمودية, إضافة إلى دراسة بكير سعيد أعوشت, في كتابه أبو يعقوب الوارجلاني والمدارس الكلامية, حيث أدرج العديد من الآراء مركزاً على مقارنتها بالمذاهب الكلامية الأخرى.²

إضافة إلى كتابات المستشرقين على غرار بيار كوبرلي³ وتاديوس ليفتسكي حيث يذكر هذا الأخير " أن كتاب الدليل والبرهان بحث في علم الكلام, يقارن فيه أبي يعقوب بين الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى, ويهتم بمسائل البدع المتعلقة بالآذان في جبل نفوسة ويبحث خصوصاً في قضية المبتدعة النكار, وطبع هذا المؤلف بمصر⁴.

2/ محتوى كتاب الدليل والبرهان

قسم أبو يعقوب الوارجلاني, كتابه الدليل والبرهان إلى ثلاثة أجزاء كاملة, وقد اعتمدنا على النسخة التي بين أيدينا التي حققها سالم بن حمد الحارثي, في طبعتها الثانية عن وزارة التراث القومي والثقافة لسلطنة عمان سنة 1417 هـ/1997م.⁵

يعتبر كتاب الدليل والبرهان من حيث المحتوى موسوعة فلسفية كلامية عقديّة مصغرة, تدل على علو كعب أبي يعقوب في مجال الفكر والعقيدة والجدل والمناظرة حيث ساق فيه العديد من المسائل التي تتعلق بأصول الدين, صاغها بطريق الجدل ومنظار مذهبه الإباضي.⁶ وقد احتوت الأجزاء على ما يأتي من أبواب وعناوين.

الجزء الأول:

¹ عبد الرحمان الجيلالي, مقال بعنوان, أبو يعقوب الوارجلاني, وكتابه الدليل والبرهان, مجلة الاصاله, العدد 41 ص ص-162-170

² بكير سعيد أعوشت, المرجع السابق ص 46

³ PIERRE CUPERLY, **Introduction a l'étude de l'ibadisme et de sa théologie, composition photogravure**, impression, groupe m c.p. – phip – mame. office des publications universitaires alger p 40 .

مصدر الكتاب من مكتبة الجمعية الجريدية بفرنسا نسخة منه بالموقع <https://www.adf.site> تاريخ الزيارة 2019/05/14

⁴ تاديوس ليفتسكي, المرجع السابق ص 130

⁵ أبو يعقوب يوسف ابراهيم الوارجلاني, **الدليل والبرهان** ط2 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان 1417 هـ/1997م ج 1 ج 2 ج 3

⁶ عبد الرحمان الجيلالي, مقال بعنوان, أبو يعقوب الوارجلاني, وكتابه الدليل والبرهان, ص 162

ابتدأ ابو يعقوب الوارجلاني كتابه الدليل والبرهان في جزئه الأول, حامدا الله تعالى ومصليا على النبي صلى الله عليه وسلم , ثم تطرق إلى تمييزه للإنسان, وتفضيله على غيره بنعمة العقل الذي هو مناط التكليف, من اجل تحضيره للرسالة وتكليفه, ومنه أخرجت خير امة مدرجا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ستفتق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن إلى النار, ما خلا واحدة ناجية , وكلهم تدعي تلك الواحدة" , بعدها خص بابا في اختلاف الناس في مفهوم الأمة وفضائلها وآفاتهما, كما تكلم عن آفة الدين وظروف الزمان فأورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أمتي على خمس طبقات الطبقة الأولى أهل علم وهدى , والثانية أهل بر وتقى , والثالثة أهل تواصل وتراحم, والرابعة أهل تدابر وتنافر, والخامسة أهل هرج ومرج", منتقلا بعد ذلك إلى صميم كتابه مخاطبا أهل العقول بالدليل , وبالحق والبرهان والصدق مركزا على خطاب الشارع الحكيم, تطرق بعد ذلك إلى ولاية الخلفاء الراشدين ومنهم سيدنا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وولاية علي رضي الله عنه, والدليل على ذلك, ثم تكلم عن الفرق وأهمها , وذكر أبرزهم النكار المبتدعة بقوله أن جاهلهم عالم وعالمهم جاهل , والتطرق إلى الرد عن الأشعرية في قضية صفات الله تعالى وتكلم عن صفات الله تعالى , والرد على من خالفه في نفيهم خلق القرآن,¹ مدرجا بعض الرسائل والمسائل التي تستوجب الرد والرأي, مثل رسالة الفقيه عبد الوهاب الأنصاري إلى الفقيه أبي عمار عبد الكافي التناوتي يسأله فيها عن بعض المسائل السننية في الوعد والوعيد والثواب والعقاب.²

وما يمكن ملاحظته من خلال أبواب كتاب الدليل والبرهان عدم الترتيب في الأبواب مما يدل أنها كانت أفكارا مشتتة وقد جمعها في كتاب واحد.

هنا نهاية الجزء الأول من كتاب الدليل والبرهان إلى غاية الصفحة المائة.

الجزء الثاني:

أكد أبو يعقوب الوارجلاني في هذا الجزء من كتابه , على إيجاد الحق وتأصيله وهو الأساس بيننا وبين الأمة وبين أنفسنا كما قال³ , ثم تكلم عن العقل بأنه برهان والشرع بيان , ولا بد من محاسبة النفس قبل

¹ الوارجلاني , الدليل والبرهان, المصدر السابق, ج 1 ص 13-69

² الوارجلاني , المصدر نفسه , ج 1 ص 88 فما فوق

³ الوارجلاني, الدليل والبرهان , المصدر انفسه ج 2, ص 2

محاسبة الغير ولا ينبغي اتخاذ دين الله لهوا ولعبا، أيضا تطرق إلى الاختلاف في الإيمان والاعتقاد والضمانات ، ذاكرا أن الاعتقاد خمس : التصديق بوجود الله ، واعتقاد الأفراق ، واعتقاد المذاهب ، واعتقاد الخطأ والمباح، وان القول في الدين هو السمع والطاعة¹ وتكلم عن اختلاف الناس بين الكفر والإيمان، في أن المسلم من نطق بالشهادة رأي بعضهم ورأي آخرون لا بد من وجود الإيمان، ذاكرا لبعض الخصال وقرنها بالاعتقاد ، واختلاف الناس في الكفر والكبيرة والمعصية ، واجتماع الناس على الشرك بأنه كفر، والاختلاف في كفر الأفعال الذي أبطله أهل السنة والمعتزلة ، وأثبتته الإباضية والخوارج²، ثم تطرق إلى بعض المسائل كقوله "ندين بان الله يغفر الصغائر، باجتناوب الكبائر ولا يغفر الكبائر إلا بالتوبة" مصوبا لبعضها ومستحسننا آخر³، ثم تكلم عن بعض الأفراق وان أصحابها في النار خص المرجئة والقدرية والمارقة ، ونص المسلمون إلى ثلاثة وهم الرافضة والمجسمة والمشبهة، معرجا على المذاهب واختلافها واتلافها والاجتهاد وصفة المجتهد⁴، واختلاف الأمة بأنه رحمة من خلال أفعال الإنسان ، متكلمة على الاعتقاد الخاطيء والمباح أما إن انتهكت شروطه فهو مطاحا.⁵

مبرز في آخر هذا الجزء بعض المسائل الخاصة بالأئمة العشرة وآرائهم وكان أولهم جابر بن زيد الأردني وأراه⁶.

الجزء الثالث:

بدأ هذا الجزء بكتاب الرسائل الذي انطلق فيه بعد الحمد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإجابة على تلك الرسائل والمسائل، تطرق إلى اختلاف المتناظرين وتعلقهم بالألفاظ دون المعاني⁷، مفردا بابا في إيضاح الحق الذي يقول كما اعتقدنا في الله سبحانه، بأنه خلق الخلق والجنس، وجعل لهم العقل في أعلى الدرجات وخلق ادم وعلمه الأسماء وان صفة الله تعالى فوق النطق

¹ الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج2 ص 5

² الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج2 ص ص ، 7-24-38

³ الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر السابق ج2 ص 55

⁴ الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج2 ص ص ، 64-68-75

⁵ الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج2 ص ص 88-89

⁶ الوارجلاني، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج2 ص 95

⁷ الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه، ج3 ص 3

وصفاتنا تحت النطق متحدثا على المعرفة والعلم , وصفة الله تعالى في القدرة , ثم تكلم عن العلم , وألغظ الأمة في دينها : الفرقة والملة والديانة والمذهب¹ , ذاكرا استوجاب وجود العلة في العلم من اجل أحكام المخالفين , من أهل الديانات خلاف فسقة الإسلام وتشبيههم بالمشركين, كما تكلم على دور أمير المؤمنين أثناء تواجد خلاف , والعمل على أن يدعوهم إلى ما به ضلوا², أيضا تكلم عن الفتنة والغزو وعمارة الأرضين دون إذن الأمام ولو كانت الأرض فيافيا أوقفارا, متكلم أيضا على العديد من المسائل والفتاوى كالصلاة والزواج والطلاق³ , وان الذنوب وجهين ذنب بين العبد وربه وذنب بين العبد والعباد , وطبقات التائبين, وبعض المسائل التي تخص الفرق كالمرجئة وقولهم في الإيمان والكفر , وتطرق إلى أن الدعاء لا يكون الا إلى الله تعالى⁴ , أدرج أيضا مسائل أهل نفوسة في الولاية والعداوة والبراءة, أيضا أساس الشريعة من التوحيد إلى الشرك , وما حكم الطاعن في دين المسلمين⁵, كما تكلم عن بعض الأساطير أثناء رحلته إلى بلاد السودان ومنطقة زغاوة, وأسر قصة نبي الله موسى مع الخضر عليهما السلام, كما تكلم عن رسائل إخوان الصفا الفلسفية , و عن اكتشافه لخط الاستواء والأقاليم السبعة⁶ , متمما كلامه في الرد على الفرقة النكارية وما ذهبوا إليه, وكلامه على تبليغ الرسول لرسالته وكلاما في صميم العقيدة وتوحيد الله تعالى وتحديد معنى (لا اله الا الله) بأنها نفية وتبرئة إثبات وتحقيق⁷. ومنه أنهى كلامه في الجزء الثالث من كتابه الدليل والبرهان , ونرى من خلال كتابه بأجزائه الثلاثة أن أبا يعقوب يعتمد الدليل والحجة ببرهنة منطقية جادة مواكبا علماء الفكر الإسلامي وفلسفته .

2-1 منهجه وأسلوبه :

وظف أبو يعقوب في كتابه الدليل والبرهان المنهج التاريخي المهم في الكتابة التاريخي فسرده عديد القصص والوقائع, والمنهج الإستدلالي الذي وظفه في الإقناع والتوضيح , والاستقرائي في عملية التحليل واستنباط

¹ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر نفسه ج3 ص 15-34

² الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر نفسه ج3 ص, 62

³ الوارجلاني, الدليل والبرهان المصدر نفسه ج3 ص-ص 72-97

⁴ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر السابق ج3 ص-ص 102-122

⁵ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر نفسه ج3 ص-ص 168-206

⁶ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر نفسه ج3 ص-ص 216-291

⁷ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر نفسه ج3 ص 343

الأحكام من المصادر الشرعية، ووظف المنهج الجدلي الكلامي مستدلاً بالعقل والنقل وفق المذهب الإباضي، خاصة أثناء ذكره لأهم الفرق وآرائهم الكلامية.

أما الأسلوب في كتاب الدليل والبرهان على الرغم من أنه لم يلتزم الترتيب في الأبواب والفصول إلا أن ذلك لم يمنع الكتاب من أن يكون متميزاً و متنوعاً في الطرح ، وقوة الحجّة والدليل وحرصاً على التعبير مستعملاً الدليل الشرعي المقنع في الرد على المخالفين ، مدافعاً عن عقيدته وإيمانه الراسخ ضد من خرج عن العقيدة، متبعاً طريق السخرية ضد أصحاب العقائد الضالة دون التجريح أو السب، مثال ذلك قوله الرد على إخواننا التّكار بأسلوب رائق مقيماً عليهم الحجّة والدليل قوله "...ان يحاسب نفسه في المناظرات، فيقبل الحق إذا ظهر ويرد الباطل إذا ندر، ويحسن الأدب في مناظراته ويراعي الصدق..."¹

3- آراؤه الكلامية من خلال كتابه الدليل والبرهان

المعرفة والعلم عند أبي يعقوب الوارجلاني: هي الجمع بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية، وان الحس هو الذي يوصل الأشياء الى العقل ويؤكد على ان الحس بيت العقل، وان كل من الحس والعقل من الضروريات، فمن أنكرهما أنكر الضروريات الحسية والعقلية² مستشهداً بقوله تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"³ أما العلم يعرفه بأنه تصور وتصديق وتجلي العلوم في نفس العليم، واعتقاد الشيء على ماهو به وهو عرض من الأعراض، ويقول ابو يعقوب أن الأحسن عندي درك الشيء على ماهو به، وان العلم لا يتحقق إلا إذا توفر فيه عنصرين وهما التصور والتصديق، كما أن العلم عنده ليس كله ضروري⁴، وإنما يقسم الى نظري وضروري وأضاف علماً آخر وهو العلم اللدني⁵، الذي يخص الأتقياء والملائكة وهو علم الباطن الذي استأثر الله به من خصه من

¹ الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج3 ص 333

² الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر السابق، ج3، ص241

³ قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 164

⁴ عبد الحميد حمدة، المرجع السابق، ص90

⁵ الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه، ج3، ص245، دليلاً خبزي، الآراء الكلامية لابي يعقوب الوارجلاني، رسالة ماجستير في

اصول الدين اشراف عمار جيدل جامعة الجزائر 1422هـ/2001م ص 88

عباده، ومثال ذلك العلم الذي أتاه الله سيدنا الخضر عليه السلام، وهو ما يسمى بعلم المكاشفة، الذي يقول قد عرفه الغزالي " أما بعد فان علم المكاشفة ما يكون بين العبد وربه لا بواسطة، وهو الغاية القصوى للعباد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن العلم المكنون ما يعلمه إلا أهل المعرفة بالله ولا يجهله إلا أهل الاغترار، فلا تحقروا عالما أتاه الله علما فإن الله لم يحقره إذ أتاه"¹، وهو ما يدل على تأثر أبي يعقوب الغزالي. واعلم أن مراتب السباق الى الله خمسة وهي الإيمان ثم الظن ثم العلم ثم اليقين ثم المعرفة² بالله وهو ما جسده قوله تعالى " فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا " ³.

- الظن عند أبي يعقوب: يعرفه بأنه ميل النفس إلى وجوده ودلّ على ذلك بقوله تعالى: " وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " ⁴.

- البرهان المنطقي: عند أبي يعقوب هو أحد طرق المعرفة، وهو الحجة القاطعة الموصلة إلى العلم والحقيقة الصادقة، وأن حجج القرآن وبراهينه أعظم البراهين،⁶ مصداقا لقوله تعالى: " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " ⁷.

- المعرفة الدينية: ويعرف أبو يعقوب الدين بأنه السمع والطاعة، والأديان إنما تكون بين أهل الإسلام وأهل الشرك والملل. قال تعالى "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" ⁸ و المعرفة الدينية عنده، تتناول معرفة الله والإيمان به وبالرسول صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر وإن هذه المعرفة فطرية في الإنسان مصداقا لقول الله تعالى " فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " ⁹

¹ الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج1، ص 56

² الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج3، ص 246

³ قران كريم، سورة الكهف، الآية 65.

⁴ قران كريم، سورة التوبة، الآية 118

⁵ الوارجلاني، المصدر السابق ج3 ص 228

⁶ الوارجلاني، المصدر السابق ج3 ص 242

⁷ قران كريم، سورة البقرة، الآية 111

⁸ قران كريم، سورة الكافرون الآية 6

⁹ قران كريم، سورة الروم الآية 30

يتفق هنا أبو يعقوب مع المعتزلة التي تقول: أن العلم بالله والإيمان به ينال من جهة الفكر.¹

- وجود الله ووحده: يذهب أبو يعقوب إلى أن التوحيد هو إثبات الواحد ونفي ما سواه من شريك، فكل ما يعبد سواه يجب الكفر به، وهو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما جاء به حق من عند الله، ويقول أبو يعقوب إن أبا حامد الغزالي قسم التوحيد إلى أربعة مراتب وهي:

لب، ولب اللب، وإلى قشرة، وقشر القشرة² وهي القول باللسان أشهد أن لا إله إلا الله، ويقول أن التوحيد بالقلب أفضل من التوحيد باللسان³. وقد استدلل أبو يعقوب على وجود الله تعالى في نقاط عدة منها الدليل العقلي اعتمده في الاستدلال على وجود الله، ومبنى هذا الدليل العلوم العقلية، والدليل اللغوي من جهة اللفظ وذلك بتقسيم الله الألفاظ على جميع لغاتها، أيضا دليل الطبع والفطرة وهو ذلك الشعور المغروس في النفس بوجود الله تعالى⁴، ويعبر عنه بالغريزة الدينية وهو ما تذكره الآية الكريمة "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" ⁵ والدليل النقلي الموجود في القرآن الكريم والايات الدالة على ذلك والنظر في الكون، ويخص المسلمين فقط الذين يقرءون القرآن والدليل على وجود الله تعالى أيضا النظر في الأنفس من العقل والنطق والنعم التي انعم الله بها على بني آدم⁶

صفات الله تعالى: يقول أبو يعقوب في صفات الله "والأحسن عندي أن تقول: ليس هناك معنى غير الله"⁷ و لم يرد أبو يعقوب الخوض في هذه المسائل، والقول بالصفات إنها زائدة أو هي عين الذات، تفاديا من الوقوع في المخطور، ويقول أبو يعقوب: إن إخبارك عن ذات البارئ سبحانه هو إخبارك عن شيعيته وعن عينه ومعناه وإن اختلفت الألفاظ، فليس في ذلك ما يقتضي التغيير، ورد أبو يعقوب على النكار⁸، في مسألة الأسماء والصفات، حيث يقول، ليس في مسائلهم مسألة معنوية إلا

¹ الوارجلاني، المصدر السابق، ج 1 ص 6 ج 4 ص 240-241، دليمة خبزي المرجع السابق ص 114

² الامام الغزالي، احياء علوم الدين، د ط، مكتبة كرياضة اسارغ دت ج 4 ص 240-

³ الوارجلاني، الدليل و البرهان، ج 3 ص 246

⁴ دليمة خبزي المرجع السابق ص 119

⁵ قران كريم، سورة الاعراف، الآية، 172

⁶ الوارجلاني، المصدر السابق ج 3 ص 342

⁷ الوارجلاني، المصدر السابق ج 1 ص 69

⁸ الوارجلاني، المصدر السابق ج 3 ص 334

المغالطة في الألفاظ, فذهبوا إلى أن أسماء الله وصفاته إلى الألفاظ وذهبنا إلى المعاني, فاللباب أفضل من القشر, فلو كانت الأسماء والصفات هي الألفاظ لما كان الله تعالى فيها مدحه ولا ثناء ولا عظمة¹.

- مسألة خلق القرآن وأسمائه: يعرف أبو يعقوب القرآن بما وصفه الله عز وجل في كتابه وجعله قرآنا عربيا مجعولا منزلا مسموعا بالآذان, مقروءا بالألسن, مكتوبا في المصاحف وفي قلوب الذين أوتوا العلم, مركزا بوصفه أنه مجعول ومنزل مما يؤكد قوله بأنه مخلوق بمعنى مجعول ومنزل², و يقول أبو يعقوب إن الله أنزل على محمد قرآنا يتلى, فلقبه بعشرة أسماء وهي حكيم ومهيمن ونور وفرقان وشفاء وضياء وهدى ورحمة ومبين وحق, وشبهه أبو يعقوب القرآن بأنه كشجرة لها عروق وأعضاء وأغصان وثمار, وهذه العروق والأعضاء والأغصان والثمار تنقسم إلى فروع والعروق تتفرع بدورها إلى عشرة فروع وهي المكبي والمدني والناسخ والمنسوخ والمتشابه, والعام والخاص والظاهر والباطن, تنقسم الأعضاء إلى عشرة أعضاء وهي المجمل والمقيد والمفصل والكناية والمطلق, والتصريح والمقطع والموصول, والمقدم والمؤخر وتتفرع الأغصان إلى الحدود, وفحوى الخطاب, ولحن الخطاب, ودليل الخطاب ودليل الأسماء الذاتية لله تعالى, وأسماء الفعال أما الثمار, الأمر والنهي والخبر والاستخبار والوعد والوعيد والمواعظ والأمثال والأعدار والإنذار, ولقد جوز أبو يعقوب على أن الله كَلَّمَ وتكلم ويتكلم ومتكلم ومكلم, فهذه كلها بقرائن الأحوال ولا يجوز قول القرآن لغة الله وحديثه, أما مسألة خلق القرآن فقد اختلف فيها المتكلمون, فطائفة قالت بخلق القرآن, وقالت الأخرى بعدم الخلق, وذهبت الثالثة إلى بين بين, لم يرد أبو يعقوب أن يخوض في هذه المسألة لكنه كان يميل إلى رأي بعض العلماء الذين ذكروهم في كتابه الدليل والبرهان مثل الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم في مسألة خلق القرآن, واستدل على خلق القرآن بوصف الله تعالى القرآن في كتابه "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"³ وجعله قرآنا عربيا مجعولا منزلا مسموعا بالآذان, مقروءا بالألسن, مكتوبا في المصاحف وفي قلوب الذين أوتوا العلم.⁴

¹ الوارجلاني, المصدر السابق ج 1 ص ص 52-69. عبد الجيد حمدة, المرجع السابق ص 95

² الوارجلاني, المصدر السابق ج 1 ص 72

³ قرآن كريم, سورة الزخرف الآية 3

⁴ الوارجلاني, الدليل والبرهان, ص 94, دليلة خبزي المرجع السابق ص 165

و قال أبو يعقوب إن قضية خلق القرآن انتقلت إليهم من البصرة التي انتشر فيها الكلام¹.

-**الملائكة**: وصف ابو يعقوب الملائكة بانهم عقول بلا شهوة اما بنو ادم والجن فان الله خلقهم ركب فيهم الشهوات, والعقول والبهايم شهوة بلا عقول فان العقول تدعو الى كل خير والشهوات تدعو الى كل شر, ويرى ابو يعقوب ان الملائكة معصومة عن ارتكاب المعاصي وليس للشيطان سبيل عليهم وليس في طباعهم ما يمنع الطاعة ولا يثقلها عليهم, وان افعالهم وعلومهم منوطة, بالاجتهاد والالهام².

-**رأي أبي يعقوب في الكفر**: يرى أبي يعقوب بان الكفر ثابت لغة وشرعا كتابا وعقلا, وان العرب تقول لمن انكر نعمتك عليه او لمن لم يكافئك عليها كفر بنعمتك, وكفر باحسانك ويعد ذلك جحودا والكفر عنده نقيض الايمان قول وعمل, فالايان اقرار والكفر انكار³.

والكفر عند الاباضية: نوعان كفر نعمة وكفر جحود, فكفر الجحود متعلق بوحداية الله وصفاته, ومساواة الله بغيره كمن جحد وجود الصانع نافية وحدانيته وصفاته, وناكرا شيئا من افعاله الثابتة, كبعث الرسل مثلا وانزال الكتب فمن تعدى ذات الله وصفاته صار كافرا, اما كفر النعمة يعبر عنه أبي يعقوب بكفر الافعال وهو انكار نعم الله, وهو نقيض الشكر وهو ان تعتنق الاسلام ولا تطبق ما جاء به. ويرى أبو يعقوب كفر الأفعال كفر نعمة, مستدلا بالكتاب والسنة والعقل والرأي حيث يقول الله تعالى "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا⁴ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"⁴ هذا دليله من الكتاب⁵ أما من السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس عندما سأله عن الحج فقال: "يارسول الله الحج علينا واجب في كل عام؟ فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه وقال: "والذي نفسي بيده, لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تفعلوا ولو لم تفعلوا لكفرتم, ولكن إذا نهيتمكم عن شيء فانتهاوا وإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم"⁶

¹ الوارجلاني , , المصدر نفسه ج 1 ص ص 71-72

² الوارجلاني , , المصدر نفسه ج 1 ص 78 , دليلة خبزي المرجع السابق, ص, 197

³ الوارجلاني , , المصدر نفسه , ج 2 ص, 10

⁴ قران كريم , سورة ال عمران , الآية 97

⁵ الوارجلاني , الدليل والبرهان , ج 2 ص ص 38-39

⁶ الوارجلاني , المصدر نفسه ج 2 ص 41 , دليلة خبزي المرجع السابق, ص, 221

أما دليhle من خلال الرأي والعقل فيقول إن المكلف عند أبي يعقوب إما مؤمن وإما كافر، وينفي وينكر ما ذهب إليه المعتزلة من أن هناك المنزلة بين المترلتن، أي لا منزلة عند الإباضية بين منزلتي الإيمان والكفر؛ لأن المكلف إما مؤمن وإما كافر و مرتكب الكبيرة كافر ، بخلاف المرجئة القائلة مرتكب الكبيرة ليس بكافر، واسمه مع ذلك مؤمن، ولا تضر مع الإيمان معصية ، أما القدرية فاعتبروه فاسقا .¹

- **الثواب والعقاب**: يقول أبو يعقوب: لو أبطنا الثواب والعقاب كانت المعصية إباحة لا تكليفا، ولكن الثواب من فضل الله على المؤمنين ، والعقاب بمقتضى الحكمة واجب على الكافرين .²

عذاب القبر: يقول أبو يعقوب: ان مسألة عذاب القبر ليست من مسائل الديانات، فمن جهلها سلم ومن علمها غنم ومن تورط فيها ندم ، وتناول مسألة عذاب القبر للرد على النكارية الذين أنكروه³. يستشهد أبو يعقوب على ثبوت عذاب القبر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصحابة الدعاء، كما يعلمهم

السورة من القرآن "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجا لو أعوذ بك من فتنة الحيا والممات" أيضا قوله صلى الله عليه وسلم " القبر أما روضة من رياض الجنة، أو شعلة من نار جهنم " كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ملكي القبر قائلا "إن للقبر ملكين يقال لهما : منكر ونكير، يأتيان كل إنسان في قبره بعد موته ، يمتحنانه ويحاكمانه".⁴

- **رأيه في الخلافة**: يذكر أبو يعقوب بأن المسلمين اختلفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه،⁵ فخالفت الشيعة وكنا مع المهاجرين والأنصار، ويقول : " قلنا وبالله التوفيق إنا اتبعنا أوائلنا وحاسبناهم واتبعناهم تقليدا فعولت أوائلنا على الوزن بالقسطاس المستقيم والبرهان القلبي وهو الكتاب والسنة ورأي المسلمين وذلك أنه لم تفرق فرقة بعد الرسول صلى

¹ الوارجلاني ، المصدر نفسه ج2 ص ص 42-49

² الوارجلاني ، المصدر نفسه ج1 ص 79

³ الوارجلاني ، المصدر نفسه ج3 ص 332

⁴ الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، المصدر نفسه ج3 ص ص 328-330

⁵ الوارجلاني ، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج1 ص 40

الله عليه وسلم إلا كان أوائلنا في أفضلها حتى انتهى الأمر إلينا"¹ ويذكر زلّة الخوارج نافع بن الأزرق² وذويه حين تأوّلوا قول الله تعالى "وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ"³ هنا اثبتوا الشرك لأهل التوحيد، وأما المارقة فقد قالوا بأن من عصى الله ولو بصغيرة من الذنوب فقد أشرك ومنه استحلوا قتل الرجال وأخذ الأموال وسبي العيال، فحسبهم يقول أبو يعقوب قوله صلى الله عليه⁴ "إن أناسا من أمّتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فتنظرو، في النصل فلا ترى شيئا، وتنظر في القدح فلا ترى شيئا، وتتمارى في الفرق" وذكر بذلك أعوشة أنهم قلبوا الشريعة وبدلوا الأسماء والأحكام ومنه لا يمكن أن تنطبق كلمة الخوارج على المذهب الإباضي⁵

ويعد كتاب الدليل والبرهان من أهم المراجع في المذهب الإباضي في علم الكلام والعقيدة وموردا لأهم الآراء السابقة لعلماء المذهب.

¹ بكير سعيد أعوشة، المرجع السابق، ص 59

² الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج 1 ص 28

³ قرآن كريم، سورة الانعام، الآية، 121

⁴ الوارجلاني، الدليل والبرهان، المصدر نفسه ج 1 ص 44

⁵ بكير سعيد أعوشة، المرجع السابق ص 59

المبحث الثالث : أبو يعقوب الوارجلاني وآثاره في علمي الحديث و التفسير

أولاً: أبو يعقوب الوارجلاني محدثاً

1 / مكانة السنّة عند الإباضية كمصدر للتشريع

يعتبر الإباضية السنّة من المصادر الأساسية في التشريع ,جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم, ويليهما الإجماع ثم القياس.

حيث يقول السالمي: حد أصول الفقه علم يقتدر به على استنباط أحكام السور

وسنة الرسول والإجماع كذلك القياس مع نزاع¹

وقد استلهم الإباضية وصف الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ"².

كما أنهم أجّلوا أقوال الرسول عليه السلام من قوله تعالى "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ" ³ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا³ و يقول أبو يعقوب الوارجلاني , عندما زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقليد إلا لصاحب هذا القبر⁴.

ومن ذلك فقد لقيت السنة النبوية عند المذهب الإباضي , كل العناية والحرص حفظاً وتبليغاً وتدويناً, اقتفاء بكل ما جاء به الرسول الكريم , ومن مظاهر هذا الاهتمام طلب الحديث وتبعه والرحلة لتحقيق

¹ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي, طلعة شمس الأصول الطبعة الأولى سنة 1899 م مكتبة الإسكندرية, 2012 م ص 27

² قرآن كريم:سورة النجم الآية 2-4

³ قرآن كريم:سورة الأحزاب, الآية 35-36

⁴ الدرجيني المصدر السابق ص 495 , الشماخي المصدر السابق ج2 ص 105

ذلك. فقد رحل جابر بن زيد¹، من عمان إلى البصرة واستقر هناك لوجود عدد كبير من الرواة من الصحابة والتابعين، إضافة إلى قريتها من مكة المكرمة والمدينة المنورة².

انعكس هذا الاهتمام بالسنة النبوية من الأئمة إلى التلاميذ، فتوالى الرحلات في طلب العلم والحديث خاصة، فكان بعضهم من عمان واليمن وخراسان والمغرب، ومن هؤلاء الطلبة كان الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، الذي رحل من عمان إلى البصرة، حيث تتلمذ على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وبوفاة هذا الأخير قام الربيع بتدوين مروياته، في مسنده الشهير (مسند الربيع).

وقد انبثق على ذلك العديد من المؤلفات والكتب الإباضية، خاصة في الرواية وكان منها:

1- مسند الأمام الربيع بن حبيب³، الذي أفردته لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أيضا أحاديث في العقيدة جمع فيه أحاديث عن الرسول والصحابة.

¹ جابر بن زيد اليحمدي الأزدي (أبو الشعثاء): والشعثاء هو اسم ابنته ولد بقرية فرق بنزوى بعمان سنة (18هـ/639م) قصد البصرة من أجل العلم انتقل بينها وبين الحجاز، روى الحديث عن أكابر الصحابة رضوان الله عليهم، منهم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وانس بن مالك، ومعأوية بن أبي سفيان وغيرهم رضي الله عنهم حتى أنه قال: "أدركت سبعين يدريا، فحويت ما عندهم، إلا البحر الزاخر عبد الله بن عباس" عاش قانعا زاهدا همه الدعوة، وكثرة السفر في سبيل العلم، ترك آثارا علمية كبيرة كان مفتي البصرة، فقد روى عنه حوالي سبعين من الرجال، كان أماما في التفسير والحديث والفقه وأول من جمع الحديث في ديوان، ورواياته اختصت بها المصادر الإباضية، من أهم مؤلفاته: كتاب الصلاة وكتاب النكاح، موجودان بجزيرة وفقه الأمام جابر بن زيد، عاش فترة الحجاج بن يوسف وعرض عليه منصب القضاء إلا أنه رفض حيث كان جريئا معه، ويعد من الذين وضعوا أسس المذهب الإباضي رفقة عبد الله بن أباض، فقد قال فيه الدرجيني "هو بحر العلوم العجاج، وسراج التقوى، أصل المذهب وأسه الذي قام عليه نظامه، ومنار الدين، ومنه انتصبت به أعلامه". بعد موته انصفه علماء أهل المذاهب الأخرى، قال فيه انس بن مالك "مات اعلم من على ظهر الأرض" من أبرز تلامذته: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وقتادة شيخ البخاري توفيسنة (93هـ/711م). ينظر:

الشهرستاني الملل والنحل، تح أمير علي مهناو علي حسن فاعود ط5 دار المعرفة بيروت لبنان 1416هـ/1996م ج 1 ص 160، الدرجين المصدر السابق ج 2 ص 205، إبراهيم مجاز وآخرون المرجع السابق ص 109-110، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية ط2 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عمان 1432هـ/2011م ج 1 ص 12

² سامي صقر عيد أبو داود، الأمام جابر بن زيد الأزدي (ت 93هـ/711م) وأثره في الحياة الفكرية والسياسية -دراسة تاريخية- ط1 مطابع النهضة الأردن، 2000م ص ص 77-79

³ الأمام الربيع بن حبيب: هو أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو بن الربيع بن راشد بن عمرو الفراهيدي الأزدي، العماني المولد البصري الإقامة ولد سنة 80 هـ. أو قبلها في منطقة الباطنة، وهو أحد رواة الإباضية عاش في المشرق في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، تتلمذ على يد والده الشيخ حبيب بن عمرو، رحل إلى البصرة حوالي سنة 90 هـ. من أهم شيوخه كما ذكر الشماعي في قوله نقلا عليه "إنما حفظت الفقه عن ثلاثة أبي عبيدة وضمام بن السائب وأبي نوح" كلهم شيوخ لهم باع في الحديث والرواية، من أهم آثاره المسند الذي رواه عن شيخه أبي عبيدة، ويحوي 743 حديثا، وكتاب العقيدة ويضم 140 حديثا، ويشكل الجزء الثالث من ترتيب الوارجلاني، (الجامع الصحيح)، دون الأحاديث على مسانيد الصحابة التي بلغت 145 صحابيا وما يميز منهج بن حبيب في مسنده أن

- 2- مدونة الإمام أبي غانم الخراساني ويعتبر كتاب فقه أكثر منه كتاب حديث.¹
- 3- روايات أبي سفيان محبوب بن الرحيل القرشي الحضرمي, رواها عن بعض العلماء ضمها أبو يعقوب الوارجلاني إلى كتابه ترتيب الجامع الصحيح.,
- 4- الجامع الصحيح الوارجلاني الذي رتب فيه مسند بن الربيع , وروايات أبي سفيان بن محبوب.²
- ويعتبر مسند الربيع بن حبيب كتاب الحديث الذي يعتمد الإباضية , بعد القران الكريم والذي يضم ألفا وخمسمائة حديث, رواها عن علمي الإباضية الكبيرين , جابر بن زيد وأبي عبيدة , ويمثل هذا المسند مذهب أبي عبيدة الذي تناقله تلامذته, الوافدون لإفريقية وبلاد المغرب, وأصبح عمدة الإباضية في الحديث , وهناك من يرى بدخوله لبلاد المغرب قبل موطأ الأمام مالك, وأدخله بن زياد في حدود (150هـ/767م)

2/ أبو يعقوب الوارجلاني وكتابه ترتيب المسند(الجامع الصحيح)

اهتم أبو يعقوب الوارجلاني بعلم الحديث ورجاله, أيام دراسته ورحلته إلى قرطبة بالأندلس, وتطرقه للعديد من كتب الحديث, حيث وضع رسالة للتعريف برجال مسند بن الربيع وشيوخه وتلامذته, وقد أورد الشماخي في سيره أن لأبي يعقوب العديد من الكتب والمؤلفات , في الفقه والأصول والشعر

اغلب رواياته ثلاثية السند. ينظر : الشماخي المصدر السابق ج1 ص, الجامع الصحيح مسند الأمام الربيع بن حبيب الفراهيدي ,مقدمة السالمي, ط1 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان 1432هـ/2011م ص4.

¹ ابو غانم بشر بن غانم الخراساني: من أهل خراسان قدم إلى البصرة لتلقي العلم , على يد علماء الإباضية منهم أبي عبيدة الذي أدركه في آخر عمره, لكنه درس على تلامذته , وبوفاة أبي الربيع رحل ابو غانم إلى مصر , ثم إلى المغرب وبعدها رجع إلى المشرق حيث كان حريصا على طلب العلم , تتلمذ على حوالي أربعة عشرة شيخا أهمهم ابو عبيدة والربيع بن حبيب, وأيوب بن أيوب وأبو سفيان بن الرحيل , ومن أهم تلامذته ابو حفص عمرو بن فتح المساكيني, النفوسي وافلح بن عبد الوهاب بن رستم ثالث الأئمة الرستميين الإباضيين , ومن أهم آثاره كتابه المدونة أو مدونة أبي غانم الخراساني, التي دون فيها أقوال جميع علماء الإباضية حتى أصبحت أرضية لمن بعده من العلماء , أيضا له كتابه اختلاف الفتوى , وقد جمعت مدونة أبي غانم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وفقهاء المذاهب الإسلامية , وقد جمعت مئة وأربعون حديثا عن الرسول واغلب رواها من الإباضية , توفي سنة 200هـ وبعض المصادر تذكر وفاته سنة 220 هـ . ينظر: الدرجيني ,المصدر السابق, ج 2 ص ص 320-323-325, الشماخي المصدر السابق ج 1 ص 192, عمر خليفة النامي, دراسات عن الإباضية تر ماهر جرارو مخائيل خوري, ط2 دار الغرب الإسلامي تونس 2012 ص130

² مسند الأمام الربيع بن حبيب الفراهيدي, مقدمة السالمي المصدر السابق, ص 4

والتفسير فيقول: " رأيت له كتاب الترتيب في علم الحديث, رتب كتاب الربيع بن حبيب في الحديث وزاده ما رواه غيره عن ضمّام عن جابر وغيرهما, وكراسة في تسمية رجال الكتاب"¹

قام أبو يعقوب الوارجلاني بإعادة ترتيب المسند وتنظيمه, حيث رتب فيه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم, ورواية الربيع بن حبيب ترتيباً منهجياً والذي توجد منه طبعان كما ذكر ذلك ليفتسكي² وأطلق عليه اسم الجامع الصحيح, وقد اشتمل المسند على عدة مواضيع مختلفة تتعلق أساساً, بالأمامة والعقيدة³, وهو معتمد المذهب الإباضي في الحديث وقد طبع العديد من المرات.⁴

فقد أعاد أبو يعقوب ترتيب المسند وفق أبواب الفقه, بعد أن كان ترتيبه على أساس رواة الحديث, وكان المسند في أصله يتألف من جزأين, وضم له أبو يعقوب آثاراً احتج بها ابن حبيب على مخالفه, وجعلها جزءاً ثالثاً, مضيفاً لها روايات محمد بن محبوب بن الرحيل الحضرمي, وروايات الأمام افلح بن عبد الوهاب عن أبي غانم بشر بن غانم الخراساني, ومراسلات جابر بن يزيد الأزدي. جعلها أبو يعقوب كجزء رابع في الجامع الصحيح ومنه أصبح لكتابه أربعة أجزاء :

- الأولان في أحكام الشريعة متبعاً للسند العالي وسماه الجامع الصحيح
- ترجم فيه أبو يعقوب للعديد من رجال الإباضية, حيث ذكر الدرجيني بأن له يدا في علم الحديث والأخبار ورواية السير.⁵
- رتب المسند إلى أبواب وقسمه إلى خمسة عشرة كتاباً وهي (كتاب الأيمان, الطهارة, الصلاة, الصوم, الزكاة, الصدقة, الحج, الجنائز, الأذكار, النكاح, الطلاق, البيوع, الأحكام, الأشربة, النذور, الآداب)

- قسم كل كتاب إلى أبواب ووضع تحت كل باب الأحاديث التي تخصه

¹ الشماخي المصدر السابق, ج2 ص105, الدرجيني, المصدر السابق, ج2 ص494

² تاديوس ليفتسكي, المؤرخون الإباضيون, المرجع السابق, ص 130

³ عبد المجيد بن حمدة, المدارس الكلامية بإفريقية, ط1 مطبعة دار العرب بن عروس تونس, 1406هـ/1986م ص ص139-141

⁴ بن بوهون حاج احمد, المرجع السابق, ص 21, عمار غرائسه, المرجع السابق, ص 220.

⁵ الدرجيني, المصدر السابق, ج2 ص 491

- وبهذا يكون أبو يعقوب, قد قسم المسند بعد ترتيبه إلى جزأين مضيفا لهما مقاطع جابر وابن أفلح وسماه الترتيب. وعليه يكون كتاب "المسند" للربيع بن حبيب هو الجزء الأول والثاني فقط أما الثالث والرابع فهو إضافة أبو يعقوب الوارجلاني.

وما يؤكد تضلعه في الحديث هو إجابته على رسالة الأوزاعي التي ذكرها الوارجلاني في "الدليل والبرهان" الذي جاء في رسالة (زهرة العيون), لابن قتيبة أنه عالم رواية وليس أمام مذهب, قائلا: "اعلم أخي أن أبا قتيبة عالم رواية, وليس بأمام عند أهل مذهبه, ولا حديثه مما يكون حجة على المذاهب"¹ أما الأوزاعي² فأمام أهل مذهبه وأهل الشام قاطبة, غلب عليها مذهبه حتى انتهى إلى الأندلس, وعلى مذهبه كان أهلها وليس يُنتحل مذهب الأمام مالك في الأندلس, إلا خدمة للمرابطين. وهنا نرى أيضا أن الرد بالنسبة لأبي يعقوب غلبت عليه النظرة السياسية بالنسبة لبروز المذهب المالكي في بلاد الأندلس.

ثانيا: أبو يعقوب الوارجلاني مفسراً

1- وصف كتابه في التفسير ومنهجه

استطاع أبو يعقوب بعلمه واتساع مداركه أن تكون له ملكة التأويل وتقدير الأشياء وبيان مقاصدها, هذا الأمر جعله يقتحم علم التفسير لأي القرآن الكريم وفهمه الفهم الدقيق. حيث ألف كتابه في التفسير, فيقول هو عن نفسه "اعلم أنه من يحصل مقاليد أفعال الكتاب في القرآن العظيم, كان من

¹ الوارجلاني, الدليل والبرهان, المصدر السابق, ج3 ص133

² الأمام الأوزاعي: ولد سنة 88هـ وهو عبد الرحمان بن عمرو بن محمد, الأوزاعي السبأبي الشامي, الدمشقي البيروتي والأوزاعي نسبة إلى أوزاع وهم بطون من العرب, نزلوا بدمشق, وهو عربي حميري وكان يكنى أبا عمرو, ولد بعلبك تربي يتيما, بعد وفاة أبيه اتجه إلى دمشق لطلب العلم ثم إلى مكة المكرمة فالمدينة المنورة, على عهده انتشرت العديد من الفرق السياسية والمذهبية, كالشيعة والخوارج وبعض الفرق, كالجهمية والقدرية والجسمة, وقف الأمام الأوزاعي إلى بعضها في ما يحاك ضد الصحابة, سمع الحديث وعمره اثنتا عشرة سنة, عاش مجتهدا حافظا, حتى أصبح احد الأئمة الذين يدور عليهم الإسناد, وعد إسناده من أصح الأسانيد, شهد عهده في القرن الثاني الهجري, ثورة فقهية كبيرة, قامت على الكتاب والسنة, وأقوال الصحابة, وظهرت المدارس الفقهية. لمع نجمه في الفقه والفتيا, مثلما برز في الحديث, ولم يزل متصدرا الإفتاء حتى توفاه الأجل سنة 157 هـ, وقدمه الأمام مالك في الفقه عن أبي حذيفة, والثوري.. عبد الستار الشيخ, الأمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام (88هـ/157) ط1 دار القلم دمشق 1432هـ/2006م ص ص36-233

فقه القرآن بمعزل , وقد بينا هذه الأفعال في غير هذا الموضوع وشرحناها شرحا , نقف عليه إن شاء الله ¹ واصفا القرآن بأنه كالشجرة لها عروق وأعضاء وأغصان وأثمار(أما عروقها فهي عشرة: المكّي والمدني والناسخ والمنسوخ , والمحكم والمتشابه والظاهر والباطن , والعام والخاص والأعضاء عشرة وهي: الجمل والمفسر والمطلق والمقيد والمقطوع والموصول والمقدم والمؤخر والكناية والتصريح. أما الأغصان فهي عشرة : الحدود ولحن الخطاب وفحوى الخطاب , ودليل الخطاب والأسماء الذاتية لله تعالى , وأسماء الأبدان وأسماء الأفعال. أما الأثمار فهي: الأمر والنهي , الخبر والاستخبار , الوعد والوعيد , المواعظ والأمثال , الإعذار والإنذار).² ومؤلفه هذا في التفسير كان , عجيبا كما يقول البرادي في الجواهر : "... وله في التفسير كتاب عجيب رأيت منه في بلاد أريغ , سفرا كبيرا , لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم ولا أكبر منه , وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة , أو اقل أو أكثر منه تفسير الفاتحة والبقرة وال عمران , وحزرت أنه فسر القرآن في ثمانية أسفار مثله لم أر ولا رأيت ابلغ منه , ولا أشفى للصدر لغة وإعرابا أو حكم مبين , أو قراءة ظاهرة أو شاذة , أو ناسخ ومنسوخ , أو في جميع العلوم , فإذا ذكر أية يقول قوله تعالى... إلى آخره...."³ إنّ نقل البرادي لهذا الوصف الدقيق لكتاب التفسير لأبي يعقوب يأخذنا إلأنه اجتهد في التفسير لدرجة أنه وضع منهجا جديدا موضحا فيه عديد العناصر التي مر عليها تفسيره حتى يصل لقارئه ميسرا واضح المعالم . وقد اتلف هذا الكتاب , ويذكر عبد الرحمان الجيلالي إن هذا التفسير توجد نسخة منه في خزائن روما بإيطاليا , وقد اعتمد الوارجلاني منهجا دقيقا في تفسيره كما أورد ذلك البرادي بعد ذكره أنه فسر القرآن في ثمانية أسفار ⁴ بناء على ما يلي :

- يقوم بذكر الآية المراد تفسيرها من البداية إلى نهايتها "... فإذا ذكر آية يقول تعالى إلى آخر الآية..."
- يقوم بإعراب الآية بداية لتوضيح المدلول الإعرابي "... فأول ما يذكر إعراب الآية ويستقصيه..."

¹ أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني , الدليل والبرهان , تح الشيخ سالم بن حمد الحارثي , مطبعة الألوان الحديثة سلطنة عمان , د ط ج 2 ص 82

² الوارجلاني المصدر السابق ص 18-82 , بكير سعيد أعوشت أبو يعقوب يوسف الوارجلاني المرجع السابق ص 47

³ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي , الجواهر المنتقاة , تح احمد بن سعيد السيأتي ط 1 دار الحكمة لندن 2014 م ص 238

⁴ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي , المصدر السابق , ص 238

- يقول اللغة ويستقصي جميع تصاريف الأفعال "... ثم يقول اللغة فيستقصي جميع تصاريف الفعل من الكلمة..."
- تبين حكم الآية المراد تفسيرها ومدلول الحكم الشرعي فيها جانب الفتوى هنا وتبين القراءة الظاهرة من الشاذة "... أو حكم مبين وقراءة ظاهرة أو شاذة ..."
- بيان الناسخ من المنسوخ وترتيب الآيات في النزول والتدرج في الحكم الشرعي
- اعتماد التفسير على ما جاءت به السنة وهو مردّه في ذلك فكان يسوق الرواية من كتاب أبي حبيب "المسند" مورداً للسند ومواضع الاختلاف بين الأطياف والفرق
- كما بين مواضع التفسير للعلوم العقلية أو النقلية .
- ويبقى هذا التصور في منهج التفسير للوارجلاني مميزاً عن باقي التفاسير الأخرى, إلا أن ضياع هذا المؤلف ترك شرحاً كبيراً في تفسير القرآن الكريم لعلماء المذهب الإباضي, لكن كتاب الوارجلاني (الدليل والبرهان) (أبقى للفكر الإباضي خيط الأمل في سرد العديد من التفاسير والنماذج, من الآيات المفسرات كما ورد في بعض الرسائل التي قام أبو يعقوب بشرحها وتفسير آياتها .

2- نماذج من تفسير الوارجلاني للقرآن الكريم كما وردت في مؤلفه (الدليل

والبرهان)

يعتبر كتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني, من أهم الآثار العلمية التي تركها في مجال الفقه والعقيدة, حيث وضح فيه عقائد أهل الاستقامة, برصانة التعبير, والمجاهمة بالحجة, من النصوص الشرعية, في الرد على من خالف الشرع, بدفاعه عن العقيدة, والمهجوم عن أصحاب الضلال والشبه بالعديد من الأساليب حسب ما تقتضيه المرحلة

- الأنموذج الأول :

قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) ¹ فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم بدليل لام التعريف فهو تعريف العهد، إذ ليس بتعريف الجنس، فلو قال قائل: رأيت رجلا؟ فقيل من الرجل؟ لدل لام التعريف على إن المرئي هو المسؤول عنه ولم يكن منكرا، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ² وقال: "لن يغلب العسر عشرين" فدل تكرار المعرف أنه واحد، وتكرار المنكر أنه اثنان فقال: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)، أخبر الله عليه أنه آمن فأطلق، ولم يقيد فأثبتناه أنه آمن قولاً وعملاً واعتقاداً. ³

- الأنموذج الثاني:

قوله تعالى (يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) ⁴ هكذا هو حال أولي العزم من الرسل، والأنبياء والصديقين والسابقين والمقربين.

- الأنموذج الثالث:

قوله تعالى (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ⁵ وقوله تعالى (يا أيها الناس) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) فهذا الخطاب يستغرق جميع الناس وجميع المؤمنين، فخصت السنة منه الطفل حتى يكبر، والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، وعموم هذه الای جميع العقلاء البالغين من الرجال والنساء، فقال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) ⁶ الأمر هنا لجميع أولي الألباب بالطاعة، فدخل النساء في الخطاب ⁷

- الأنموذج الرابع:

¹سورة البقرة الآية 284-285

²سورة الشرح الآية 4-6

³أبو يعقوب الوارجلاني، المصدر السابق ج 3 ص 151

⁴سورة الانبياء الآية 20

⁵سورة النحل الآية 43-44

⁶سورة الشعراء الآية 150

⁷أبو يعقوب لوارجلاني المصدر نفسه ج 3 ص 130

قوله تعالى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)¹ فهذه عموم محتملة التبعض فسخ الله تعالى منهم أهل الذمة فقال (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)².

- الأنموذج الخامس:

قوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)³ فالحي يتضمن الصفات والقيوم يتضمن التكليف والتصرف فإذا دل قولنا (الله) أنه قدس وأنه عالم وأنه قادر وأنه مريد وأنه شاء وأنه فاعل فهذه السبع يقتضيها قوله (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ويقتضي قوله (القيوم) الفعل والخلق والتكليف وهو الأمر والنهي الذي يقتضي الطاعة والمعصية والثواب والعقاب الذي يقتضي الجنة والنار وهما يقتضيان المصير فهذه الستة يتضمنها قولك الفاعل.

فهذه الثلاثة عشرة خصلة اقتبسنا معرفتها من معرفة الله عز وجل والإيمان به والإيمان بالملائكة والكتب كما يقول ذلك أبو يعقوب.⁴

المبحث الرابع: أبو يعقوب الوارجلاني مؤرخا وشاعرا أدبيا

أولا : أبو يعقوب الوارجلاني مؤرخا

إن اهتمام مؤلفي الإباضية بالكتابة في التاريخ الإباضي، لم يكن صدفة إنما كان لغرض أسمى وهو إحياء الفكر الإباضي، وإبراز تعاليمه، وتعتبر وثيقة (بن سلام بن عمر)¹ وهو من إقليم توزر بالجنوب

¹سورة التوبة الآية 35-36

²أبو يعقوب الوارجلاني المصدر نفسه ج 3 ص 131 ، سورة التوبة الآية 28-29

³سورة البقرة الآية 254-255

⁴أبو يعقوب الوارجلاني المصدر السابق ص 153

التونسي أقدم وثيقة إباضية لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي, حيث اعتمد عليها كتاب السير, ومنهم الشماخي في سيره.²

كما يعتبر مؤلف السيرة وأخبار الأئمة أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني, الذي سبق وأن تطرقنا إليه في أهم علماء ورجلان وأهم آثاره أقدم من ألف في تاريخ المذهب الإباضي, ودخوله لبلاد المغرب الإسلامي ودور حملة العلم ويعد من المصادر التي اعتمد عليها كتاب السير, أمثال الدرجيني و الشماخي, وغيرهم من مؤرخي الفكر الإباضي. إلى غاية التحاق التلاميذ في الكتابة وتدوين التاريخ الإباضي, تأثرا بعلمائهم فكان منهم أبو يعقوب الوارجلاني, الذي ترك مؤلفا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب. حيث أجمعت أهم المراجع التي استطعنا الاطلاع عليها, ما ينسب إلى الشيخ أبي اليقظان في قوله نقلا عن أستاذه حسن حسني عبد الوهاب, الذي التقاه بتونس سنة 1914 م بالمدرسة الخلدونية "أن أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي, يعتبر عند علماء أوروبا أكبر عالم رياضي, في شمال إفريقيا, ثم قال إن له كتابا, يسمى "فتوح المغرب" رأيت نسخة منه في تركة المستشرق الكبير الفرنسي "مونتيسيكو" قال: ولولا قلة النقود عندي لأقتنيه... قال ويوجد ذلك الكتاب "فتوح المغرب" الآن, في بعض خزائن ألمانيا.."³.

هذا الاسم أكدّه أبو عمار في سيره, أن لأبي يعقوب كتابا في التاريخ يقال له "فتوح المغرب"⁴ أما صاحب معجم أعلام الجزائر من خلال ترجمته لأبي يعقوب ذكر أن له كتابا في التاريخ بعنوان "المغرب في تاريخ المغرب"⁵

¹ بن سلام بن عمر: مؤرخ في بلاد المغرب سكن توزر في الجنوب التونسي حوالي عام 240هـ. وكان مازال على قيد الحياة حتى سنة 260هـ, له مؤلف تاريخي عن إباضي شمال إفريقيا, قدم له الشماخي بعض مقتطفاته في سيره, تناولت هذه المقتطفات مواضيع دخول الإسلام, إلى جبل نفوسة وتاريخ الأئمة الإباضيين الأوائل, أمثال أبو الخطاب المعافريو أبو حاتم المزوري و علاقات إباضية تيهرت مع المشرق فترة أمانة عبد الوهاب, وعدد من أعلام الإباضية, في القيروان ويجهل تاريخ تأليف هذا المؤلف كما يذكر المستشرق ليفتسكي, إلا أنه يكون بعد عام 260 هـ. ينظر: تاديوس ليفتسكي, المرجع السابق ص 149-151, الشماخي, المصدر السابق ص 121-123

² علال بن عمر, المرجع السابق ص 263

³ بكير سعيد أعوش, أبو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية, المصدر السابق ص 48

⁴ أبو عمار عبد الكافي, المصدر السابق ص 49, مصطفى بن صالح باجو, المرجع السابق, ص 157

⁵ عادل نويهض, المرجع السابق, ص 453

وتطرق عبد الرحمان الجيلالي في سياق حديثه عن أعلام الجزائر, وكان منهم أبو يعقوب الوارجلاني, "أن أبا يعقوب كان له كتابا يسمى "فتوح المغرب" يوجد بخزائن ألمانيا"¹. وهو ما يمكن أن نحمله على أنه اعتمد على تركة المستشرق الفرنسي السالف الذكر الذي ذكره أبو اليقظان أو اعتمد أساسا على ذات المرجع.

ونحن صاحب "غصن البان" نفس المنحى, في تواجد ذات العنوان في أن لأبي يعقوب كتابا في التاريخ, لم يترك شاردة ولا واردة يسمى (فتوح المغرب) أو (تاريخ المغرب), وذكر نفس ما تطرق له حسن حسني وعبد الرحمان الجيلالي, في تواجده بخزائن ألمانيا.²

وحسب ما أورده أبو عمار في سيره فإن أبا يعقوب قام بشرح سير من سلفه من العلماء الإباضية, وكان منهم على الأخص سير محمد بن محبوب بن الرحيل الحضرمي,³ حيث ذكر بعد تعريجه على دور حملة العلم في الفكر الإباضي, والحديث عن وصول بعض سير علماء الإباضية, إلى فترة أبي يعقوب الوارجلاني قوله "وصل إليه سير محمد بن محبوب الحضرمي, رحمه الله, وشرحه شرحا عجيبا" والقصد هنا شرحه إلى تلاميذ حلق العزابة.⁴

ونرى من خلال الكلام عن هذا المؤلف لأبي يعقوب الوارجلاني, من قبل المصادر أنه لم يتطرق لفحوى ما يحمله كتابه التاريخي هذا, ويمكن من خلال عنوان الكتاب (فتوح المغرب) أن نحتمل تطرقه فيه لفتح بلاد المغرب, وأهم الدول التي قامت, وأهم الفاتحين, وأهم المسالك التي رآها أثناء رحلاته المتكررة, إضافة إلى احتمال كلامه عن أهم الولاة الحكام الذين تداولوا على بلاد المغرب الإسلامي. وهذا ما يجعلنا نصنف أبا يعقوب من العلماء الذين كان دورهم كبير في المذهب الإباضي نضير ترحاله الذي جعله مؤرخا وشارحا لسير من سلفه.

¹ عبد الرحمان الجيلالي, المصدر السابق, ج 1 ص 416

² إبراهيم بن صالح بابا هو أعزام, غصن البان في تاريخ ورجلان, تح إبراهيم بكير بخاز و سليمان بن محمد بومعقل, ط 1, مطبعة العالمية غرداية الجزائر, 1434هـ/2013م, ص 220

³ محمد بن محبوب بن الرحيل الحضرمي: أحد علماء الإباضية, عاش في القرن الثاني الهجري, ومن عائلة علم, أبوه ابو سفيان بن الرحيل, وابنه بشير بن محمد, صاحب كتاب "الخرانة", المكون من سبعين سفرا, وله كتاب "البستان" وكتاب "الرضف", في التوحيد وكتاب المخارية. ينظر: أبو عمار عبد الكافي, المصدر نفسه, ص 49

⁴ أبو عمار عبد الكافي, المصدر نفسه, ص 12

ثانياً: أبو يعقوب الوارجلاني شاعراً أديباً

علاوة على العلوم الأخرى كالرياضيات والفلسفة والمنطق والتاريخ والفقه والأصول ، فقد اقتحم أبو يعقوب الوارجلاني علم الأدب والشعر ، وخير دليل على ذلك قصيدته الحجازية والقصيدة البائية ، التي ألفها يرثي فيها شيخه أبي سليمان أيوب بن إسماعيل ، حيث ينسب الدرجيني لأبي يعقوب ديوان شعر وقد أورد فيه قصيدة الوارجلاني البائية كاملة في طبقاته¹ ، كما أكد الشماخي تضلع أبو يعقوب في علوم اللسان ، والنحو واللغة ، وله العديد من القصائد منها القصيدة الحجازية التي تدل على غزارة علمه لما أودعها من فنون العلم من القراءة والنحو والتصريف.²

ومن أهم مؤلفاته التي بقيت كموروث حضاري تتوارثه الأجيال ، قصيدته الحجازية والبائية التي سبق الإشارة إليها

1/ القصيدة البائية

تعد هذه القصيدة من ما تبقى من ديوان شعر أبو يعقوب الوارجلاني المفقود ، التي كانت في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل³ ، الذي توفاه الأجل وحزّ كثيراً في نفسه ، وتأثر بفراقه أيما تأثر .

أورد الدرجيني هذه القصيدة في طبقاته كاملة ، وقد بلغ عدد أبياتها ثمانون بيتاً ، وتعد من المصادر التاريخية الهامة ، التي ترجمت لأبي أيوب ودوره في الفكر الإباضي خاصة في منطقة ورجلان⁴ ، وترعبه في قلوب تلامذته ، الذين اخذوا عنه نقي العلوم ، وكان من بين هؤلاء التلاميذ أبو يعقوب الوارجلاني الذي جسد

¹ الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ص 460

² أحمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي ، كتاب السير ، تح احمد بن سعود السيأبي ، ط 2 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، 1412هـ/1992م ، ج 2 ص 105

³ ترجمة أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي أبو سليمان: يعتبر أيوب بن إسماعيل من علماء ورجلان ، وهمزة وصل في سلسلة علماء هذه الحاضرة ، صنفه الدرجيني في الطبقة الحادية عشرة (550-500 هـ) وقال فيه " بحر تتقاذف في غواربه السفن ، وبر يقتدى به من اقتفى من المقتفين ، إن سئل في العلم أحاب فأقع ، وإن استسقى فيها ماء أروى فأنفع وتلمذ على يده العديد من الطلبة ، في القرن السادس الهجري ، منهم يخلف بن يخلف التيمجاري ، وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوي ، صاحب كتاب السؤالات ، والشيخ أبو عمار عبد الكافي التناوتي ، صاحب كتاب الموجز ، إضافة إلى أبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، الذي رثاه في قصيدته البائية . ، الدرجيني ، المصدر نفسه ، ج 2 نفسه ص 459

⁴ الدرجيني ، المصدر نفسه ، ج 2 ص 460

صدق عواطفه اتجاه شيخه , بنسج أبيات قصيدته البائية , رغم بساطة التعبير فيها إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تكون حاملة لصدق تلك المشاعر , لما حملته من عديد الصور الشعرية المعبرة.¹

وقد كان مطلع القصيدة : أيوب ما أيوب لا أيوب أودي به قدر الردى المجلوب
فتلوثت أيامه وتصرمت حيناً عليه وللردي تعقيب

فالقصيدية كانت من بحر الرجز مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مفعول

رثى أبو يعقوب في مطلع قصيدته شيخه أيوب الذي قال فيه الدرجيني " بحر تتقاذف في غواربه السفن
,ويدر يقتدى به من اقتفى من المقتفين إن سئل في العلم ,أجاب فاقنع , وان أستيل غيث سمائه في
سماحة صاحب فأوسع , وان استسقى فيها معا أروى فانفع...".² الذي كان من علماء ورجلان و
فقهاء كما أوردنا ذلك في شيوخ أبو يعقوب في الفصل الثاني من البحث , تميز أيوب بالكرم والعتاء
والجود , بماله وعلمه وجهده , لكن حلول المرض به أنهكه , وأقعده الفراش , كما يذكر ذلك الدرجيني
أنه أصيب بمرض الجذام , على ما حكى له والده الذي زاره في منزله بورجلان".³

فيقول أبو يعقوب في قصيدته واصفا إياه وحال مرضه وما فعل بجسمه , وكيف غيّر ملامحه:
دب البلاء بجسمه بعد البلى فله به طول الحياة ديب
ذهبت بشاشته وشرت ما به ... وعلاه من بعد الشحوب شحوب
وتغيرت منه المحاسن كلها فتؤوب حيناً ثم بعد تلوب⁴

كما ذكر أن هذا المرض لازمه وألمّ به مدة السبع سنوات كاملة قائلاً:
بل مات سبع سنين قبل مماته ولم يبق إلا الروح والتركيب
ثم يقوم بذكر يوم وفاته: فانسل منه الروح عند وفاته ... بابي وأمي الطاهر المسلوب⁵

¹ مصطفى بن صالح باجو , المرجع السابق ص 160

² الدرجيني , المصدر نفسه , ج 2 ص 459

³ الدرجيني , المصدر نفسه , ج 2 ص 461

⁴ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني, رحلة الوارجلاني ,تح يحيى بن بو هون حاج احمد د ت ط الطباعة الشعبية للجيش

2007 م ص 85 ,الدرجيني , المصدر نفسه ص 460

⁵ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني, المرجع نفسه ص 85 , الدرجيني المصدر السابق , ص 463

كما استشعر أبو يعقوب ذلك الدور الذي لعبه أيوب، في تعليمه وتدريبه وملئه الدنيا أنسا وإرشادا، حتى استوحشته المساجد وبكت عليه السماوات، ولذهاب عالم كان من عمار تلك المنابر والمجالس فقال:

بكت السماوات العلى ونجومها حزنا عليه والفلا والزّوب

واستوحشت منه المساجد كلها لما خلّت منه وحن النّيب¹

ويصف أبو يعقوب حالته وحزنه ودموعه على شيخه حتى شبه دمه المنهمر بالمطر فقال:

وترى العيون من الدموع كأنها ديمّ السماء تهمي الحيا وتصوب.

إلى أن يصل إلى الدعاء والتضرع إلى الله بان يرحمه ويغفر له قائلا:

فعليه رحمة ربه وسلامه حتى القيامة والإله وهوب.

إن القصيدة البائية لأبي يعقوب الوارجلاني، كانت قد لامست قلبه الصادق من خلال ما تجلّى من أبياتها، التي تعد من أهم المصادر، التي جسدت حياة أيوب ودوره الريادي في ميدان العلم والمجالس، وتمثل خطوة هامة في تعريب البربر، وممارستهم للغة العربية، على الرغم من هروب الألفاظ لديه وتعذر الأسلوب على حد قوله:²

يا رحمة للعالمين لفقدهم علم الهدى وتعذر الأسلوب

وقد أدرجنا أبيات هذه القصيدة، في ملحق البحث والتي بلغ عدد أبياتها كما أسلفنا ثمانون بيتا كان آخر أبياتها:

خلق ابن ادم عرضة لمهالك إن المنية يومها لعصيب³

إلى أن أمّكه المرض وتوفاه الأجل سنة (524 هـ/1129 م).

2/ القصيدة الحجازية

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني، المرجع نفسه ص 86، الدرجيني، المصدر نفسه، ص 464

² القاضي نعمان رسالة افتتاح الدعوة تح وداد القاضي ط لبنان سنة 1970 م ص ص 88-89-90، صالح باجيه، الإباضية

بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط 1 دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس، 1396 هـ/1976 م ص 176

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني، المرجع السابق ص ص 87-88-89، الدرجين، المصدر السابق ص ص 467-

هي تلك القصيدة التي ألفها أبو يعقوب الوارجلاني ونسج كلماتها وأبياتها , أثناء رحلته المشرقية , العلمية , الدينية لأداء مناسك الحج , والتي تعد من أهم المصادر المتبقية لأبي يعقوب , التي تكلمت صراحة على رحلته المشرقية .

ويعتبر كتاب الطبقات للدرجيني من أقدم المؤلفات التي أشارت إلى هذه القصيدة , التي كتبت أبياتها بعدد أيام السنة , واصفا رحلته ذهابا وإيابا , مع وصفه الدقيق لكيفية أداء المناسك لركن الحج . وقد كانت قصيدته هذه ذات أهمية تاريخية بالغة , كما أسلفنا الحديث عنها في بحر تطرقنا في رحلة أبو يعقوب المشرقية في الفصل الثاني الذي رأينا فيه رحلاته الثلاثة ومنها رحلته الحجازية , حيث كانت من أهم مصادر الرحلة , التي اتسمت بالمستوى الرفيع , مقارنة بالقصيدة البائية التي كتبها في رثاء شيخه أيوب , التي نظمها في خريف عمره.¹

تميزت القصيدة بالثناء اللغوي , مع صعوبة بعض كلماتها , وإيجاد معانيها , بحيث أراد الدرجيني شرحها إلا أنه لم يجد من يرويها عن أبي يعقوب سليمة الكتابة , وقد منعه العجلة في تعليق هذا الكتاب , الذي كان فيه فوائد كثيرة² .

وقد كان لهذه القصيدة ثمان نسخ مخطوطة اعتمد عليها يحيى بن بوهون حاج أحمد في تحقيقه لمؤلف أبو يعقوب رحلة أبو يعقوب الوارجلاني , ويمكن ذكرها كما أوردها

- النسخة الأولى موجودة بمكتبة قطب الأئمة ببني يسجن
- النسخة الثانية عند عائلة آل فضل ببني يسجن أنجز فهرستها جمعية التراث بالقرارة غرداية
- النسخة الثالثة بمكتبة الحاج سعيد محمد بغرداية ذات خط قدم
- النسخة الرابعة محفوظة في خزانة الحاج محمد بن يوسف بيانو ببني يسجن
- النسخة الخامسة ترجع لسالم بن يعقوب أعارها للمحقق في جزيرة جربة أخذها من عدة نسخ بالقاهرة .

- النسخة السادسة وهي بخط بهون علي حاج سعيد بن حاج علي عدد أبياتها ثلاث مائة وأربعة وسبعون , موجودة بمكتبة دار أروان بالعطف (تجنيت)

¹ تاديوس ليفتسكي , المرجع السابق ص 130 , بكير سعيد أعوش , المرجع السابق ص 48

² الدرجيني , المصدر نفسه , ص ص 494-495

- النسخة السابعة بخط عمر بالحاج يوسف عبد الرحمان , بمكتبة القطب

- النسخة الثامنة بخط الحاج سعيد حاج محمد بن با حمد, موجودة بمكتبة دار أروان بالعطف ويمكن اعتبارها آخر نسخة خطت باليد لكونها جاءت بتاريخ متأخر.¹

وقد شاعت هذه القصيدة لأنها أخذت من عدة نسخ ومن العديد من المناطق وتداولتها الأقلام , بين القاهرة وجربة بتونس والعطف وغرداية .

وقد تنوعت الفوائد من القصيدة الحجازية , منها التاريخية والدينية والاجتماعية , والجغرافية , ولعل أهمها الجانب الديني الذي ركز فيه أبو يعقوب عن مناسك الحج , ومكان الإحرام والميقات , والسعي إلى غاية الوقوف بعرفات , فكان تصويرا بليغا , ظهر فيه إبداعه الأدبي , في توصيف الأشياء معتمدا على الشعر كوسيلة . هذه القصيدة التي وصفها الدرجيني بكونها قد جمعت العديد من الأغراض , الأدبية من البديع والوصف والمدح والرثاء والحكمة , وهي من الفنون التي أبدع أبو يعقوب فيها مما شهد له باتساع فنه². كل هذا اجتمع في قصيدته التي احتوت ثلاث مائة وثمانون بيتا.

ولعل أهم ما يمكن أن نلاحظه في قصيدته هذه غلبة الطابع الجدي في نسجه للأبيات , وصدق عواطفه , ولا نلاحظ من خلال شعره تملقه أو تزلفه لحاكم , أو أمير , فكانت قصيدته ارتجالية محاكيا فيها لواقعه أثناء سفره الذي امتطى فيه البحر.

وما يمكن أن نقتطعه من القصيدة ومن أبياتها , زيادة على ما تطرقنا اليه في رحلته المشرقية فقد ابتدأها بشيء من الغزل وإتباع خطوات طريقه , منزلا منزلا , وقبيلة قبيلة ذاكرة فضل ورجلان ودورها في ركب الحج وما لاقوه من صعاب بين أمواج البحر , واهم ما يمكن ذكره وصولهم إلى أماكن الإحرام , وقلوبهم كلها شغف لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ولقاء علمائها , وأداء مناسك الحج³.

بدأ بمكان الإحرام ذو الحليفة قائلا:

فلما أتينا ذا الحليفة عودة ... جأرنا ولبينا بصدق الضمائر

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني, المرجع السابق ص 31-35

² الدرجين , المصدر السابق ص 494 , علال بن عمر , المرجع السابق, ص 263

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراني الوارجلاني, القصيدة الحجازية , رحلة الوارجلاني ت ح يحي بوهون, المرجع السابق ص ص

وقال : وكنا قد تجردنا لها عن مخيطنا ... عراة وجنبنا صياغ العصا فر

وذكر ما ينبغي الابتعاد عنه أثناء الإحرام بقوله:

وخفا وشم الزعفران ومسسه ... وورسا وهاجرنا جميع المعاطر

وحرم علينا القمل والصيد والخنا ... وفعل الفسوق والعوان والخوادر

إلى قوله: ولما انتهينا نحو كعبة ربنا ... بكينا وجدنا بالدموع البوادر

وقوله: وطفنا لدى البيت العتيق ثلاثة ... وأربعة مشيا على كل عامر

أتينا المقام حين تم طوافنا ... إلى ركعته واردا بعد صادر

وصرنا إلى ماء الحياة زمزم ... وجئنا الصفا والمروة رأس المشاعر

سعيها وهولنا ببطن مسيلة ... ونتبع آثار الوحيدة هاجر

وفي عرفات ما اعترفنا ذنوبنا ... ونحنا على أرواحنا للكبائر

ثم ذكر رمي الجمرات والمبيت بمنى قائلا:

بلغنا المنا لما انتهينا إلى منى ... ورمي الجمار بالحصى المتطاير¹

وبعد الانتهاء من المناسك جاء دور حلق الشعر والتحلل بقوله:

ونخلق شعث الروس لما تفرغت ... مناسكنا ما بين ذبح وناحر²

وجئنا إلى بيت الحرام نزرره ... فيا طيب مزدار وخير زائر³

ولما أكمل المناسك قال :

وذاك بحمد الله ربي وخالقي ... قضينا ووفينا جميع المشاعر

ثم تطرق بعد ذلك إلى التحضير للعودة وفراق الأرض الطاهرة وامتلاأت العيون دموعا , للرجوع لورجلان والأهل .

وقد أنهى قصيدته بنوع من الوعظ والإرشاد والدعاء والحسرة على ما يقترفه الإنسان من أعمال في حياته , مما أعطى لهذه القصيدة القيمة المضافة في جمعها لكل المحسنات الأدبية البديعية.

¹ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني, القصيدة الحجازية , رحلة الوارجلاني المرجع السابق ص ص 52-78

² أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني, القصيدة الحجازية , المرجع نفسه ص ص 52-78

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني, القصيدة الحجازية , المرجع نفسه ص ص 52-78

أما باقي ما جاء في القصيدة الحجازية لأبي يعقوب فسوف نقوم بإدراجه كاملا بين طيات الملحق في آخر بحثنا حتى لا نغوص أكثر في الجانب الأدبي لأبي يعقوب الوارجلاني. وما يمكننا استنتاجه من شعر أبي يعقوب هو اهتمامه في شعره بالمعنى الذي يلامس القلوب والعقول , وان كل كلامه وأبياته لها معناها ومقصدها فيذكر أبو يعقوب في كتابه الدليل والبرهان " ..جعل الله الكلام خادما للمعاني , وحافظا لها إلى حين تأديتها إلى الأنام, والكلام قشر والمعاني لباب, فمن قنع بالقشر دون اللباب فقد خاب, ومن ألحق كلا بأصله فقد أصاب, ومن استغنى عن القشر باللباب فقد طاب وطاب وطاب...." ¹.

وما يجسد اهتمامه بالمعنى في كلامه وألفاظه وتعجب به قوله في الدليل والبرهان " ..فمن تناظر في أمر لم يظهر معناه ولم يتبين غرضه ومغزاه, كان المتناظران كالأحولين كل يعمل على شاكلته, ويكون في غير مشرع صاحبه.. " ²

خلاصة الفصل:

تعتبر شخصية ابو يعقوب الوارجلاني تلك الشخصية الموسوعية التي تركت لها في كل علم اثر وكيف لا وهو الذي ابتداء حياته في مسقط رأسه بوارجلان, بتعلمه لكتاب الله واللغة والأدب ورحلته التي خلّد من خلالها أثارا في غاية الأهمية وآراء لها دورها, وتعتبر مرجعا مهما في المذهب الإباضي, حيث ترك موروثا كبيرا في علم الكلام والعقيدة من خلال كتابه (الدليل والبرهان) الذي حوى العديد من المسائل الكلامية والعقدية بالحجة والدليل والبرهان , مقرونة بالأدلة العقلية والنقلية, إضافة الى اكتشافاته الجغرافية والطبيعية كوصوله الى خط الاستواء, أما في الجانب الفلسفي فكان كتابه (مرج البحرين) الذي هو جزء من كتاب الدليل والبرهان, والذي ترجم الى العديد من اللغات, أما آثاره الفقهية فكانت تلك الرسائل التي حوت عديد الأجوبة معتمدا على الكتاب والسنة, ومن أهم آثاره في أصول الفقه كتابه (العدل والانصاف), الذي يعتبر عمدة المصادر الإباضية ومرجعا مهما للمذهب, فقد اختصر الى كثير من الكتب لتيسير فهمه, كما ترك آثارا في علم التاريخ, وهو كتابه (فتوح المغرب), الذي أرّخ فيه لتاريخ منطقة المغرب الاوسط, وكان لأبي يعقوب دوره الأساسي في علم الحديث الذي يعتبر المصدر الثاني بعد

¹ أبو يعقوب يوسف ابراهيم الوارجلاني, الدليل والبرهان المصدر السابق ج 3 ص 39

² أبو يعقوب يوسف ابراهيم الوارجلاني, الدليل والبرهان المصدر نفسه ج 3 ص 14

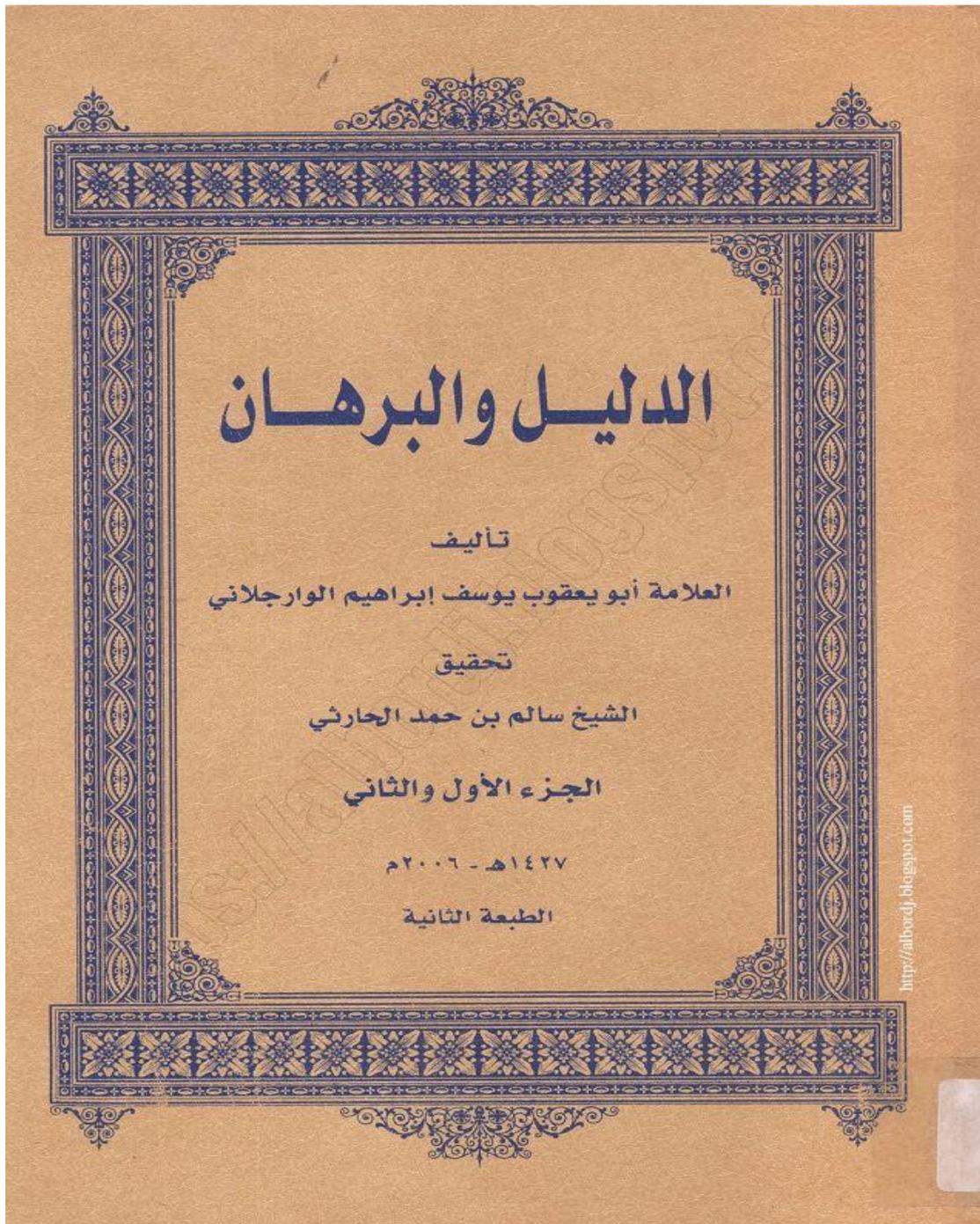
القران الكريم, فقد ترك الجامع الصحيح في ترتيب مسند الربيع بن حبيب, و كان ابو يعقوب مفسرا لآي القران الكريم وكان له كتابا عجيبا في التفسير, فسر فيه سورة الفاتحة والبقرة, ايضا ولج أبويعقوب عالم الشعر والأدب من خلال قصائده الحجازية التي أورد فيها رحلته الى الحجاز وبلاد المشرق بغية الحج وطلبا للعلم, أيضا قصيدته البائية في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل. لقد كان ابو يعقوب الوارجلاني موسوعة علمية شاملة مست جميع المجالات وأصبحت مصدرا أساسيا للموروث العلمي للمذهب الإباضي.

الخاتمة

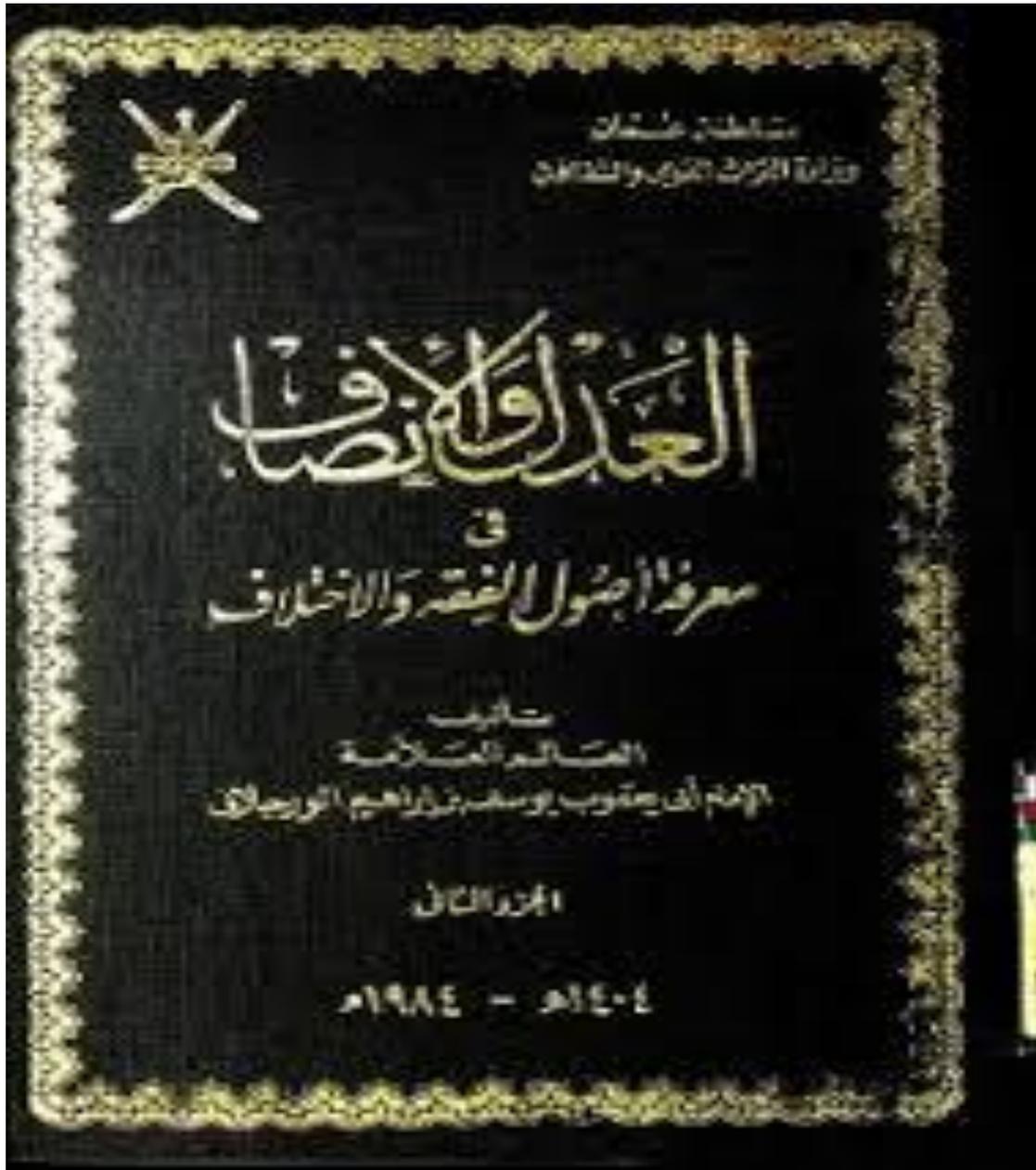
الملاحق

الملاحق :

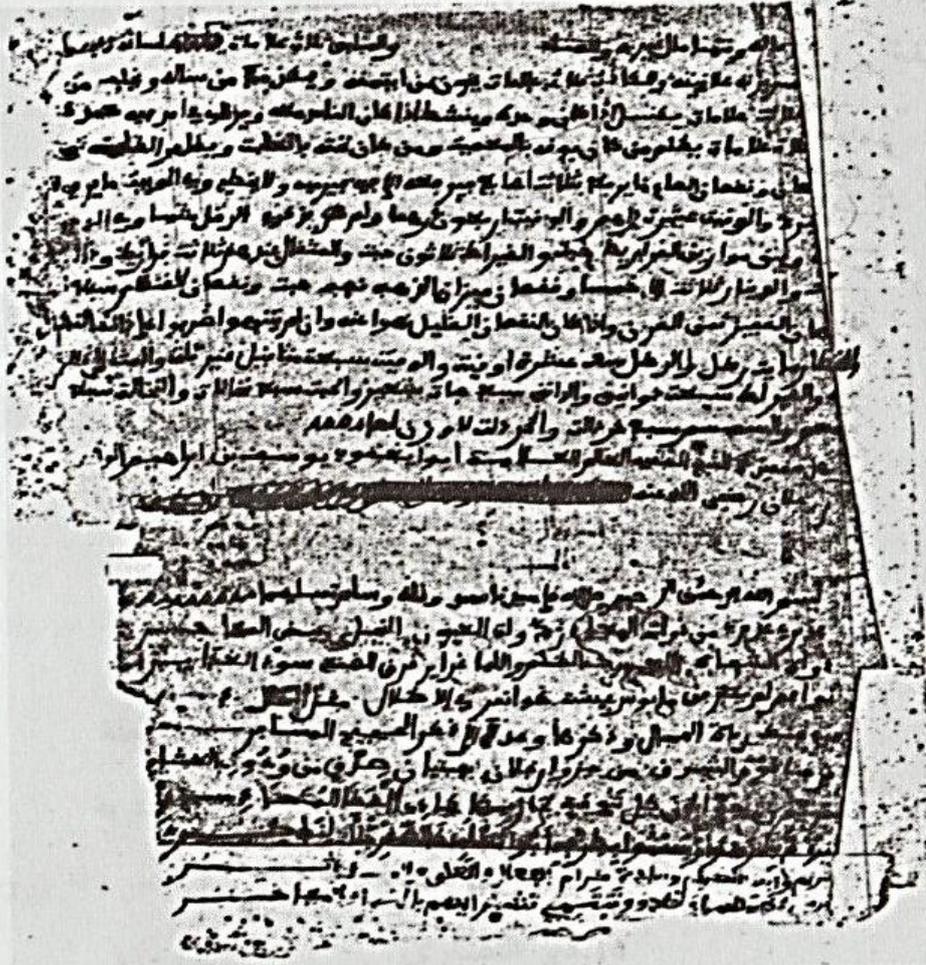
ملحق رقم : (01)¹



¹ واجهة كتاب الدليل والبرهان لابي يعقوب يوسف الوارجلاني، بتح الشيخ سالم بن حمد الحارثي



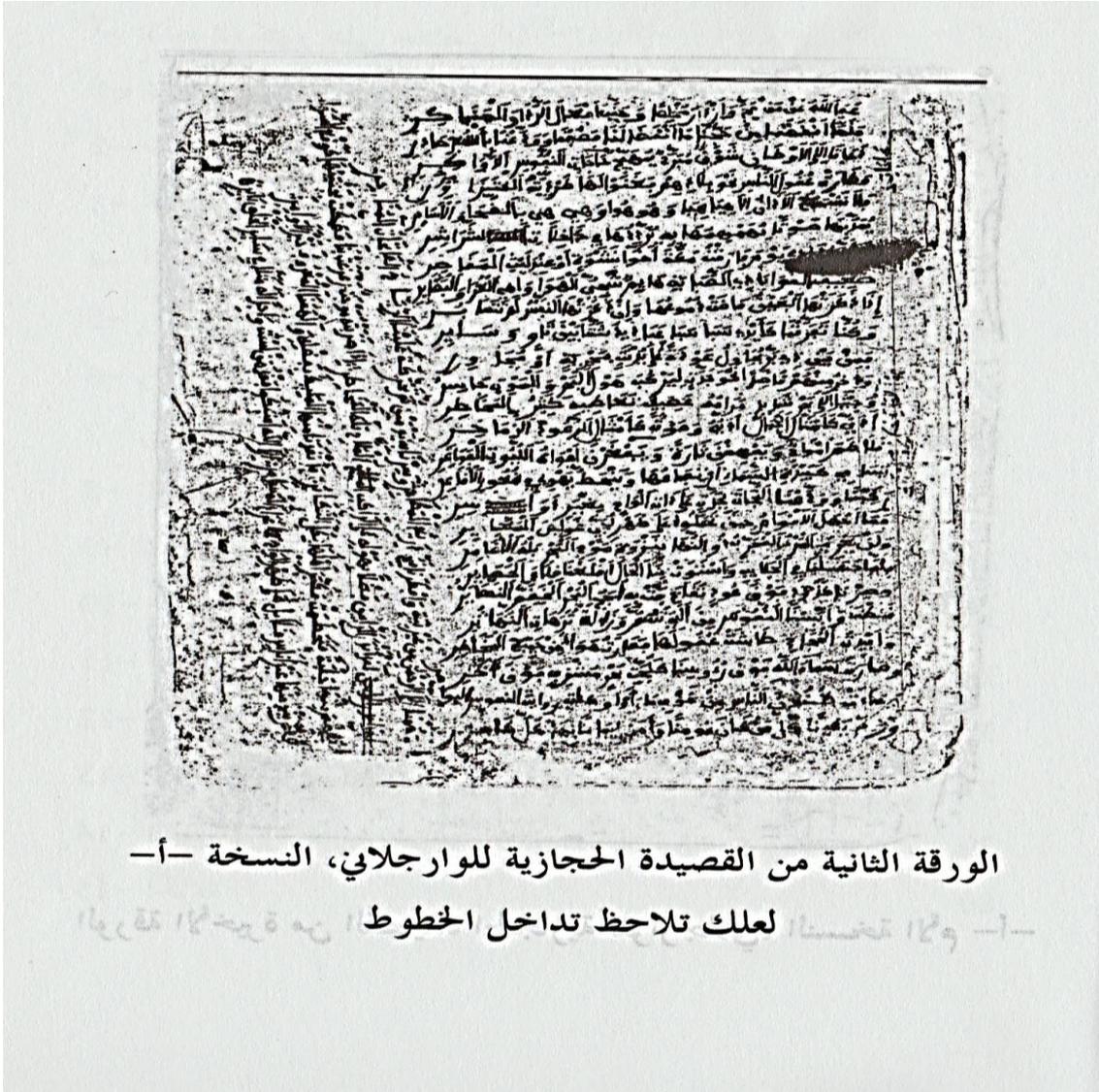
² واجهة كتاب العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني



الورقة الأولى من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم — أ—
لاحظ جهود المرمم في إصلاح الورق

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني، تح يحي بن بوهون حاج محمد د ط وزارة الثقافة

الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007



الورقة الثانية من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة -أ-

لعلك تلاحظ تداخل الخطوط

⁴ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني المصدر السابق

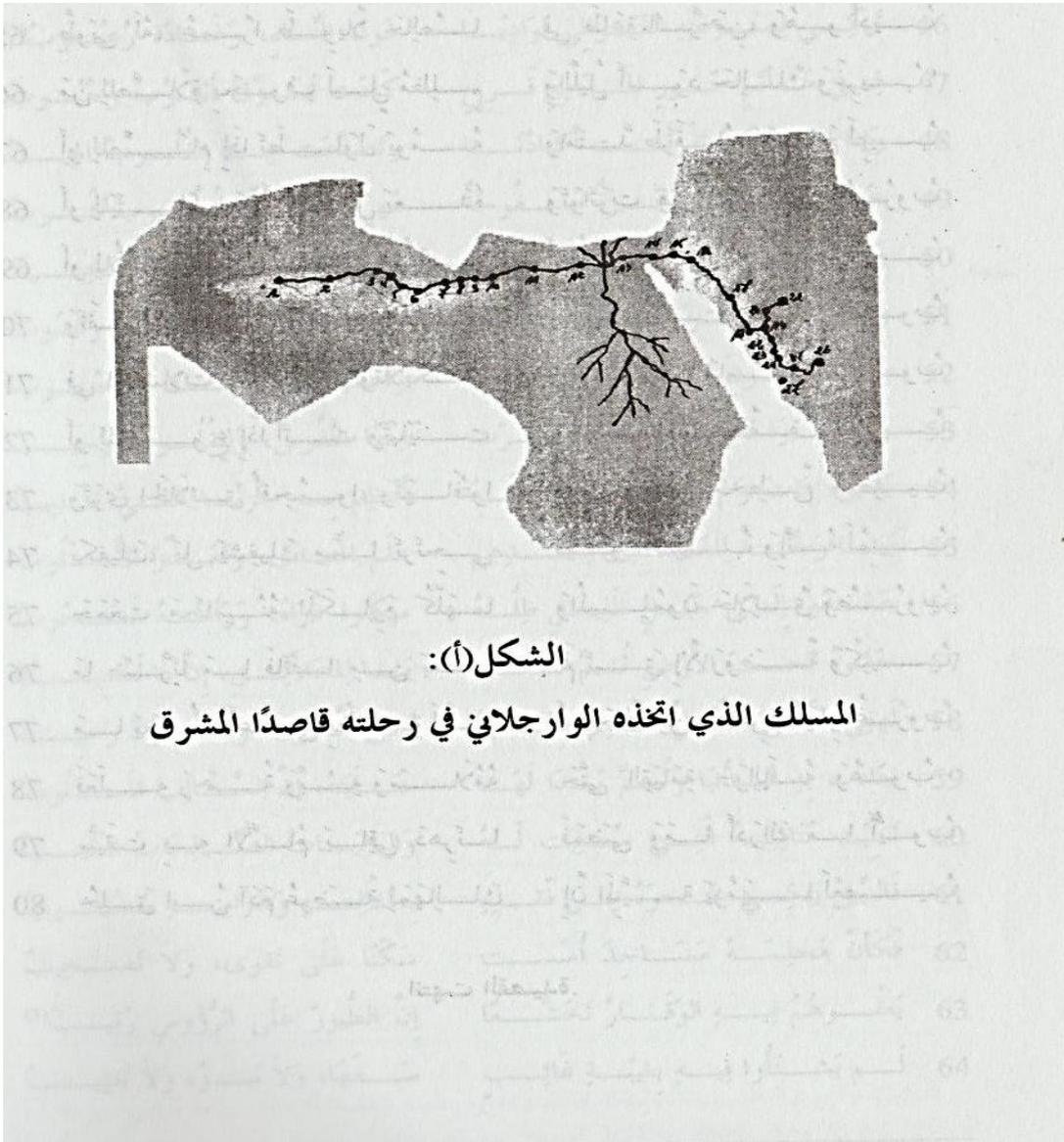


الورقة الأخيرة من القصيدة الحجازية للوارجلاني، النسخة الأم - أ-

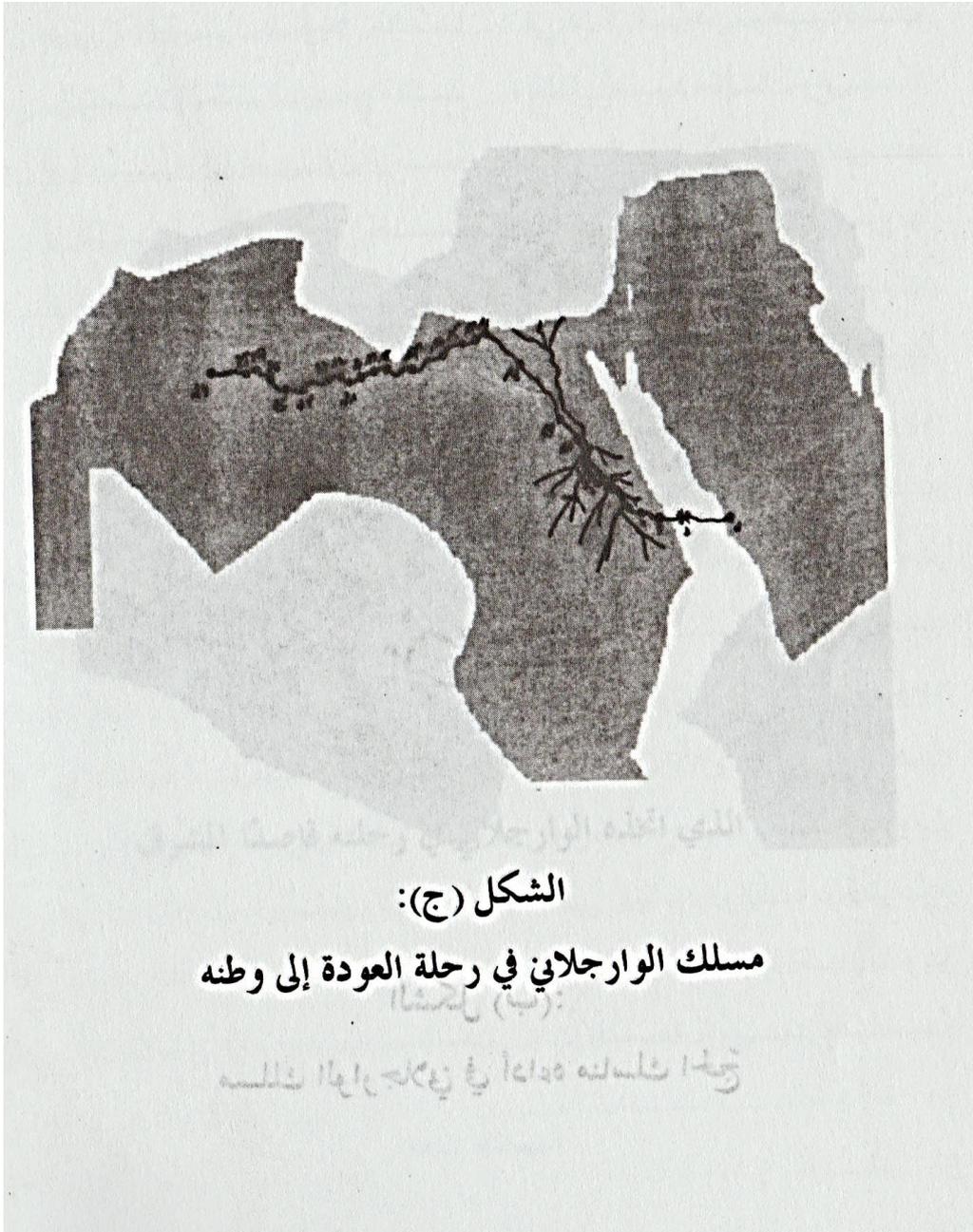
5 أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني المصدر السابق

ملحق رقم: (06)⁶

- 1- وارجلان 2- جرمة 3- فزان (الأراضي الليبية) 4- تبستو 5- سبها 6- سهنا 7- ماطر 8- زرديج 9- منزل العباد
- 10- جالو 11- ازرقية 12- زيدان 13- سنترية الأراضي المصرية) 14- الوطية 15- ألواح 16- مصر 17- بركة الجب
- 18- بلاد التيه 19- بحر البقلزم (البحر الأحمر اليمو) 20- عين موسى 21- طور سيناء 22- ماء مدين 23- عينونة
24. التبك 25. بلدة الحوراء 26. الينبوع (ينبع حاليا) 27. الصفراء 28. ليليل 29. ذات السبيل 30. العقيق
- 31- غائر 32. ذو الحليفة 33. الجحفة 34- عسفان 35- مكة المكرمة



⁶ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي الوارجلاني (ت 570هـ)، رحلة الوارجلاني المصدر السابق



⁷ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي الوارجلايين (ت 570هـ)، رحلة الوارجلايين المصدر السابق

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري مسالك الممالك ط 1 مدينة ليدن بمطبع بريل المسيحية سنة 1870 م .
2. ابو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني(ت ق6ه/12م) سير الوسياني تح عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصبانة ط 1 وزارة التراث والثقافة مسقط سلطنة عمان سنة 1430ه/2009م.
3. ابو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب د ط تح إبراهيم طلاي ,مكتبة البعث الجزائر
4. ابو العباس الشماخي، كتاب مختصر العدل والإنصاف, د ط , وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1984م
5. ابو القاسم بن إبراهيم البرادي،الجواهر المنتقاة، تح احمد بن سعود السياني ط 1 دار الحكمة لندن 2014
6. ابو بكر بن محمد المالكي ,رياض النفوس, ط 2 تح بشير البكوش ,دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان , 1414ه/1994م
7. ابو زكريا يحيى بن أبي بكر سير الأئمة وأخبارهم ,ط2 تح إسماعيل العربي ,دار الغرب الإسلامي 1402ه/1982م
8. ابو عبد الله البكري (ت 487هـ),المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب, دار الكتاب الإسلامي القاهرة مصر د ت ط .
9. ابو عمار عبد الكافي، سير أبو عمار، تح مسعود مزهودي، ط 1 مكتبة الضامري سلطنة عمان سنة 1996م
10. ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الو رجلاي (ت 570هـ)، رحلة الو رجلاي، تح يحيى بن بوهون حاج محمد د ط وزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007
11. ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم الو رجلاي الدليل والبرهان تح سالم بن حمد الحارثي ط 2 وزارة التراث والثقافة عمان سنة 2006 م

12. ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني, العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف, د ط وزارة التراث القومي والثقافة لسلطنة عمان 1404هـ/1984 م.
13. الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين, د ط, مكتبة كرياضة اسارغ دت.
14. البكري, المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب , وهو جزء من كتاب المسالك والممالك د ط مكتبة المثنى بغداد
15. بن الصغير، أخبار الأئمة الرستمييين د ط ت, ح إبراهيم بحاز ومحمد ناصر دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1406هـ/1986 م .
16. بن حزم الاندلسي جمهرة انساب العرب تح عبد السلام محمد هارون ط5 دار المعارف القاهرة 1982 م
17. بن حوقل صورة الأرض د ط منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان 1996 م
18. بن خلدون (ت 808 هـ) مقدمة بن خلدون تح سهيل زكار دار الفكر لبنان سنة 2001م.
19. بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ بن خلدون، تح خليل شحادة، سهيل زكار، د ط دار الفكر بيروت لبنان سنة 1421هـ/2000م،
20. بن عذاري المراكشي , البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب , ط1 تح بشار عواد و محمود بشار عواد, ج1, دار الغرب الإسلامي, تونس 1434هـ/2013م
21. بن عذاري المراكشي , البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تح ج سي كولان وليفي بروفنسال ط2 دار الثقافة بيروت لبنان 1980.
22. بن حبيب الفراهيدي الجامع الصحيح مسند الأمام الربيع, مقدمة السالمي, ط1 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان 1432هـ/2011م
23. حسن الوزان الزياتي (ت 957هـ)، وصف إفريقيا، ت ح عبد الرحمن حميدة، د ط مكتبة الأسرة 2005 م.
24. حسن الوزان, وصف افريقيا, تح محمد حجي ومحمد الاخضر , ط2, دار الغرب الاسلامي , بيروت لبنان 1983م
25. سعيد بن تعاريت، المسلك المحمود في معرفة الردود، تح فرحات بن علي الجعيري، علي بن الشيخ سعيد بن تعاريت د ت د ن
26. سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الإباضية، موقع الإستقامة .
27. السيلوي, الإستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى, د ط, دت .

28. الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية القاهرة سنة 1422 هـ/2002 م
29. الشهرستاني الملل والنحل, تح أمير علي مهناو علي حسن فاعود ط5 دار المعرفة بيروت لبنان 1416 هـ/1996 م
30. عبد الرحمن بن خلدون .تاريخ بن خلدون (ت 808هـ)،تاريخ بن خلدون، ت ح ابو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية عمان الاردن.
31. الفارابي, إحصاء العلوم ط3, ت ح عثمان أمين القاهرة 1968 م
32. القاضي نعمان رسالة افتتاح الدعوة تح و داد القاضي ط لبنان سنة 1970 م.
33. المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط2 طبع مدينة ليدن مطبعة بريل سنة 1906 م
34. مؤلف مجهول، كتاب المعلقة في أخبار وروايات أهل الدعوة، ت ح الحاج سليمان بن إبراهيم بابنيز الوارجلاني، ط 1 وزارة التراث والثقافة مسقط سلطنة عمان 1430 هـ/2009 م
35. نقرين بن محمد البغطوري, سير مشايخ نفوسة. د ط تح, عياد الشقروني, مؤسسة توالث الثقافية 2009 م
36. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي, طلعة شمس الأصول الطبعة الأولى سنة 1899 م مكتبة الإسكندرية, 2012 م
37. يحيى الباروني النفوس رسالة سلم العامة والمبتدئين, إلى معرفة أئمة الدين د ط مطبعة النجاح مصر د ت

ثانيا: المراجع

1. ابراهيم القادري بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي د ط دار الطليعة للنشر بيروت د
2. حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والاندلس ط 2 دار الرشاد القاهرة سنة 1998
3. روبرتو روبيناتشي، العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر وثيقة عن حياة النساك الصوامع في الإسلام، تر لميس الشجني مؤسسة توالث الثقافية 2006 م.
4. سالم يعقوب، تاريخ جربة وعلمائها، د ط ، د ش، سنة 2013م
5. سامي صقر عيد ابو داود، الأمام جابر بن زيد الأزدي(ت 93هـ/711م) وأثره في الحياة الفكرية والسياسية دراسة تاريخية ط1 مطابع النهضة الأردن، 2000م
6. سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب الكبير تاريخ دولة الأغالبة والرسميين وبنى مدار الأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار نشأة المعارف
7. صالح باجيه، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط 1 دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس، 1396 هـ/1976 م
8. عبد الحى محمد قايليل، الإباضية وآراؤهم الكلامية، ط1 دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية 2015 م
9. عبد الرحمان بن محمد الجيلاي، تاريخ الجزائر العام، ط2 مكتبة الشركة الجزائرية، مكتبة الحياة بيروت سنة 1384هـ/1965م
10. عبد الرحمان عثمان حجازي، تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، من القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر الهجري، ط1 المكتبة العصرية صيدا بيروت
11. عبد الستار الشيخ، الأمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام (88هـ/157) ط1 دار القلم دمشق 1432هـ/2006م
12. ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، ط1 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1440هـ/2019م
13. عبد الفتاح المغربي، الفرق الإسلامية، ط2 مكتبة وهبه القاهرة سنة، 1995م.
14. عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، ط1 مطبعة دار العرب بن عروس تونس، 1406هـ/1986م

15. عبد المحسن سالم الكاتب، الخلاف الفقهي بين المالكية والإباضية، ط1 دار بن حزم 1434هـ/2013م
16. عدون جهلان الفكر السياسي عند الإباضية ط3 مكتبة الظامري للنشر والتوزيع سلطنة عمان 1431هـ/2010م
17. علي يحي معمر، الإباضية في ليبيا د ط د د ش
18. عمر خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، تر ماهر جرار و مخائيل خوري، ط 2 دار الغرب الإسلامي تونس 2012م
19. عمر خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، ط 2 تر ماهر جرار و مخائيل خوري دار الغرب الإسلامي تونس 2012م
20. الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ط3 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1987م
21. القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، منهاج الأصول إلى علم الأصول، ط1 ت ح شعبان محمد اسماعيل، دار بن حزم بيروت لبنان، 1429هـ/2008م
22. محمد المرعي، إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث ط 1 كلية الآداب والفنون بمنوبة، دار الجنوب للنشر تونس سنة 2005م
23. إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام غصن البان في تاريخ وارجلان، تح إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بو معقل، ط1 مطبعة العالمية غرداية 1434هـ/2013م
24. محمد بن حسن القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسط د ط دار الرياح الأربع للنشر والتوزيع تونس سنة 1986 ص 109، بن خلدون
25. محمد علي دبوذ تاريخ المغرب الكبير ط1 عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر سنة 2013م
26. محمد عيسى الحريري الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ ط 3 دار القلم للنشر والتوزيع الكويت 1408هـ/1987م
27. مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية الى هجرة بنو هلال الى بلاد المغرب، د ط المطبعة العربية غرداية، 1417هـ/1996م

28. مصطفى بن صالح باجو , ابو يعقوب الوارجلاني اصوليا , دراسة لعصره وفكره
الاصولي مقارنا بابي حامد الغزالي , ط2 وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان.
1428هـ/2007 م
29. موسى لقبال , المغرب الإسلامي , ط 2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر
1981م
30. ابراهيم بيومي , يوسف أفندي كرم , دروس في تاريخ الفلسفة , مطبعة لحيه للتأليف
والترجمة, القاهرة 1904م
31. احمد الياس حسين , الإباضية في المغرب العربي, ط 1 مكتبة الضامري للنشر
والتوزيع عمان, 1416 هـ/1996 م
32. احمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. المطبعة العربية, د ت
33. بكير سعيد اعوشة ابو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية
د ط المطبعة العربية غرداية د ت
34. تاديوس ليفتسكي, المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية, تر ماهر جرار وريما
جرار, ط 1 دار الغرب الإسلامي 200 م
35. جودت عبد الكريم العلاقات الخارجية للدولة الرستمية د ط المؤسسة الوطنية
للكتاب الجزائر 1984
- ثالثا: الرسائل الجامعية
1. دليلة خبزي, الآراء الكلامية لأبي يعقوب الوارجلاني, رسالة ماجستير في أصول الدين
إشراف عمار جيدل جامعة الجزائر سنة 1422هـ/2001م
2. صلاح الدين شعبان , التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي, بين القرنين
الثالث والخامس الهجري 9-11م إشراف مختار حساني, قسم العلوم الإنسانية جامعة
الجزائر 2003/2004م
3. علال بن عمر, إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب وانتقاله من
القرن 3 هـ/9م إلى 9 هـ/15م رسالة دكتوراه, إشراف إبراهيم بكير بحاز, جامعة غرداية سنة
2018.

4. عمر سليمان بوعصبانة معالم الحضارة بوارجلان 296-626 هـ/909-1229م رسالة
5. ماجستير إشراف محمد ناصر ,معهد أصول الدين جامعة الجزائر سنة 1412 هـ/1992 م
6. عمار غرائسة , المدينة الدولة في المغرب الاوسط , وارجلان انموذجا ,مذكرة مقدمة لنيل ماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي ,تاريخ وسيط , إشراف عبد العزيز فيلاي جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر , 1429هـ/2008 م.

رابعاً:الدوريات

1. سامية مقري, التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية الى تأسيس نظام العزابة (296-409هـ/909-1018م), رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط , إشراف بوبة مجاني,جامعة منتوري قسنطينة , 15/02/2006م
2. عبد الرحمان الجيلالي, مقال بعنوان, أبو يعقوب الوارجلاني , وكتابه الدليل والبرهان,مجلة الاصاله , العدد 41.
3. علال بن عمر,حاضرة أسوف وأريغ ومكانتها في الفكر الإباضي من القرن 2هـ/8م إلى القرن 6 هـ/12م,مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ,مجلة دورية دولية محكمة تصدر عن قسم العلوم الإنسانية بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي, الجزائر, ع 17 ديسمبر 2017
4. علاوة عماره , انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط ,قراءة سوسيولوجية,مجلة آفاق الثقافة والتراث ,تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات ,مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث , عدد 56 ذو الحجة 1427هـ/جانفي 2007 م.
5. عمر خليفة النامي ملامح الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى اواخر القرن السادس الهجري ,مجلة الاصاله , المرجع السابق عدد 42
6. محمد ناجي,جامعة قابس تونس, مداخلة بعنوان من وارجلان الى قرطبة قراءة في تأثير المجال في فكر أبي يعقوب يوسف الوارجلاني ,ملتقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين 4/3 الهجريين ,جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي 12/11/2019/فيفري 2019.
7. موسى لقبال ,معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ,جامعة الجزائر, من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى,مكتبة المعصومة بتهرت هل احرق؟ او نقلت عيونها الى سدراته جوار وارجلان,مجلة الاصاله العدد 41 محرم 1397هـ/1977م.

خامسا: القواميس والمعاجم

1. ابراهيم بكير بجاز وآخرون, معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى غاية العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي, ط 2 دار الغرب الإسلامي, بيروت 1420هـ/1999م
2. بن منظور(ت 630هـ) لسان العرب مطبعة بولاق، مطابع كوتساتسوماس دب.
3. عادل نويهض معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ط 2 مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت لبنان سنة 1980م.
4. الفيروزبادي , القاموس المحيط , دط دار الحديث القاهرة 1429هـ/ 2008 م .
5. مجموعة من الباحثين, معجم مصطلحات الإباضية ط2 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عمان 1432هـ/2011م.
6. ياقوت الحموي البغدادي، معجم البلدان. دار صابر 1397هـ/1977م .
7. اليعقوبي (ت 684 هـ) البلدان ت ح محمد أمين ضناوي منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان د ت .

سادسا: المراجع الأجنبية

1. PIERRE CUPERLY , **Introduction a l'étude de l'ibadisme et de sa théologie , composition photogravure , impression ,** groupe m c.p. – phip – mame. office des publications universitaires alger

سابعا: المواقع الالكترونية

1 [http:// www.twwalt.com](http://www.twwalt.com)

2 <http://www.istiqama.net>

3 <http://cheikh-talei.net>

4 <https://www.adf.site> مكتبة الجمعية الجربية بفرنسا نسخة منه بالموقع

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	اسم السورة	الصفحة
07	"إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ..."	سورة ابراهيم	الشكر
61	" وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.. "	سورة يونس	53
164	": إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..."	سورة البقرة	100
65	"فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا"	سورة الكهف	101
118	" وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.... "	سورة التوبة	101
111	" قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ...."	سورة البقرة	101
06	"لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"	سورة الكافرون	101
30	" فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۖ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.."	سورة الروم	101
172	"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..."	سورة الاعراف	102
03	" إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ..."	سورة الزخرف	103
97	"وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"	سورة ال عمران	104
121	"وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ...."	سورة الانعام	106
178	"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ هُمْ قُلُوبٌ ..."	سورة الاعراف	78
140	"وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات..."	سورة الانعام	85
02	"إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "	سورة الزخرف	85
157	"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا"	سورة الاعراف	85
29	" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ..."	سورة الاحقاف	85
11	" يوصيكم الله في أولادكم ۗ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثِيَيْنِ.."	سورة النساء	87
171	" إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ... ۗ"	سورة النساء	87
59	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ"	سورة النساء	88
77	" فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ..."	سورة الكهف	107
29	" قَاتِلُوا الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ..."	سورة التوبة	107
6	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ"	سورة المائدة	107
123	" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ..."	سورة البقرة	92
2	"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ..."	سورة النجم	107
35	"وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا..."	سورة الاحزاب	107

113	سورة البقرة	"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ..."	284
113	سورة الشرح	"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"	06
113	سورة الانبياء	"يَسْتَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ..."	20
113	سورة النحل	"بِالْبَيْتَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ..."	43
114	سورة الشعراء	"فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا..."	150
114	سورة التوبة	"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً..."	35
114	سورة التوبة	"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ..."	28
114	سورة البقرة	"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۗ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ..."	254

فهرس الأماكن

الصفحة	اسم المكان	الصفحة	اسم المكان
30-29	ورقلة	-21-20-19-18-17-16 25-22	البصرة
32-30-29	واركلا	38-31-23-22-18	القيروان
57-29	وادي مصعب	45-40-39-32-19-17	نفوسة
29	اغادس	38-24-23-20-17	طرابلس
	كريمة	29-17-16	افريقية
30	حاسي بغلة	23-17	سرت
80	يفرن	23-18	ورفجومة
30	جبل العباد	57-21-18	تونس
63-31	تلمسان	38-32-20-19	غدامس
	غدامس	20-18	ليبيا
32	السوس الاقصى	-48-33-32-30-19-18 58-55-53-50	سدراته
32	الاغواط	-33-29-28-25-19-18 -52-51-50-47-46-43 57-55-54-53	اريفغ
32	برقة	57-46-41-29-19-18	اسوف
33	اليمن	-31-30-29-25-19-18 -42-41-40-37-33-32 -50-47-46-45-44-43 -57-55-54-53-52-51 -70-68-63-60-59-58 76	وارجلان

33	اسوان	-38-37-32-29-19-18 40	الاوراس
33	بيت المقدس	-30-28-25-24-32-20 -40-37-36-35-34-31 56-47-44-41	تيهت
46-40	جرية	33-21-18	نقراوة
37	تيارت	23	صياد
40-38	قصر مانو	23	مصر
	وغلانة	34-24-23	تاورغا
62-45	تيمجار	24	سوفجج
65-63-58-53-52-25	الاندلس	63-55-36-32-25	بلاد الزاب
55	بجاية	-42-41-33-32-29-25 46-45-43	بلاد الجريد
57	تمولست	-52-33-30-29-28-25 55-54	بلاد السودان
33	الحجاز	37-36	رقادة
59-38	حامة قابس		تناوت
63-52	قرطبة		توزر
64	مورون	64	قرمونة
70	يلل	4	سبنة
64	مرسى وهران	64	مزغنة
64	ميناء تنس	64	مرسى الدجاج
65-64-55	سجلماسة	64	ميناء فروخ
66	الحضنة	66	مليانة
66	المسيلة	66-32	بسكرة
67	كانم	67	زغاوة
45-43	درجين	67	جادو
67	زويلة	67	ادورف
70	جرمة	70	تنوفة
70	سبها	20	فزان
70	بحر القلزم	70	منزل العباد

70	ذو الخليفة	70	طور سيناء
70	مكة المكرمة	70	الجحفة
	غرداية	62	قسطيلية
70	القاهرة	70	المدينة المنورة

فهرس الفرق

الصفحة	اسم الفرقة
-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14 -57-55-53-49-46-43-42-41-39-37-36-34-33-32-31-30 114-91-78-76-64-63-59	الاباضية
105-97-15	الخوارج
105-17-16-15	الصفرية
107-28	السنة
47-41-37-36-28	الشيعة
40-37	الواصلية
89-65-40-37	المالكية
105-90-38-37-31	النكارية
44	الفرثية
93-90-89-80-69-45	الكلامية
76	المبتدعة
92-91-87-85-76	الاشعرية
105-101-85-20	المعتزلة
97	المرجئة
97-85	القدرية
106	المارقة
97	الرافضة
97	المجسمة
97	الصفوية

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	الصفحة	اسم العلم
61-45	أبو الربيع بن علي بن يخلف التيمجاري النفطي	-33-29-28-14 -52-51-50-41 71-57	ابويعقوب يوسف الوارجلاني
56-44	خزر يغلى بن زلتاف	14	يزيد بن مسلم الثقفي
44-42-41-28	محمد بن بكر الفرسطائي	14	عبيد الله بن الحبحاب
56	أبو زكرياء يحيى بن أبي زكريا الوارجلاني	-23-17-16-14 43-37-25-24	عبد الرحمان بن رستم
57-51-28	وأبو عمار عبد الكافي	22-20-18-17-16	سلمة لابن سعيد الحضرمي
59-57-28	وأبو عمرو السوفي	-20-18-17-16 -22	ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة
43-29	صالح جنون بن يمران	16	عكرمة
44	ابو يوسف بن سهل	16	أبي الشعثاء
44-29	ابو نوح بن زنگيل	17-16	بن مغطير الجناوي النفوسي
36	أبي بكر بن افلح	17	بن اليسع المصري
36	محمد بن عرفة	17	وأبي إسحاق المصري
36	يقظان بن أبي اليقظان	17	عيسى بن علقمة المصري
37	دواس بن صولات اللهيصي	108	الامام الربيع بن حبيب
37	وإبراهيم بن محمد اليماني	35-24-22-21-17	أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري
38-327	يزيد بن فنين	33-24-18-17	بن درار الغدامسي
38	إبراهيم بن الأغلب	29-18-17	عاصم السدراتي
39	ابو القاسم البغظوري	21-18-17	داود القبلي النفزاوي
39	عبد الله بن الخير	61	وأيوب بن العباس

40	يعقوب بن أفلاح	21-20	محمد بن يانس الدركلي
41	أبو زكريا فضيل بن	21	خليل الدركلي
43	يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي	23	وعمر بن يمكتن
62	أيوب بن إسماعيل	23	محمد بن الأشعث الخزاعي
54	المهدي بن تومرت		أبو جعفر المنصور
54	العبتروسي	115	ابي حاتم الملزوزي
55	يحيى بن إسحاق الميورقي	44	علي بن أبي علي الياجراني
44	ابن الربيع عبد السلام الوسياتي	45	أبا زكريا يحيى بن أبي بكر
54	أيوب بن إسماعيل اليزماتي	45	احمد بن سعيد بن علي بن يخلف الدر جيني
64	بأبي محمد البوينكي البرزال	61	المعيز بن جناو
65	ابو بكر بن العربي	110	أبا قتيبة
65	وابو بكر بن محمد بن باجة	61	أيوب بن نوح أبو سليمان
		107-16	جابر بن زيد الأزدي
116	محمد بن محبوب بن الرحيل	115	بن سلام بن عمر
111-110	الأوزاعي	108	أبي غانم الخراساني

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	الإهداء
	الشكر والعرفان
	قائمة المختصرات
أ-ي	المقدمة
13	الفصل التمهيدي: الوجود الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي
14	تمهيد
18-15	المبحث الأول: دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب
21-18	المبحث الثاني: حملة العلم ينشرون الإباضية بجواضر صحراء المغرب الإسلامي
25-22	المبحث الثالث: الدولة الرستمية من تيهرت الى جبل نفوسة عبر وارجلان
26-25	خلاصة الفصل
27	الفصل الأول: البيئة العلمية لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني
27	تمهيد
34-29	المبحث الأول: حاضرة وارجلان الموقع والتسمية
30-29	أولاً: الموقع والتسمية
34-31	ثانياً: سكان وارجلان وقبائلها
42-35	المبحث الثاني: دخول المذهب الإباضي إلى وارجلان
39-35	أولاً: سقوط العاصمة الرستمية تيهرت

42-40	ثانيا: فرار الإباضية من تيهرت الى وارجلان
46-43	المبحث الثالث: رواد المذهب الإباضي بوارجلان
47	خلاصة الفصل
48	الفصل الثاني: أبو يعقوب يوسف الوارجلاني (حياته وتعلمه) (500-570 هـ/ 1100-1170 م)
49	تمهيد
50	المبحث الأول: مولده ونشأته
52-50	أولا: ترجمته ونسبه
56-52	ثانيا: عصره و نشأته
56	المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته ومعاصروه
59-56	أولا: شيوخه
60-59	ثانيا: معاصروه
62-61	ثالثا: تلاميذه
62	المبحث الثالث: رحلة الوارجلاني
65-63	أولا: رحلته إلى الأندلس
68-66	ثانيا: رحلته إلى بلاد السودان
71-68	ثالثا: رحلته إلى المشرق (الرحلة الحجازية)
72	خلاصة الفصل
75	الفصل الثالث: دور أبي يعقوب يوسف الوارجلاني في الفكر الإباضي
77-76	تمهيد
78	المبحث الأول: آثاره الفقهية والأصولية
79-78	أولا: آثاره الفقهية

92-80	ثانيا: آثار أبو يعقوب الوارجلاني في أصول الفقه
93	المبحث الثاني: آراؤه الكلامية و العقديّة
94	أولا: آثاره الفلسفية
105-95	ثانيا: آثاره وآراؤه الكلامية
106	المبحث الثالث: آثاره في علمي الحديث والتفسير
110-106	أولا: أبو يعقوب الوارجلاني محدثا
113-110	ثانيا: أبو يعقوب الوارجلاني مفسرا
114	المبحث الرابع: أبو يعقوب الوارجلاني مؤرخا وشاعرا أدبيا
116-114	أولا: الوارجلاني مؤرخا
122-116	ثانيا: أبو يعقوب الوارجلاني شاعرا أدبيا
122	خلاصة الفصل
128-125	الخاتمة
136-129	الملاحق
145-137	قائمة المصادر والمراجع
158-147	الفهارس

السلامة